موقف أمراء العرب

بالشام والعراق
من الفاطميين
حتى أواخر القرن الخامس الهجري

الدكتورة

أمينة بيطار

مدرسة تاريخ العرب والإسلام بجامعة دمشق





موقف أمرا العرب



موقف أمراء العرب

بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري

الدكتورة

أمينة بيطار

مدرسة تاريخ العرب والإسلام بجامعة دمشق



الطبعة الاولى
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

الموافقة رقم ٧٧٥١
تاريخ ٦/٢/١٩٨٠
٣٠٠٠ ـ ١ ـ ١٩٨٠



دمشق ـ شارع بور سعيد ـ هاتف ١١١٠٢٢
١١١٠٤٨
بيروت ـ شارع سوريا بناية صمدي وصالحة

المقدمة

كانت الحياة السياسية في بلاد الشام والعراق مضطربة أشد الاضطراب في القرنين الرابع والخامس الهجريين . ويعود ذلك الاضطراب الى ضعف الخلافة العباسية وانكماش سلطانها ، فضلا عما ألم بالحياة السياسية في بغداد من فساد وتدهور . فقد سيطرت العناصر الدخيلة على الخلفاء ، مثل الفرس والاتراك ، وتحكموا بالسلطة دونهم ، بل صاروا يعاملونهم معاملة قاسية . كما شاركوهم في مظاهر سلطتهم الدينية ، حتى أصبح مركز الخليفة العباسي في بغداد مضطربا أشد الاضطراب . وكان أهم مظهر من مظاهر ضعف الدولة العباسية تفكك وحدتها وانقسامها الى عدة مناطق نفوذ للعناصر العربية والفارسية والتركية . فقد استقل السامانيون وهم من أسرة فارسية في خراسان وبلاد ماوراء النهر ، وسيطر الغزنويون الاتراك على السند وافغانستان . وكانت فارس والري واصبهان والجبل في أيدي بني بويه ، والاهواز وواسط في يد البريديين ، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وشمالي الشام في يد الحمدانيين ، ومصر والشام في يد الطولونيين ثم الاخشيديين ، وبلاد المغرب كلها اصبحت تحت حكم الفاطميين . وهكذا لم يبق في يد الخليفة الا بغداد وأعمالها .

وقد زاد ضعف الخلافة العباسية حين سيطر بنو بويه الشيعة على الخلفاء العباسيين . ولم يكن سلاطين البويهيين يعتقدون بصحة خلافة العباسيين ، بل كانوا يميلون الى الفاطميين ، ويرغبون في خلع خليفة

بغداد ، والدعوة ـ للخليفة الفاطمي • ولم يمنعهم من خلعه إلا الخوف على مركزهم والمحافظة على سلطانهم في دار الخلافة ، وعلى نفوذهم على أتباعهم من الشيعة •

وفي الوقت الذي كـان فيه الخليفة العباسي مغلوبا على أمـره ، والخلافة العباسية على هذه الدرجة من الضعف ، كانت الخلافة الفاطمية بعد أن أخضعت بلاد المغرب كلها لنفوذها تمثل الدولة القويـة الفتية • وازدادت قوتها بعد أن نجحت في فتح مصر ، وأصبحت وهي في هذا المركز الاستراتيجي الهام في قلب العـالم الاسلامي خطرا كبيرا يهـدد الخلافة العباسية بالزوال • فمن القاهرة اخذت الخلافة الفاطمية تعمل جاهدة على القضاء على الخلافة العباسية نفسها •

ولتحقيق ذلـك ، كان عليهم عقب فتحهم لمصر مبـاشرة أن يبثوا دعاتهم في العراق ، ليمهدوا لهم الطريق الى فتحها ، وأن يعملوا على فتح بلاد الشام • غير أن الفتح الفاطمي لبلاد الشام لم يتح له الاستقرار ولم يتمكن الفاطميون من السيطرة عليها تماما ، وظل نفوذهم هناك مضطربا تهدده عدة قوى محلية وخارجية • وكان لذلك أثـر كبير في عدم تمكن الفاطميين من فتح بغداد بالسرعة التي يحسبونها •

ويهمنا في هذا المجال أن نوضح أسباب اضطراب النفوذ الفاطمي في بلاد الشام • ويأتي في مقدمة هذه الاسباب ضعف الخلافة العباسية وتمزقهـا بين هذه القوى السياسية المختلفة التي سبق أن أشرت اليها • فقد أغرت هذه الاحوال القبائل العربية في بلاد الشام والجزيرة بأن تتطلع ـ شأنها شأن هذه القوى ـ إلى الاستقلال بشؤونهـا وتكوين امارات مستقلة • ففي الجزيرة وشمالي الشام كون الحمدانيون امارة لهم • وبعدهم حذا

حذوهم المرداسيون والعقيليون • وأما أمراء القبائل في جنوب بلاد الشام، فلم يكونوا في وضع يستطيعون معه تكوين امارات خاصة بهم ، لان قوة قبضة الفاطميين فانهـم وجـدوا في الامبراطورية البيزنطيـة ـ التي الوقت الذي وجد فيه أمراء الشمال متنفسـا لهم بضعف العباسيين وبعد قبضة الفاطميـين فانهم وجـدوا في الامبراطوريـة البيزنطية ـ التـي كانت تعمل جاهدة على ابعاد نفوذ الفاطميين الاقوياء عن بلاد الشـام ـ ملجأ وحاميا لهم • فقد عملت الدولة البيزنطية على حماية الامارات العربية في الشمال ، ووقفت الى جانبهـا سدا منيعـا لتحول دون امتداد النفوذ الفاطمي الى شمال بلاد الشـام • وكانت الامبراطورية البيزنطية في عهد الأسرة المقدونية قـد مرت بفترة من فترات الاحياء جعلتهـا تتطلع الى استعادة نفوذها السابق في بلاد الشام •

وهنـاك نقطة أخرى كانت لها أهميتهـا في موقف بلاد الشـام من الفاطميين ، ألا وهي أن غالبية أهل الشام سنة تعصبوا أشد التعصب أمام محاولات الفاطميين في نشرمذهبهم الاسماعيلي • وقد كان لهذا التعصب الشديد من جانب أهل الشام أثره الكبير في اساءة الفاطميين معاملتهم • هذا فضلا عن أن تشكيك الخلافة العباسية في نسب الفاطميين ، وخاصة بعـد المحضر الرسمي الـذي أصـدره الخليفـة العبـاسي القادر بالله في سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢ م . كان له أثر كبير في موقف القبائل العربية من الفاطميين • فقد عاد العقيليون الى طاعة العباسيين ، بينما عقدت القبائل العربية الاخرى في بلاد الشام سنة ٤١٥/ ١٠٢٤ م حلفا لابعاد الفاطميين الاسماعيلية •

والى جانب هذا كان لسياسة قائد الفاطميين جعفر بن فلاح في فتح الشام أثر كبير في عدم استقرار الأوضاع بها • فقد رسم جعفر بن فلاح

خطة لضرب القبائل العربية بعضها ببعض لاضعافها ، ومن ثم للسيطرة التامة على بلاد الشام . فبدأ بتحريض قبيلتي مرة وفزاره ضد بني عقيل في الشام . وكان لذلك أثر كبير في وقوف العقيليين ضد الفاطميين ، وقيام زعيمهم ظالم بن موهوب العقيلي بتحريض القرامطة على الفاطميين .

هذا وقد لمس الفاطميون سوء هذه السياسة فعدلوا عنها ، وبدأوا يستعينون بالقبائل العربية ضد القرامطة . واستطاعت هذه السياسة الجديدة أن تكسب الفاطميين النصر في وجه القرامطة . وكان على الدولة الفاطمية لتكسب وقوف القبائل الى جانبها على الدوام أن تقدم لها ما تطلب من أموال . وهذه السياسة ازاء القبائل العربية جعلت القوى المناهضة للفاطميين ، كالعباسيين وغيرهم من القوى التي كانت تتصارع على النفوذ في بلاد الشام تتهافت بدورها على كسبها الى جانبها معتمدة على أسلوب الاغراء . وكانت هذه القبائل العربية ـ عندما كان الفاطميون يقصرون في اشباع رغباتهم ـ يتطلعون الى الخلافة العباسية ويظهرون الطاعة لها ، بل انها في بعض الأحيان لم تتورع عن طلب الحماية والمساعدة من الدولة البيزنطية . وعندما كان الفاطميون يعجزون عن تحقيق مآربهم عن طريق السياسة واغداق الاموال ، كانوا يلجأون الى قوة السلاح والى استخدام العنف .

هذا ومن جهة أخرى فان القبائل العربية بعد أن أحست بقوتها ، رأت أن تحقق لنفسها نوعا من الاستقلال لكي يتحقق لها المحافظة على بقائها وعلى وجودها . وبعد أن نجحت هذه القبائل في تكوين امارات مستقلة حرصت أشد الحرص على المحافظة عليها . ولم تكن لغلبة التشيع، وحب آل علي من قبل بعض القبائل العربية ، أي أثر في انطواء هذه الامارات تحت لواء الفاطميين الاسماعيلية . ذلك أنهم حذوا حذو

البويهيين وفضلوا أن يكونوا أقوياء في ظل الخلافة العباسية الضعيفة ، على أن يكونوا ضعفاء في ظل الخلافة الفاطمية القوية •

كما كان لالتجاء الفاطميين الى خداع القبائل العربية أثر كبير في عدم ثقة أمراء هذه القبائل بالفاطميين وبوعودهم • فكثيرا ما وعدهم الفاطميون ولم يفوا بوعودهم • ولعل أبرز مثال ــ في هذا الصدد ــ وعد المعز لدين الله آل الجراح بأن يدفع لهم مائة ألف دينار اذا هم تركوا مساعدة الحسن الأعصم القرمطي • فعمل هؤلاء جادين على تحقيق انتصاره أمام القرمطي هذا ، وحققوا له بذلك نصرا سياسيا كبيرا في بلاد الشام • ولكن المعز لدين الله لم يف بوعده لهم • وانما خدعهم وأعطاهم دنانير نحاسية مطلية بالذهب • وكان لهذه الخدعة من قبل المعز لدين الله أثر كبير في موقف هذه القبيلة العربية التي لم تدع فرصة للثورة على الفاطميين الا واستغلتها •

وفي كثير من الاحيان كان الخلاف المذهبي بين سكان البلاد السنيين وبين الفاطميين الاسماعيلية ، من أسباب الثورات ضد الفاطميين • وقد بدأت هذه الثورات عقب الفتح الفاطمي للشام ، واستمرت حتى مقدم السلاجقة الأتراك وفتحهم دمشق • ولم يدع السكان فرصة للتخلص من الفاطميين الا واستغلوها • مما اضطر الدولة الفاطمية أن ترسل جيوشها لترافق ولاتها • وكثيرا ما اصطدمت هذه الجيوش مع الأهالي ، وأدى ذلك الى نشوب ثورات متعددة ، جعلت الوضع في بلاد الشام مضطربا والنفوذ الفاطمي بها غير مستقر •

هذا ولم يستطع الفاطميون استغلال الفرصة التي سنحت لهم على يد البساسيري للقضاء على الدولة العباسية • فقد كان لحقد الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي على البساسيري أثر كبير في ذلك • فلم يكن هذا يريد أن يتم الامر للفاطميين في بغداد على يد البساسيري ، لذلك

أخذ يحذر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من عاقبة أطماع البساسيري . فتخوف المستنصر بالله منه ، ولم يعد هذا يهتم بتقديم المساعدات إليه . هذا الى جانب ما ظهر من خيانة الوزير الفاطمي اليازوري ، الذي كاتب السلطان طغر لبك السلجوقي ، ولهذا فان سيطرة البساسيري على بغداد لم تدم سوى سنة واحدة ، واستطاع طغر لبك القضاء على حركته .

واذا كانت الدولة الفاطمية وهي في عز قوتها لم تنجح في فرض نفوذها كاملا على بلاد الشام والجزيرة ، وفي أن تستغل ما كانت عليه الخلافة العباسية من ضعف لاسقاطها ولتوحيد العالم الاسلامي تحت رايتها ، فان بزوغ نجم السلاجقة وما تحقق على أيديهم للدولة العباسية من قوة وازدهار ، في الوقت الذي كانت الدولة الفاطمية قد دخلت دور الضعف والتدهور ، قد أضاف للقوى المتصارعة على النفوذ في بلاد الشام والجزيرة قوة فتية جديدة ، ألا وهي قوة السلاجقة . وبالتالي عجز الفاطميون عن تحقيق أهدافهم في هذه الجهات ، وأصبح كل همهم المحافظة على ما تبقى لهم من نفوذ بها .

★ ★ ★

وقد قمت في بحثي هذا بدراسة تاريخية لموقف أمراء القبائل في الشام والعراق من الدولة الفاطمية حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، وقسمته الى أربعة أبواب :

الباب الأول :

تحدثت فيه عن وضع بلاد الشام عامة قبل الفتح الفاطمي . ثم تعرضت الى الفتح الفاطمي لبلاد الشام . وحاولت جاهدة أن أوضح من خلال دراستي للسياسة التي اتبعها جعفر بن فلاح قائد الفاطميين في ضرب القبائل العربية بعضها ببعض ، وما نتج عن هذه السياسة من يقظة القبائل العربية ، ووقوفها الى جانب الفاطميين حينا والى جانب أعدائهم حينا

آخر ٠ كما أوضحت كيف كان موقف أهالي دمشق من هذا الفتح وحاولت أن أفسر سبب بقاء النفوذ الفاطمي في بلاد الشام مضطربا ، وكيف وقف أهالي البلاد موقف المساعد من الحركات التي ناهضت الفتح الفاطمي في الشام ، كالقرامطة وافتكين ٠٠٠٠ وفي هذه الدراسة أوضحت موقف كل قبيلة من القبائل العربية في الشام من الفاطميين ٠

ثم استعرضت في الباب الثاني موقف زعماء العرب في جنوب وأواسط الشام من الفاطميين ٠ ولم أنس أن أوضح الاسباب التي دعت القبائل الى اتخاذ موقفها هذا ٠ وشرحت كيف عمل آل الجراح على مساعدة الحسن الاعصم القرمطي في غزوة مصر ٠ وكيف استمال الخليفة الفاطمي المعز لدين الله زعيم آل الجراح حسان ، وما كان من اعطائه النقود النحاسية ٠ واقتضاني ذلك أن أتحدث عن موقف آل الجراح بعد تلك الخدعة ٠ وفي هذه الدراسة تبين لنا كيف وقف آل الجراح موقفا معاديا من الفاطميين طوال فترة وجودهم ، والتي استمرت تقريبا من الفتح الفاطمي حتى سنة ٤٣٣هـ ٠ ولم أنس أن أذكر بعض المواقف التي ساعد فيها أمراء آل الجراح الدولة الفاطمية كموقفهم من حركة أبي ركوة ، وبني قرة ٠

وكذلك أوضحت موقف أمراء الكلبيين من الفاطميين ٠ وذكرت أن هذه القبيلة التي كانت على المذهب السني وقفت موقف المساعد من الدولة الفاطمية ٠ فقد ساعدوها في حربها ونشر نفوذها على بلاد الشام ٠ ولم يقف من زعماء هذه القبيلة موقفا عدائيا الا زعيمها سنان بن عليان الكلبي ، الذي اتفق مع القبائل العربية ضد الفاطميين ٠ ثم ما كان من موقف بعضهم حين استغلوا ضعف الاحوال الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية بعد الشدة العظمى ، فقاموا بمساعدة أهالي دمشق في ثورتهم ضد الفاطميين ٠ ولم أنس أن أوضح أن هؤلاء ركنوا الى الهدوء

حين أغراهم الفاطميون ببريق المال .

أما في الباب الثالث ، فقد استعرضت موقف أمراء العرب في شمال الشام من الفاطميين ، وهم الحمدانيون في حلب ، ثم المرداسيون الذين ورثوا امارتهم . وأثبت أثناء دراستي تشيع الحمدانيين لآل علي ثم أوضحت أسباب العداء الذي حدث بينهم وبين الفاطميين . وكذلك تعرضت لموقف كل أمير من أمراء الحمدانيين من الدولة الفاطمية ، كموقف أبي تغلب ، وسيف الدولة وسعد الدولة ، ثم سعيد الدولة وأبناؤه ، ثم موالي الحمدانيين . وبينت كيف كان الحمدانيون يعملون جاهدين على المحافظة على امارتهم وابعاد النفوذ الفاطمي عنها ، وكيف كانت المصالح السياسية عندهم مقدمة على المصالح المذهبية ، وأنهم لم يتورعوا عن طلب الحماية من البيزنطيين ليدفعوا عنها خطر الفاطميين . كما ذكرت أن موقف الحمدانيين هذا من الفاطميين ونجاحهم في الوقوف في وجههم ، إنما يدل على أن الحمدانيين لم يكونوا قد بلغوا درجة من الضعف تمكن الفاطميين من القضاء عليهم . وأثبت ذلك بالمعاهدة التي عقدها الفاطميون مع الحمدانيين سنة ٣٨٥هـ والتي ذكرها ابن ظافر الازدي في مخطوطته الدول المنقطعة . ثم كيف خضع الحمدانيون الأواخر للفاطميين ، مستدلة على ذلك بالنقود التي سكت في تلك الفترة .

كذلك لم أنس أن أوضح موقف آل مرداس من بني كلاب من الدولة الفاطمية . وبينت كيف اعتمد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله على صالح بن مرداس زعيمهم ليضرب به مرتضى الدولة بن لؤلؤ مولى الحمدانيين ، ثم كيف انقلب هذا على الفاطميين مستغلا الفوضى التي نشأت عقب وفاة الحاكم بأمر الله ، وتولي الظاهر لاعزاز دين الله . كما تحدثت عن اتفاق صالح بن مرداس مع القبائل العربية على اقتسام بلاد الشام ، وموقف الفاطميين من هذا التحالف وارسالهم الجيوش لقتاله ،

وكيف كانت نهايته على يد الفاطميين . وأوضحت أيضا موقف كل من أبنائه نصر وثمال من الفاطميين . ثم بينت كيف سلم ثمال بن صالح حلب للفاطميين والظروف التي دعته الى ذلك مما اضطر ابن أخيه محمود بن نصر الى استرجاعها بقوة السيف وكيف دعا محمود هذا للعباسيين حين ظهرت دولة السلاجقة القوية على مسرح الاحداث ، وأعادت الحياة للدولة العباسية ، بينما كانت الدولة الفاطمية تعاني من الازمات الاقتصادية والثورات الداخلية ، مما دعا محمود بن مرداس الى أن يترك الدعوة للفاطميين . ويدعو للعباسيين بعد أن أوضح ذلك فيما قاله لأهالي امارته.

أما في الباب الرابع فقد استعرضت موقف أمراء العرب بالعراق من الفاطميين ودعاتهم . ولم أنس قبل البدء بشرح موقف هؤلاء أن أمهد لذلك بالحديث عن انتصار الدعوة الفاطمية في العراق ، ثم موقف بني عقيل من ذلك . واقتضت وحدة الموضوع أن أوضح موقف العقيليين منذ الفتح الفاطمي لبلاد الشام بادئة بموقف ظالم بن موهوب العقيلي ، ثم استعرضت موقف أمراء العقيليين في الموصل من الدولة الفاطمية . ومن هذا العرض اتضح أنهم كانوا مترددين في ولائهم للخلافتين . ثم انتقلت في نفس الباب للبحث في موقف بني مزيد في الحلة . وأوضحت أن هذه القبيلة الشيعية التي كانت حامية للشيعة في العراق ، لم تكن تخلص للفاطميين وأنها في علاقتها معهم كانت تسير حسب ما تمليه عليها مصالحها الخاصة .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث واخراجه على هذا النحو .

والله ولي التوفيق ...

بحث في المصادر

لقد اعتمدت في بحثي هـذا على عـدد وافر من مصادر التاريـخ الاسلامي ، المخطوطة منها والمطبوعة • كما اعتمدت على عدد كبير مـن المراجع الحديثة ، العربية والاوربية • وسأقتصر في هذا العرض على عرض أهم المصادر والمراجع التي تتصل اتصالا مباشرا بموضوع البحث ، والتي برزت أهميتها من خلال معالجتي لهذه الدراسة • وفيما يختص بالمصـادر الخطية ، يأتي على رأسها المخطوطات الآتية :

١ ـ مخطوطة (الدول المنقطعة ، أو أخبار الزمـان في تاريخ بنـي العباس) ، لمؤلفه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الازدي ، المتوفى سنة ٦٢٣هـ • وقد أفادني الازدي فيمـا ذكره عـن القرامطـة وعلاقتهم بالفاطميين • فقد انفرد من بين المصادر العربية التي وصلت الى يدي بذكر ملك القرامطة لصعيد مصر وأسفل الأرض ، كما أشار الى أن المعز حمـل المال الذي كان يحمله كافورا الاخشيدي الى الحسن الأعصم عقب حصار القاهرة للمرة الثانية • وأمدني بمعلومات جيدة عما قدمه آل الجراح من مساعدات للفاطميين في قتال أبي ركوه ، وعن حركة أبي الفتوح بن جعفر الحسني ومساعدة آل الجراح له • وأمدني أيضا بمعلومات كثيرة عن الحمدانيين ودخولهم حلب ، وعن الأمير سعد الدولة وعلاقته بمواليه ، وموقف الدولة الفاطمية منهم جميعا ، وكذلك أوضح موقف سعيد الدولة الحمداني ومولاه لؤلؤ ، والحروب التي حدثت بين الفاطميين والحمدانيين في عهده ، وقـد انفرد الازدي بذكر معاهدة أبرمت بين الطرفين في سنـة ٣٨٥هـ • كمـا تحدث عن أبي تغلب الحمداني ومسيره الى بلاد الشام وقتله هناك ، وعن

تأسيس امارة المرداسيين ونهاية الحمدانيين .

٢ ـ أما مخطوطة (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) لمؤلفه سبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، فقد أفادتني فيما أوردته من معلومات في الحديث عن الفترة الواقعة بين سنتي ٣٥٨ و ٥٠٠هـ ، وخاصة عن فتح الفاطميين لبلاد الشام وموقف القرامطة من هذا الفتح . ويوضح المؤلف موقف الخليفة العباسي المطيع لله من القرامطة ، كما أنه يفصل الحديث في علاقة أفتكين بالفاطميين . وقد انفرد سبط بن الجوزي بذكر موقف آل الجراح من الحجاج المصريين ، وعدوانهم المستمر على الحاج من أجل الحصول على المال ، كما يتحدث عن مساعدة طيء ، التي منها آل الجراح للفاطميين في قتال أبي ركوه ، ويذكر علاقة قرواش العقيلي بالفاطميين ، ويورد لنا الخطبة التي خطبها لهم كاملة ، ويزيد على غيره من المؤرخين ما يذكره عن ارسال قرواش بعد الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله يطلب معونة مالية منه ، وكيف عاد الرسول بذلك وكيف وجد قرواشا قد قطع خطبة الفاطميين ، فاحتفظ بهذه المعونة في الرقة ولم يوصلها لقرواش . وتكلم أيضا عن معركة الاقحوانة بين أنوشتكين وأمراء العرب . ويفصل في نص الرسالة التي أرسلها أنوشتكين للخليفة الظاهر لاعزاز دين الله موضحا له النصر على صالح بن مرداس ، وحسان بن الجراح .

٣ ـ أما مخطوطة (زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة) للمؤرخ بيبرس الدوادار المتوفى سنة ٧٢٥هـ ، فقد أمدتني بمعلومات وافرة عن فتح الفاطميين لبلاد الشام وأسباب الفتح مستخلصة من نص الأمان الذي منحه جوهر لأهل مصر . وكذلك عن ارسال جعفر بن فلاح حملة لاسترداد انطاكية ، ثم مجيء القرامطة وحصارهم القاهرة ، وحركة أفتكين التركي ، وموقف ظالم بن موهوب العقيلي منه ، كما تحدث عن مجيء أبي تغلب الى الشام ، وقتال الفضل الفاطمي له ، ومقتله .

٤ ـ ومن هذه المخطوطات الهامة مخطوطة (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ . فمؤرخها من أهالي عينتاب ، ولذلك اهتم بالتأريخ لبلاد الشام . وقد أمدني بحقائق كثيرة عن كافة موضوعات الرسالة . وتمتاز هذه المخطوطة، بكون مؤلفها يذكر المصدر الذي أخذ عنه . أما بالنسبة للفترة التي تخص الرسالة والمحصورة بين سنتي ٣٥٨ و ٥٠٠هـ فقد انحصرت في الاجزاء ١٩ و ٢٠ من المخطوطة وكل جزء من هذين الجزأين يتألف من ثلاث مجلدات .

وأما المصادر المطبوعة فيأتي في مقدمتها بالنسبة لموضوع البحث :

١ ـ كتاب ظهير الدين الروذراوري المسمى (ذيل تجارب الأمم) والمتوفى سنة ٤٨٨هـ . ويمتاز هذا الكتاب بكون مؤلفه معاصرا لأحداث الفترة التي أعالجها . وكتاب ذيل تجارب الأمم هذا يبحث في الفترة الواقعة بين سنة ٣٦٩هـ و ٣٨٩هـ . ويمكن الاستفادة منه بشكل خاص في علاقة الحمدانيين بالفاطميين ، ولا سيما علاقة سعد الدولة الحمداني ومولاه بكجور ، ثم سعيد الدولة . ولا بد للباحث في علاقة آل الجراح بالفاطميين من الرجوع لما كتبه الروذراوري عن ذلك ، وخاصة التفاصيل التي يوردها عن القتال الذي دار بين آل الجراح وقائد الفاطميين يارختكين .

٢ ـ كتاب تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ويسمى أيضا (صلة تاريخ أوتيخا ، المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ، لمؤلفه يحيى ابن سعيد الانطاكي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، وهو مطبوع في باريس ضمن مجموعة **PATROLOGIA ORIENTALIS** والكتاب مفيد جدا ، وخاصة في معرفة علاقة الامارات العربية بالدولة البيزنطية . ويمكن للباحث أن يستخلص ذلك مما اورده عن التجاء زعماء العرب للبيزنطيين عقب الهزائم التي ألحقها بهم الفاطميون .

٣ ـ أما كتاب (سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة) لهبة الله الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠هـ ، فيمتاز بكون مؤلفه اشترك في الأحداث التي أرخ لها ، والتي انحصرت بين سنتي ٤٢٩ و ٤٥٠هـ • وهو المصدر الأول في علاقة آل مزيد بالفاطميين، كما يستفاد منه كثيرا في دراسة حركة البساسيري، وفي فهم تردد العقيليين في ولائهم للفاطميين •

٤ ـ أيضا كتاب (ذيل تاريخ دمشق) لابن القلانسي أبي يعلي حمزة المتوفى سنة ٥٥٥ هـ • ويعطي هذا الكتاب صورة واضحة للثورات التي قام بها أهالي دمشق ضد الفاطميين كما أنه يوضح بشكل ظاهر استنجاد سعد الدولة الحمداني بالروم ليتمكن من الوقوف في وجه الفاطميين •

٥ ـ ومن هذه الكتب الهامة كتاب (زبدة الحلب في تاريخ حلب) لمؤلفه ابن العديم الحلبي ، المتوفى سنة ٦٦٠هـ • ويعتبر هذا الكتاب تاريخا أصيلا لكل من يبحث في تاريخ حلب حتى وفاة ابن العديم ، وخاصة تاريخ الدولة المرداسية التي يفصل ابن العديم في رواية أحداثها ، فيعطي للقارىء صورة واضحة عن هذه الدولة • كما أن ابن العديم انفرد دون غيره من المؤرخين بحفظ بنود المعاهدة التي عقدت في صفر سنة ٣٥٩هـ بين الحمدانيين والبيزنطيين ، تلك المعاهدة التي تعتبر حجر الزاوية في تاريخ العلاقة بين الحمدانيين والبيزنطيين • ويعطي المؤرخ أيضا صورة واضحة عن مسلم بن قريش العقيلي وفتحه لمدينة حلب ، وقضائه على الدولة المرداسية •

٦ ـ أما كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٠هـ فهو أحد المصادر الرئيسية في التاريخ الاسلامي وقد تناول المؤلف في الأجزاء السادس ، والسابع والثامن ، تاريخ الفترة فيما بين سنة ٣٥٨ ـ ٥٠٠هـ • وقد استطعت أن أحصل منه على معلومات وافرة عن

موقف الامارات العربية مـن الفاطميين ، كموقف الحمدانيين والمرداسيين والعقيليين • كما افادني في معرفة علاقة آل مزيد بالفاطميين •

٧ ــ وكذلك كتاب (تاريخ مصر) لابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هـ • فقد اعطاني صورة واضحة عن الحملات التي كان يعدها الفاطميون لتأديب القبائل العربية في الشام : موضحا مدى اهتمام الخلفاء بتجهيزها بكافـة ما تحتاج اليه •

٨ ــ والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ في كتابه (اتعاظ الحنفا بأخبـار الأئمة الفاطميين الخلفا) يوضح لنا بشكل مفصل فتح الفاطميين لبلاد الشام وسياسة جعفر بن فلاح إزاء أهالي دمشق وسوء معاملته لهم ، مما كان له أسوأ الأثر في نفوس الاهالي • كما يتحدث عـن موقف قبيلة عقيل مـن الفتح الفاطمي ، وعن ارسال جعفر بن فلاح غلمانه لاستعادة انطاكية مـن الروم • وأفاض المقريزي في الحديث عن المعونة التي أرسلها أبـو تغلب الحمداني الى القرامطة ، كما يذكر ارسال القرامطة لمراكب بالبحر وشحنها بالمقاتلة ووصولها الى تنيس • ويورد لنا النص الكامـل للكتاب الـذي أرسله المعز لدين الله الفاطمي للحسن بن أحمد القرمطي • وكذلك الكتاب الذي أرسله المعـز لجوهر ، ومنـه يتضح عـدم ثقة الخليفـة الفاطمي بالحمدانيين • وفي كتابه هـذا ، وكذلك في كتابـه « الخطط » ينفـرد المقريزي بذكر وصول آل الجراح الى مدينة العريش •

٩ ــ وأما الدواداري ابو بكـر بن عبد الله بن ايبك صاحب صرخد المتوفى في القرن الثامن الهجري (بعد سنة ٧٣٦هـ) ، وصاحب مخطوطة : (كنز الدرر وجامع الغرر) فالذي يهمنا منها هو الجزء السادس المطبوع والذي حققه صلاح الدين المنجد بعنوان (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) وقد بدأ المؤلف في هذا الجزء بحوادث سنة ٣٥٩ هـ • واستمد

مادته فيه من مصادر أغلبها مفقود ، منها أخبار الشام للسميساطي ، وهو ذو فائدة كبيرة في دراسة آل الجراح وموقفهم مع كل من الفاطميين والبيزنطيين • ويعتبر هذا الكتاب أحد المصادر الأصيلة في التعرف على حقيقة علاقة سعد الدولة الحمداني بمولاه بكجور وبالفاطميين •

* * *

هذا ويجب أن نشير ــ ونحن في صدد حديثنا عن المراجع الحديثة التي أفدت منها ــ الى ما ألفه الدكتور محمد جمال الدين سرور • ويأتي على رأسها كتاب سياسة الفاطميين الخارجية • ثم كتابي النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، والنفوذ الفاطمي في جزيرة العرب • فقد امدتني بمعلومات وافرة عن فتح الفاطميين للشام ، والصعوبات التي واجهوها في الفتح • كما استفدت منها في بحثي عن انتشار النفوذ الفاطمي في العراق، وفي حركة أمير مكة الحسن بن جعفر الحسني الملقب بالراشد •

وكذلك استفدت من كتب الدكتور حسن ابراهيم حسن ، مثل كتاب الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب • وكتاب تاريخ الاسلام السياسي •

ومن المراجع الحديثة التي استفدت منها أيضا كتاب دولة بني عقيل في الموصل للسيد خاشع المعاضيدي • والذي أمدني بمعلومات واسعة عن دولة بني عقيل في الموصل •

واما عن المراجع الاجنبية ، فيجب أن أشير الى ما كتبه المؤرخ الفرنسي كنار CANARD بعنوان :

Histoire De La Dynastie Des Hamdanides De Jazira et De Syrie

وهو مرجع هام للغاية في بحث علاقة الدولة الحمدانية بالفاطميين •

وكذلك يجب ان لا ننسى ـ ونحن في صدد هذا البحث ـ أن نذكر فضل المؤرخ الفرنسي WIET في دراسة تاريخ مصر العربية في كتابه المشهور L'Egypte Arabe فالجزء الذي كتبه في هذا الكتاب عن مصر الفاطمية يعتبر من أهم ما كتب عن هذه الفترة من تاريخ مصر •

★ ★ ★

البَابُ الأوّل

امتِدَادُ سُلطَانِ الفَاطِميّينَ إلى بِلَادِ الشَّامِ

١ ـ الحياة السياسية في بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي :

ـ حرص الاخشيديين على توطيد سلطانهم في بلاد الشام •

ـ الحمدانيون في حلب يعملون على انتزاع بلاد الشام •

ـ القرامطة ينافسون الاخشيديين في السيطرة على بلاد الشام •

ـ هجوم الروم على بلاد الشام •

٢ ـ الفتح الفاطمي لبلاد الشام :

ـ فتح الرملة ـ خضوع طبرية ـ الاستيلاء على دمشق •

٣ ـ عدم استقرار سلطان الفاطميين في الشام :

آ ـ مناهضة القرامطة للنفوذ الفاطمي •

ب ـ حركة افتكين التركي •

١ـ الحياة السياسية في بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي

بعد أن نجح محمد بن طفج الاخشيد في الاستقلال بمصر ، عول على ضم بلاد الشام الى دولته ، كما فعل أحمد بن طولون من قبل • وقد نجح في تحقيق هذا الهدف ، غير أن سيادته على بلاد الشام ما لبثت أن تعرضت للخطر ، بسبب كثرة القوى السياسية التي تتنازع السيادة على بلاد الشام في هذه الفترة • ولنحاول في هذه السطور القليلة أن نستعرض جهود الاخشيد وخلفائه في الاحتفاظ ببلاد الشام •

١ ـ ويأتي في مقدمة هذه القوى محمد بن رائق الخزري ، الذي كان يطمع في ولاية الشام • ويطمح أن يحصل عليها من الخليفة العباسي • ونتيجة للجهود التي بذلها في ذلك استطاع ابن رائق أن يحصل على تقليد بولاية الشام من الخليفة الراضي • وتمكن بذلك أن يبتعد عن المنازعات في بغداد التي كانت تتأجج نارها من أجل منصب أمرة الامراء • وسار في ربيع الثاني سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م الى أن أتى مدينة حلب [١] • وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من الصدامات بينه وبين محمد بن طغج الاخشيد • ففي الحرب التي جرت بينهما في بلدة العريش [٢] ، انهزم ابن رائق الى الرملة • ثم انطوى هذا النزاع بين الطرفين بعقد صلح بينهما [٣] ، على أن يحكم

(١) بيتشوف : تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ، طبعة بيروت ١٨٨٠ ، ص ٢٨ •

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الاولى ١٣٠٣ ، جزء ٢ ، ص ٣٩٧ •

(٣) Encyc of Isl Article « HALAB » , Vol. II, P. I. , p. 230

ابن رائق الولايات الشامية شمالي الرملة ، وعلى أن يدفع الاخشيد إليه جزية سنوية قدرها مائة وأربعون ألف دينار [٤] .

ولا نشك في أن الظروف المحيطة بالاخشيد ، هي التي دعته الى عقد الصلح على هذا الشكل . فقد أصبح يخشى تهديد الفاطميين له ، حيث أن قوتهم تزايدت في المغرب ، وأصبح في مقدورهم أن يهددوه في مصر . ثم ما لبث ابن رائق أن توفى بعد عقد المعاهدة بسنتين ، وعادت بلاد الشام لحوزة الاخشيد دون حرب [٥] . وفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤ م استطاع أن يحصل على تقليد من الخليفة المتقي بولاية مصر . وحق توريث امارتها لأبنائه من بعده [٦] .

٢ ـ ما لبثت أن تعرضت سيادة الاخشيد على بلاد الشام لأطماع الحمدانيين الذين كانوا قد أسسوا دولتهم في الموصل . وكان أحمد بن سعيد الكلابي قد ولي أمور حلب من قبل الاخشيد ، فاستدعى قبيلته من نجد لتكون عونا له في الولاية والحكم [٧] . لكن أفراد عشيرته من الكلابيين حسدوه على هذه الولاية . وراسلوا سيف الدولة بن حمدان ليسلموا اليه حلب . ووجد ذلك هوى في نفس سيف الدولة الذي كان يرى أن ارض الشهباء هي خير مكان لتحقيق أمنياته . وقد حدث أخاه

---

(٤) LANE POOLE : The History of Egypt in the Middle Ages Vol. VI, London 1951 , p. 93 .

(٥) LANE POOLE : Op. Cit., p. 84 .

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ١٠٧ ـ حسن محمود وأحمد الشريف : العالم الاسلامي ، ص ٤٣٩ .

ـ سامي الكيالي : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، طبعة مصر ١٩٥٩ ، ص ٦٦ .

ـ سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، طبعة أولى ١٩٥٠ ،ص٣٤٩

Encyc of Isl Article « HALAB » , Vol. II, P. I., p. 230

ناصر الدولة الحمداني بولاية ، فقال له : « الشام أمامك . وما فيها أحد يمنعك » . فسار الى حلب ودخلها في سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م ، ودخل الكلابيون في طاعته .

وهكذا تيسر لسيف الدولة الحمداني أن يقيم لنفسه امارة في حلب ، وأقام الخطبة للخليفة العباسي المستكفي . وبدأ بذلك نزاع جديد ، ومنافسة على السيطرة على بلاد الشام بين الحمدانيين والاخشيديين . فمنذ وردت الانباء الى محمد بن طغج الاخشيد بدخول سيف الدولة الى حلب ، أراد الحيلولة دون بقائه فيها ، وابعاده عن بلاد الشام . ولكنه أراد قبل أن يحاربه أخذ رأي الخليفة العباسي ، فكتب إليه يستأذنه في ذلك . غير أن الخليفة العباسي في ذلك الوقت لم يكن له حول ولا طول ، ومن ثم اكتفى بأن أرسل خلعة الى الاخشيد وابنه دليلا على تأييده لهما .

وبذلك سنحت الفرصة لهاتين القوتين المتصارعتين أن تستقرا معا في بلاد الشام ، اذ أن مطامع سيف الدوله لم تكن تنحصر في حلب وحدها ، فقد كان يحلم ببلاد الشام كلها . فما أن استقرت له الامور في حلب ، حتى سار الى حمص يريد دمشق . وبلغ الاخشيد ذلك فأرسل الى الشام جيشا مر بدمشق ، وسار الى حمص حيث التقى بسيف الدولة عند بلدة الرستن [٨] ، وكان النصر لسيف الدولة ، وتقهقر جيش الاخشيد الى دمشق ، وخرج منها قاصدا الرملة ليعود الى مصر [٩] . وسار سيف الدولة في أثرهم يريد دمشق وعندما دخلها كتب الى أهلها كتابا قريء على منبر المسجد الأموي فيها ، وحملت نسخته الى الاخشيد . وقد تضمن

---

(٨) تقع الرستن في منتصف الطريق بين حماه وحمص .
LE STRANGE : Palestine Under the Moslems, London 1890, p. 519 — 520 .

(٩) سيدة كاشف : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

حرص سيف الدولة على صيانة أرواح الأهالي ، والمحافظة على أموالهم [10] .

عزم الاخشيد بعدها على المسير بنفسه للقاء سيف الدولة . فاستخلف على مصر ابنه اونوجور ، وسار على رأس جيش الى دمشق . والتقى الفريقان في قنسرين في شوال سنة ٣٣٣هـ/مايو ٩٤٥ م . وفي البداية كان النصر حليف سيف الدولة ، غير أن هذا النصر ما لبث أن انقلب الى هزيمة ، ودخل الاخشيد حلب حاضرة الحمدانيين ، واسترد دمشق . ولكنه على الرغم من ذلك رأى أنه من المصلحة أن يصالح الحمدانيين . وتم الصلح بينهما على شروط منها :

أ ـ أن يكون لسيف الدولة حلب وما يليها من بلاد الشام شمالا ، وأن يكون للاخشيد دمشق وأعمالها .

ب ـ أن يدفع الاخشيد لسيف الدولة جزية سنوية [11] .

ولنا أن تتساءل عن الأسباب التي دعت الاخشيد الى عقد الصلح على هذا الشكل على الرغم من انتصاره على سيف الدولة . ؟ من المرجح أنه قام بذلك للأسباب الآتية :

أ ـ الخطر الذي كان يحدق بمصر من الفاطميين الذين تزايدت قوتهم في المغرب ، وأخذوا يرسلون الحملات المتتالية لاحتلال مصر .

ب ـ أن تبقى الدولة الحمدانية حصنا منيعا بينه وبين البيزنطيين ، فلا

---

(١٠) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١١٤ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، طبعة دمشق ١٩٢٥ ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .
(١١) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١١٤ .
LANE POOLE : Op. Cit., p. 84 — 85

يستطيع هؤلاء التعرض لأملاكه من وقت لآخر [12] .

جـ ـ ان هذا الاقليم يعد المجال الحيوي لاتساع سلطان الحمدانيين الذين أسسوا دولتهم في الموصل .

د ـ ان انتصاره لم يكن حاسما ، والحرب ستظل قائمة الى ان يتم النصر لسيف الدولة [13] . وقد توفي الاخشيد بعد ذلك ، ورأى سيف الدولة أن ينقض الصلح وأن يستغل فراغ دمشق من حامية قوية بعد غياب الاخشيد وعودة جنوده الى مصر . فاتجه بجيشه إليها ، وسقطت في يده بعد أن استسلم إليه حاكمها الاخشيدي . وبدأ سيف الدولة بمطالبة الأهالي بودائع الاخشيد . فرأى هؤلاء ـ أنه من المصلحة ـ مكاتبة كافور في مصر واستدعاءه . فجاءهم مسرعا ، ونشب قتال بين الفريقين . فكان النصر حليف الاخشيديين ، وتقهقر سيف الدولة إلى دمشق فحمص . وهناك جمع جيشا وعاد لمهاجمة جنود الاخشيديين شمالي دمشق ، فلحقت الهزيمة به وتقهقر بقواته حتى الرقة . عند ذلك بدأت المفاوضات بين الطرفين ، وعقدت معاهدة الصلح بنفس الشروط التي كانت بين محمد بن طغج الاخشيد وسيف الدولة ، ما عدا الجزية فان كافورا لم يقبل دفعها . وانتهت الحروب بين الدولة الاخشيدية وسيف الدولة على أثر هذا الصلح، وساد الصفاء بينهما [14] .

٣ ـ كما تعرضت سيادة الاخشيديين على بلاد الشام للخطر من جانب القرامطة . فقد هاجموا بلاد الشام في سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م ، وانتصروا

---

(١٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، الطبعة السابعة ١٩٦٥ ، جزء ٣ ، ص ١٢١ .
ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١١٥ .
(١٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١١٥ .
(١٤) سيدة كاشف : المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

عليهم • ثم قاموا بهجوم آخر سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م على الحسن بن عبيد الله ابن طغج صاحب الشام ، فتعهد لهم بأتاوة سنوية كبيرة (١٥) ، وقدرها ثلاثمائة ألف دينار كل سنة (١٦) • وامتد بذلك نفوذ القرامطة الى بلاد الشام في أواخر عهد الاخشيديين • وقد قام القرامطة بذلك بوحي من أنفسهم ، ولم يكن ذلك بإذن من الخليفة الفاطمي الذي كان يعتبر بالنسبة لهم — حتى ذلك الحين — الزعيم الديني • وهذا يدل على أن القرامطة بدأوا يعملون مستقلين عن الفاطميين •

٤ — كما استغل الروم في عهد الامبراطور نقفور هذه الأوضاع المضطربة في بلاد الشام ، فأغاروا عليها سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨ م • ولم يجدوا في البلاد من يقاتلهم ، فساروا الى قلعة عرقة (١٧) فملكوها ونهبوها وسبوا أهلها ، ثم قصدوا حمص فأحرقوها ، ورجعوا الى ساحل الشام فنهبوه وخربوه وكانت الأحوال قد وصلت بالبلاد وأهلها الى وضع لم يستطيعوا معه المقاومة ، كما ازداد خوفهم من الروم بعد أن رأوا الامبراطور نقفور يخرب وينهب دون أن يمنعه أحد (١٨) •

وقد نبهت هذه الجولة الناجحة حكام الروم ، وأشعرتهم بضعف حكام البلاد وبما كان يسودها من فوضى • فقرروا حصار أنطاكية في ذي الحجة سنة ٣٥٨هـ/اكتوبر ٩٦٩م ، وقد عملوا شتى الوسائل للسيطرة

---

(١٥) حسن ابراهيم حسن ، طه أشرف : المعز لدين الله ، طبعة الازهر ١٩٤٧ ، ص ٧٣ •

(١٦) المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، ص ١٨٦ — ١٨٧ •

(١٧) قلعة عرقة احدى القلاع باقليم طرابلس — انظر :
LE STRANGE : Op. Cit., p. 351 — 352

(١٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، المطبعة المنيرية ١٣٥٣ ، جزء ٧ ، ص ٣٤

عليها . ولعبت خيانة أهل حصن لوقا [١٩] دورا كبيرا في ذلك ، فقد حاصر الروم حصنهم ، وانتهى الحصار على اتفاق سري بينهما على أن يظهروا أنهم انتقلوا من الحصن الى أنطاكية خوفا من الروم ، وأن يعملوا على مساعدتهم في فتحهـا .

وفي محرم سـنة ٣٥٩هـ/نوفمبر ٩٦٩م حـاصر الروم انطـاكية ، فساعدهم أهل حصن لوقا على دخولها ، وما أن دخلوها حتى وضعوا السيف في أهلها ، وطردوا المشايخ والعجائز ، وسبوا الشبان والشابات ، وهـم يزيدون على عشرين ألف انسان [٢٠] .

وبعد فتح انطاكية اتجه الروم بجيوشهم الكثيفة الى حلب ، وكان بها قرعويه السيفي غلام سيف الدولة[٢١] ، فتمكنوا من دخولها . وتحصن قرعويه والأهالي بالقلعة فحاصروهم فيها ، فخرج اليهم جماعة من أهل حلب واستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبدة [٢٢] في صفر سـنة ٣٥٩هـ/ديسمبر ٩٦٩م [٢٣] على أن يحمل لهم قرعويه جزية عن كل صغير وكبير من سكان

---

(١٩) حصن بالقرب من أنطاكية في بلاد الشام .
انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦ .

(٢٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢١) قرعويه غلام سيف الدولة . استولى على حلب سنة ٣٥٨ هـ وأخـرج سعد الدولة منها وقبض عليه بكجور وحبسه في القلعة .
انظر بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٢٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٧ .
— بيبرس الدواداز : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٦ — ٢٤٠٢٧ ، جزء ٥ ، ص ٢١٠ .

(٢٣) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ، الامبراطور يوحنـا تزيمكس وسياسته الشرقية ، طبعة ١٩٦٦ ، ص ١٠٦ .
CANARD : Histoire De La Dynastie Des Hamadanids De Jazira et De Syrie, 1951, p. 831

المواضع التي وقعت عليها الهدنة ، مقدارها دينار واحـد قيمته ستة عشر درهما اسلامية ، وأن يحمل إليهم في كل سنة عن البلاد التي وقعت الهدنة عليها سبعمائة ألف درهم [٢٤] • كما شرطوا أن الأمير على المسلمين قرعويه، وأن الأمر بعده لبكجور ، وبعدهما ينصب ملك الروم أميرا يختاره من سكان حلب ، وليس للمسلمين أن ينصبوا أحدا • وأن لا يؤخذ من نصراني جزية في هذه الاعمال إلا إذا كان له بها مسكن أو ضيعة • وشرطوا ايضا أنه إن ورد عسكر اسلامي يريد غزو الروم يمنعه قرعويه ، ويقول لـه : (امض من غير بلادنا ، ولا تدخل بلد الهدنة) ، فان لم يسمع أمير ذلك الجيش قاتله ومنعه،وإن عجز عن دفعه كاتب ملك الروم لينفـذ إليه من يدفعه ••• الى غير هـذه الشروط التي تظهـر ضعف المسلمين وتمادي الـروم ••

ويتضح من مجريات الحوادث أن قرعويه هو المسؤول عن عقد اتفاقية صفر ٣٥٩هـ/ديسمبر ٩٦٩م مع البيزنطيين •• ومن المرجح أن هذا الامير قد واظب على دفع الجزية للبيزنطيين طبقا للاتفاقية المذكورة لكي يتمكن من الاحتفاظ بمركزه • أما سعد الدولة الحمداني فكان قد اتخذ مقامه في معرة النعمـان ، وأشرف على شـؤون امارته غلامه رقطاش وكان يلي حصن برزويه [٢٥] • وامتنع سعد الدولة عن دفع ما هو مقرر من الجزيـة على

---

(٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق الدهان،الجزءالاول ص ١٦٣ — ١٦٨ •
ويذكر سبط بن الجـوزي في مـرآة الزمان ، مخطوطة مصورة بـدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ ، جـزء ١١ ، ورقة ١٠ هذه البـلاد بترتيب مختلف عما ذكره ابن العديم •

(٢٥) بروزيه : حصن يقع على قمة مرتفعة ، وهو عبارة عن قلعة صغـيرة حصينة تقع الى الشمال الغربي من أفامية على مسيرة يوم واحد • انظـر :

LE STRANGE : Op. Cit., p. 421

البلاد التي في يده ، والتي هي جزء من امارة حلب • وكان امتناعه عن ذلك سببا في أن امبراطور الروم تزيمكس [٣٦] عندما قام بحملته على الشـــام هاجم البلاد الخاضعة لسعد الدولة بما فيها حصن برزويه [٣٧] •

كانت هذه هي أوضاع بلاد الشام عندما فكر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في فتحها • حمدانيون واخشيديون يتصارعون • وليس هـــذا فحسب ، بل إن الحمدانيين أنفسهم كانوا في خلاف مع مواليهم منذ وفاة سيف الدولة • وقرامطة يحاولون السيطرة على البلاد ، والحصول على أكبر كسب مادي منها • وبيزنطيون قد نهضوا في عهد الأسرة المقدونية ، وحاولوا أن يستغلوا هذه الظروف ، فأغاروا على بلاد الشام ، واستطاعوا اقتطاع أجزاء منها ، وفرض نفوذهم عليها •

ولنحاول أن نستعرض ــ في شيء من الايجاز ــ العوامل التي أدت الى قيام الفاطميين بفتح بلاد الشام ، وأثر هذه العوامل على الفتح وعلى السيادة الفاطمية على بلاد الشام •

---

(٣٦) يوحنا تزيمكس : المعروف عند العرب يانس بن الشمشقيق .
انظر ــ ابن الشحنة : الـدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، طبعـه بيروت ١٩٠٩ ص ٢١٠ .
ــ عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ ، طبعه ١٩٦٧، ص٥٣ .
(٣٧) عمر كمال : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

٢ - الفتح الفاطمي لبلاد الشام

هذا ويمكننا أن نلخص الاسباب التي دعت الفاطميين الى القيام بفتح الشام على النحو التالي :

١ - رغبة الفاطميين - وخاصة المعز - في احتلال بلاد المشرق بعد فتح مصر . وكان عليهم أن يثنوا بفتح الشام ليتخذوا منها جسرا يعبرونه لفتح بغداد نفسها ، وكان الخليفة الفاطمي المعز يمني أنصاره بفتح سلمية ودخول بلاد الشام . ويظهر لنا ذلك مما دار بين المعز وأنصاره عندما قدم لهم طبقا من التفاح قائلا لهم : (هذا تفاح جاءنا من المشرق ، من البلد الذي خرج منه المهدي والقائم صلوات الله عليهما ، ومن الضياع التي كانت لهما . ودفع الى كل واحد منا شيئا منه . وقال : تبركوا به ، فانه نرجو إن شاء أن تجنوه معنا بأيديكم ، وقد أنجز الله لنا وعده ، وأهلك عدونا بفضله) .

وتتأكد رغبة الفاطميين في القضاء على الخلافة العباسية واحلال بغداد محل المهدية بعد فتح مصر ثم الشام في ذلك الحديث الطريف الذي دار بين المعز في مصر ورسول الامبراطور البيزنطي قائلا له : (أتذكر اذ أتيتني رسولا وأنا بالمهدية ، فقلت لك لتدخلن علي وأنا بمصر مالكا لها . وأنا أقول لك لتدخلن علي بغداد وأنا خليفة) [1] .

---

(١) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله الفاطمي ، ص٧٤-٧٦ .

٢ ــ الضرورة السياسية والحربية كانت تقتضي من الفاطميين ــ بعد أن تم لهم فتح مصر ــ أن يولوا وجوههم شطر بلاد الشام . ولم تخف تلك الحقيقة عن جوهر الصقلي [٢] ، اذ أنه كان يرى أنه لا بد لتأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقي للوقوف في وجه الروم والقرامطة ، ولن يتحقق ذلك الا بفتح الشام . كما أن فتح الشام سوف يهيىء للفاطميين من الناحية البحرية السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط [٣] .

وقد تضمن كتاب الامان الذي أعلنه للمصريين إشارة واضحة الى خطر القرامطة الذين اجتاحوا بلاد الشام[٤] ،وأوقعوا الهزيمة بقوات الاخشيديين سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م ، وأخذوا يهددون مصر . فجاء فيه (وهو ــ أنه صلوات الله عليه ــ لم يكن اخراجه العساكر المنصورة ، والجيوش المظفرة الا لما فيه اعزازكم وحمايتكم ، والجهاد عنكم اذ قد تخطفتكم الايدي واستطال عليكم المستذل ، وأطعمته نفسه في الاقتدار على بلدكم في هذه السنة ، والتغلب عليه ، وأسر من فيه ، والاحتواء على نعمتكم وأموالكم . حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق . وتأكد عزمه واشتد كلبه فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه باخراج العساكر المنصورة . وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق ، الذين عمهم الخزي ، وشمتلهم الذلة، واكتنفهم المصايب) [٥] .

---

(٢) عن سيرة جوهر الصقلي أنظر صلاح الدين الصفدي : امراء دمشق في الاسلام ، طبعة دمشق ١٩٥٥ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ص ٢٤ .
Encyc of Isl. Article « Djawhar » , Vol. I., P: II , p. 1028

(٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤ ، ص ١٥١ .

(٤) انظر لتوضيح موقف القرامطة ، فيما بعد ، ص ٤٩ ، وص ٥٢

(٥) بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، مجلد ٦ ، ص ٢٠١ .

ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، جزء ١ ص ١٠٣ ــ ١٠٤ .

كما وردفي هذا الامان أيضا (ولكم علي أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجـدد المتأكد على الايام وكـرور الاعوام في أنفسكم وأموالكم وأهلكيم أن لا يعترض عليكم معترض ، ولا يتجنى عليكم متجن، ولا يتعقب عليكم متعقب ، وعلى أن تصانون ، وتحفظون ، وتحرسـون ويذب عنكم ، ويمنع منكم ، فلا يتعرض الى أذاكم ولا يسارع أحـد في الاعتداء عليكم) [٦] .

٣ ـ المنافع الاقتصادية التي يمكن أن تجنيها الدولـة الفاطمية من خيرات بلاد الشام ، وقد كانت حاصلاتها متممة لحاصلات مصر .

٤ ـ أراد جوهر الصقلي أن يبعد جعفر بن فلاح بهذا الفتح عن مصر خشية أن ينافسه في حكمها ، لما اشتهر به جعفر من الشجاعة وحسن القيادة ... وقد كان جعفر يرى نفسه أجل من جوهر . فلما قدم جعفر معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام في العساكر . ولما ملك دمشق شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر ، فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب مباشرة ، يذكر فيها طاعته ، ويصف ما فتح الله للمعز على يده . فغضب المعز لذلـك ورد كتبه كما هي مختومة ، وكتب إليه (قد أخطـأت الرأي لنفسك ، نحن قد أنفذناك مع قائدنا جوهر ، فاكتب إليه ، فما وصل منك الينا على يـده قرأناه ، ولا تتجاوزه بعد . فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذي أردته وإن كنت أهله عندنا ، ولكننا لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا) . فزاد غضب جعفر بن فلاح [٧] .

٥ ـ أدرك المعز رغبة البيزنطيين في انتزاع الاراضي التابعة للدولـة العباسية ، بعد أن أدرك الجميع ضعفها . وكان البيزنطيون قد تقدموا فعلا

---

(٦) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٨ .
(٧) المقريزي : الخطط المقريزية ، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ ، جزء ٢ ، ص ٢٠٦ .

في البلاد ، واحتلوا بعض المدن والثغور مثل طرسوس ، وانطاكية ، وأذنه[8] والمصيصة[9] وغيرهـا • ورأى المعز بمقدرتـه السياسية أن يستغل تلك الفرصة ، وما أصاب المسلمين من متاعب في هذه البلاد[10]، بأن يظهر نفسه أنه لايقل عن العباسيين حماسا في الدفاع عن الاسلام ، وخاصة حينما يرونه قد أعلن الجهاد ضد البيزنطيين • كما ويبرز أمام سكان هذه الجهات كمخلص لهم من قبضة الاعداء البيزنطيين ، وخاصة وقد ظهر للملأ ضعف العباسيين، وعدم استطاعتهم مقاومة البيزنطيين ، وقد غلب بنو بويه عليهم وأصبحوا ولا حكم لهم معهم •

وقد انشد ابن هانيء مخاطبا المعز مبينا الاوضاع في بلاد الشام والعراق في تلك الفترة • وضعف القائمين في الامر عن حمايتها فقال :

فمدينة من بعد أخـرى تستبى	وطريقه من بعـد أخرى تقتفى
حتى لقد رجفت ديار ربيعـة	وتزلزت أرض العـراق تخوفـا
والشام قـد أودى وأودى أهله	الا قليلا والحجاز على شفا[11]

---

(8) اذنه : تقع على ضفة نهر سيحون والى غربه ، بينها وبين انطاكية ثلاثة أميال. ويقال بأنه أعيد بناء هذه المدينة في سنة ١٤١هـ/٧٥٨م وسكنتها فرق من خراسان • والمدينة وهي وكأنها النصف الآخر لمدينة المصيصة وهي مدينة جميلة اراضيها خصبة .

انظـر : LE STRANGE : Op. Cit., p. 382 — 383

(9) المصيصة : تقع على على نهر سيحون بين انطاكية ، وتركيا اليـوم ، بينها وبين اذنه جسر طوله ٩ أميال .

— انظـر : LE STRANGE : Op. Cit., p. 382 — 383

(10) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب ، جزء ٤ ، ص ٧٢ .

(11) ابراهيم جلال : المعز لدين الله ، طبعة ١٩٤٤ ، ص ٦١ .

ولا شك أن هذه الاسباب مجتمعة أغرت خلفاء الفاطميين بالسعي للسيطرة على بلاد الشام ، وخاصة اذا ما علمنا أن للفاطميين أطماعا تتعدى شمال افريقية الى القضاء على الدولة العباسية بالذات ، وتقويض دعائم خلافتها ، وانتزاع زعامة الاسلام منها .

★ ★ ★

وقد استطاع جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي أن يفتح مصر في سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م ، وتمكن من تثبيت أقدامه فيها ،وأقام الخطبة على منابرها للخليفة الفاطمي بدلا من العباسي . ومن ثم بدأ التفكير جديا في فتح بلاد الشام ، كمقدمة للسيطرة على العراق ، والقضاء على الدولة العباسية . ولتحقيق ذلك سير جوهر الصقلي القائد جعفر بن فلاح الى الشام [١٢] .

وفي تلك الاثناء كان الحسن بن عبيد الله بن طغج الاخشيدي[١٣] واليا على الرملة ودمشق . فلما بلغه دخول جوهر الصقلي الى مصر ،وتثبيت أقدامه فيها ، ترك دمشق بعد أن استخلف عليها شمولا مولى كافور الاخشيدي [١٤] . ونزل الرملة وتأهب لقتال من يسير اليه من مصر . وقد

---

(١٢) جعفر بن فلاح فاتح بلاد الشام للخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وهو أول أمير وليها للفاطميين . وساعد جوهر في فتح مصر . ثم سار لحربه الحسن بن أحمد القرمطي ، فظفر به لانه كان مريضا ، وقتله وقتل من خواصه خلقا كثيرا وذلك في ذي القعدة سنة ٣٦٠ هـ .
انظر الذهبي : تاريخ الاسلام ، مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٢ تاريخ ، جزء ٢١ ، ص ٢٨٧ .

(١٣) عن سيرة الحسن بن عبيد الله بن طغج : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية في دمشق رقم ٣٣٦٩ ، جزء ٤ ، ورقه ٢٣٥ .

(١٤) مسكويه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٧ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٨ .

أرسل أثناء وجوده بالرملة الى عامليه على دمشق وبيت المقدس يطلب من كل منهما ارسال مدد له. غير أن كلا منهما تقاعد عنه، مما كان له أسوأ الاثر في موقفه [15].

وقد حارب جعفر بن فلاح الاخشيديين في ثلاث معارك كتب له النصر فيها جميعا. ففي مدينة الرملة دارت المعركة الاولى مع الحسن الاخشيدي. وكانت المعركة حامية، وصمد الحسن الاخشيدي في البداية، ولكنه ما لبث أن انهزم أمام وطأة جند الفاطميين، وخاصة بعد أن نجح جعفر بن فلاح في أن يغرر بعماله مرسلا اليهم كتبه يدعوهم فيها الى طاعة المعز. وقد نجح جعفر في خطته هذه، ودارت الدائرة على الحسن الاخشدي في شهر ذي الحجة سنة ٣٥٨هـ/اكتوبر ٩٦٩م [16]. بل إنه وقع أسيرا في يد جعفر بن فلاح، كما قتل كثير من أصحابه. وقد بعث به جعفر ابن فلاح الى الفسطاط، حيث سيق الى بلاد المغرب، وظل بها حتى مات. هذا ويمكننا أن نرد هزيمة الحسن الاخشيدي الى العوامل الآتية:

١ — إن كثرة حروبه مع القرامطة ذهبت بقوته وأضعفته، وخاصة

---

(١٥) الدواداري: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص ١٢١.

(١٦) مسكويه: المصدر السابق، جزء ٢، ٢٥٧.
— ابن الاثير: المصدر السابق، جزء ٧، ص ٣١ — ٣٢.
— هذا ويذكر يحيى بن سعيد الانطاكي: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ضمن مجموعة Patrologia Orientalis، طبعة باريس ١٩٣٢ (جزء ٢، ص ٣٤٩) أن جعفر بن فلاح دخل مدينة الرملة في شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٩ هـ.
— بينما يذكر المقريزي: في كتابه (اتعاظ الحنفا، طبعة المجلس الاعلى ص ١٢٣، أن الحسن الاخشيدي حاربه في الرمله وأسره في رجب سنة ٣٥٩ هـ).

الهزيمة التي لقيها قبل قتاله للفاطميين مباشرة . اذ أنه عندما تأهب لحرب الفاطميين الذين احتلوا مصر واتجه الى الرملة ، وردت إليه الاخبار بأن القرامطة قد ساروا من بلدهم قاصدين اليه ؛ فلقيهم الحسن الاخشيدي ، وانهزم أمامهم ، وانتهى القتال بعقد صلح بين الطرفين . ومكث جيش القرامطة على الرملة ثلاثين يوما ، ثم رحلوا عنها بعد أن صالحهم الحسن وصاهرهم [17] . وكان لهذه الهزيمة أكبر الاثر في نفس الفاطميين الذين استصغروا شأن الحسن واستضعفوه ، وأرسلوا إليه جيوشهم .

٢ ــ تقاعس رجاله عنه ، بل خيانتهم له . فقد خلف شمولا على دمشق ثم طلب منه نجدة فلم يفعل وتقاعد عنه . بل كان في نفس الوقت يكاتب جوهراً الصقلي ويعده المساعدة . كما تمكن جعفر بن فلاح من استمالة ابن ملهم والي طبرية وخداعه ، فتقاعد عن نصرة الحسن . وقد سار سيرتهما الصباحي والي بيت المقدس [18] .

٣ ــ سياسة جعفر بن فلاح في استمالة ولاة الاعمال ، فقد كان يمنيهم في كتبه التي أرسلها اليهم ويعدهم بالاحسان اذا ما دخلوا في طاعة المعز[19] .

وبعد أن استولى جعفر بن فلاح على الرملة بدأ يستعد للمرحلة الثانية، وهي فتح طبرية ، فبنى عند جسر الصيرة [20] قصرا له ، ليحارب من هناك فاتكا غلام ملهم الذي كان واليا عليها من قبل كافور الاخشيدي . فخافه

---

(١٧) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، نفس الطبعة ، ص ١٢٣ .
(١٨) الدواداري : الدرة المضيئة ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .
(١٩) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٣ .
(٢٠) الجسر الذي يشرف على مدينة طبرية .
ــ أنظر الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

كل من فاتك وملهم ، ولم يتعرضا له ، بل انهما أقاما الدعوة للمعز في طبرية . وهكذا دخل جعفر طبرية ، دون أن يلقى مقاومة تذكر من أهلها (٢١) .

وقد قامت سياسة جعفر بن فلاح منذ اللحظة الاولى على أن يذكي روح العصبية بين القبائل العربية ببلاد الشام ليبث الشقاق بينهما ويستغل ذلك في القضاء على أعدائه . ويضعف بذلك الفريقين ، فيتمكن من تحقيق أهدافه . وفي هذا الصدد نجح في أن يستميل اليه قبيلتي مرة (٢٢) وفزاره (٢٣) ، ويتفق معهما على قتل فاتك غلام ملهم — على الرغم من أن ملهما لم يتعرض له ودعا للمعز في طبرية — وأحاطوا به فلم يجد بدا من قتالهم ، وجرد سيفه وقال « غدرتم ونقضتم الايمان » وضرب رجلا منهم فقتله ، ولكنهم استطاعوا أن يمسكوه ويقتلوه (٢٤) .

وعلى الرغم من أن جعفرا هو الذي أمر بقتل فاتك ، فقد أظهر عدم رضائه عن قتله . وادعى أن ذلك كان بغير ارادته ، وقبض على القتلة ،

---

(٢١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤ .
— العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٣٣ .
— محمد كرد علي : خطط الشام ، طبعة دمشق ١٩٢٥ ، ص ٢٢٤ .
— يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية ، المطبعة العمومية بيروت ١٩٠٠ ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٨ .

(٢٢) بنو مرة من قيس عيلان من مضر من العدنانية .
انظر : ابن حزم الاندلسي : جمهرة أنساب العرب ، طبعة دار المعارف ١٩٦٢ ، ص ٢٥٢ ، ٤٨١ .

(٢٣) بنو فزاره ايضا من قيس عيلان من العدنانية .
انظر : ابن حزم الاندلسي : المصدر السابق ص ٢٥٥ — ٢٥٩ .
— عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، جزء ٣ ، ص ٩١٨ — ٩١٩ .

(٢٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ص ١٢٣ .

وبعث بهم الى ابن ملهم . وقال له : « هؤلاء الذين قتلوا غلامك » فقال « هو غلامي وقد وهبته » . وأطلق الذين قتلوه ، لانه كان يعلم أنهم ما قتلوه الا بعلم من جعفر وباذنه . وأنه لو قتلهم لقتل بهم (٢٥) .

ثم بدأت المرحلة الثالثة من الفتح الفاطمي للشام بالتحرك نحو دمشق ، ولا تخفى أهمية دمشق بالنسبة للفاطميين ، اذ يمكن اتخاذها مركزا هاما للانطلاق منها نحو بغداد . وكان أهل دمشق قد ألم بهم الذعر بعد أن عرفوا انتصارات الفاطميين في الرملة ، وبما وصل الى مسامعهم من أسر الحسن بن عبيد الله بن طغج وجماعة من أصحابه وحملهم الى الديار المصرية (٢٦) . ثم نبأ خضوع طبرية لطاعة جعفر بن فلاح دون قتال . فخشوا بأسه وخافوه ورأوا أن يرسلوا اليه ــ وهو ما زال في طبرية ــ جماعة من كبار رجالهم يطلبون منه الامان ، ومنهم عقيل بن الحسن بن الحسين العلوي . وابن أبي يعلي العباسي . ووصل هؤلاء الى طبرية يوم مقتل فاتك ، وكانت الفوضى قد عمت فيها ذلك اليوم . فلم يحسن جنود جعفر استقبالهم ، بل أخذوا وسلبوا ما عليهم ، وهددهم الجند بالمسير الى دمشق (٢٧) . فعادوا دون أمل خائبين ، وأظهروا لاهالي دمشق ما فعله جنود الفاطميين بهم فاستاؤوا ونفروا منهم (٢٨) .

وقد استمر جعفر في سياسة ضرب القبائل بعضها ببعض ، وأراد أن يزيح من طريقه الى دمشق بني عقيل الذين كانوا يسيطرون على حوران

---

(٢٥) الداوداري : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .
(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة في مصر ، جزء ١١ ، ص ٢٦٧ .
٢٧ ــ الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٦
٢٨ ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٣

والبثينة (٢٩) . فاستغل ولاء قبائل مرة وفزارة له وأرسلهم لقتال بني عقيل، وأرفدهم بجنود من الفاطميين يساعدونهم اذا اقتضى الامر ذلك . وكان زعيم بني عقيل في المنطقة ظالم بن موهوب العقيلي (٣٠) . واستطاعت مرة وفزارة الانتصار على بني عقيل . وانهزم هؤلاء فارين شمالا نحو حمص ، فتبعوهم إليها . وفي أثناء عودتهم مالوا الى غوطة دمشق ، وبدأوا بالسلب والنهب ، ثم نزلوا بظاهرها واستمروا في أعمال النهب والتخريب . فثار عليهم أهالي دمشق وقاتلوهم وقتلوا منهم عددا كثيرا (٣١) . وكانت هذه أول أعمال أهالي دمشق العدائية ضد الفاطميين وأنصارهم من القبائل . وهكذا انهزمت قبيلتا مرة وفزارة أمام ثورة الاهالي في ٨ ذي الحجة من السنة نفسها ، ولحقوا بطلائع جعفر بن فلاح ، وساروا معهم الى دمشق (٣٢) . هذا ويجب أن لا ننسى هنا أن نذكر ما تميزت به هذه المرحلة الاخيرة

---

(٢٩) البثنية : منطقة تقع قرب الصحراء في الشام ويتبع اليها منطقة جبل جرش . أكبر مدينة فيها أذرعات . وهي تبعد عن طبرية مسيرة يومين، ومسيرة يوم الى عمان . وتبعد ٢٤ ميل عن الصنمين .
انظر الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
— LE STRANGE : Op. Cit., p. 393

(٣٠) ظالم بن موهوب العقيلي تغلب على دمشق مرة سنة ٣٥٧ هـ ، ثم تغلب عليها سنة ٣٥٨ هـ ثم ولاه عليها الحسن بن أحمد القرمطي سنة ٣٦٠ هـ ولكنه ما لبث أن قبض عليه بعد عودته من الاحساء سنة ٣٦١ هـ ، واستطاع ظالم أن يتخلص من السجن ، وهرب الى شط الفرات الى حصن له هناك ، ثم رجع الى دمشق بعد أن كاتب الفاطميين ، وولي عليها في سنة ٣٦٣ هـ ، وأقام بها الدعوة للفاطميين. ثم رحل عنها بعد وصول أبي محمود المغربي الى دمشق واليا .
انظر ابن عساكر : تاريخ دمشق ، مخطوطة ، جزء ٨ ، ورقة ٣١٣ .
— وابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، جزء ٧ ، ص ١١٧ .

(٣١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٣٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

من الفتح الفاطمي لبلاد الشام ــ وأعني بها فتح دمشق ــ من مقاومة شعبية شاملة قادها أهالي دمشق في وجه جعفر وجنوده . فقد توحدت كلمة الاهالي على قتالهم على الرغم من أنهم قد أصبحوا دون أمير يدير شؤونهم ويوحد كلمتهم بعد فرار شمول الاخشيدي منها والتجائه إلى جعفر بن فلاح . وقد تركها وترك الاهالي بهاوهم بحاجة شديدة الى وال أو أمير يقودهم ، وكان لذلك أثر كبير في انتشار الفوضى في المدينة وسيطرة الاحداث وحاملي السلاح فيها ، الذين قاموا بدور كبير في هذا الصراع (٣٣) .

وقد دارت رحى الحرب بين جنود جعفر وأهالي دمشق . وعلى الرغم من أن الدمشقيين انهزموا إلا أنهم استطاعوا بمعونة جند الاخشيد الوقوف بضعة أيام في وجه جعفر بن فلاح وجنده من المغاربة ، ومن انضم اليهم من القبائل العربية بالشام ، وتمكنوا من قتل عدد كبير منهم . وقد أثبت أهالي دمشق بهذه المقاومة الرائعة ، وهذا الصمود منذ البداية أنهم لن يرضخوا للفاطميين .

وعلى الرغم من هذا الصمود فقد أدرك أهالي دمشق ــ بعد تلك الهزيمة ــ أنه لا قدرة لهم على الوقوف في وجه الجند الفاطمي ، ورأوا أن يقابلوا جعفر بن فلاح لاجراء مفاوضات معه . فأرسلوا اليه بعض رجالهم ، لكن جنوده من المغاربة أهانوهم وسلبوهم ثيابهم . وكان لهذا العمل أكبر الاثر في نفوس الاهالي (٣٤) .

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي قام بها جنود الفاطميين بمثل هذه الاعمال . فقد تكررت اعتداءاتهم على الاهالي ، وكثر عبثهم وسوء

---

(٣٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ص ١٢٤ .

(٣٤) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٩ .

معاملتهم لهم ، حتى سخط عليهم أهـل دمشق . فقد سبق لهـم أن اهانوا مشايخ دمشق عندما قصدوا جعفرا في طبرية للاتفاق معهم وسلبوهم مـا عليهم ، وكذلك نهبوا سكان الغوطة حين قاموا بهجومهم على بني عقيـل بمساعدة قبائل مرة وفزارة . وتلا ذلك أهانتهم للوفد الذي خرج لمقابلة جعفر بعد أن أحاط جنوده بدمشق ، فسلبوا ثيابهم وقتلوا بعضهم ، وعلم الاهالي بذلك بعد أن أعلن مـا فعل الجند بأفراد الوفـد من فوق منابر دمشق ، فكرهوهم قبل أن يبـدأ حكمهم لدمشق . كما ألهب الخـلاف المذهبي بين الطرفين حماس الدمشقيين السنة لقتال الفاطميين من الشيعة الاسماعيلية [٣٥] .

ومهما يكن من أمر فان جعفر بن فلاح استطاع دخول دمشق في محرم سنة ٣٥٩ هـ/ نوفمبر ٩٦٩ م . وأقام الخطبة فيها للمعز الفاطمي ، وقطع خطبة الخليفة العباسي المطيع لله [٣٦] (٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ/٩٤٥ ــ ٩٧٣ م). وبدأت منذ ذلك الحين سلسلة من الثورات المتتالية التي كان يذكي نارها عدة أسباب ، ويلهبها الخلاف المذهبي . فقد كان سكان دمشق من السنيين المتحمسين ضد الفاطميين ومعتقداتهم ، ولم يرضخوا للفاطميين الا بقـوة السلاح ، التي كانت دائما وأبدا مسلطة فوق رؤوسهم [٣٧] .

---

(٣٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جزء ٣ ، ص ١٤٩ .
LANE POOLE : The Story of Cairo , p. 137
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٠ .
ــ عبد العزيز سالم : طرابلس الشنام ، ص ٤٨ .

(٣٦) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣ .
Encyc of Isl : Article « DJAWHAR » , Vol. I., P: II, p: 1028

(٣٧) Lane Poole : Egypt in the Middle ages., p. 128
Encyc of Isl : Article « FATIMIDS » , Vol. II, P. 1., p. 90

وظن جعفر أن الامور هدأت بعد أن فتح دمشق ودخلها ، فتركها وعاد الى الرملة (٣٨) . فاستغل أهل دمشق غيابه ، وثاروا برئاسة الشريف ابن أبي يعلى (٣٩) ، الذي جمع أحداث دمشق ، وساعده العوام . فلبس السواد وخطب للخليفة العباسي المطيع لله ، وقطع خطبة المعز لدين الله الفاطمي (٤٠) . واضطر جعفر بن فلاح أن يعود ثانية لقتال الثائرين في دمشق . ولم يستطع هؤلاء الصمود طويلا أمامه،فقد انهزم الشريف الذي كان يحرضهم على القتال ويأمرهم بالصبر ، واضطر الى الهرب من دمشق الى بغداد . وأراد جعفر القبض عليه ، فجعل لمن يأتيه به مائة ألف درهم ، فجيء به وهو في الطريق (٤١) .

وعندما رأى الاهالي ذلك شعروا بعجزهم عن مقاومة جعفر ، فعادوا لطلب الصلح منه . وكان يعدهم بالعفو والصلح ، بينما كانت عساكره تعبث في دمشق ، وتنهب المنازل . ولم يستطع السكان كبت أعصابهم وتهدئة ثائرة نفوسهم ضد من يعتدي عليهم ، فثاروا وقتلوا عددا من الجنود الفاطميين . وأرادوا تحصين المدينة خوفا منهم ، فحفروا الخنادق . ولكن ثورة الأهالي هذه لم تستطع الثبات أمام جيوش جعفر بن فلاح المدججة بالسلاح ، فعادوا لطلب الامان . وكانوا يلحون على جعفر في ذلك ، وهو يستعلي عليهم ، الى أن قبل أخيرا بعد أن شرط عليهم أن يخرجوا إليه ومعهم نساؤهم مكشوفات الشعور يتمرغن في التراب بين يديه لطلب

---

(٣٨) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣ .
(٣٩) ابن كثير : المصدر السابق ، جزء ١١ ، ص ٢٦٦ .
(٤٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣١ .
— ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة المطبعة الاميرية ببولاق ١٢٨٤ ، مجلد ٤ ، ص ٤١ .
(٤١) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣ .

العفو . فقالوا له « نفعل ما يقول القائد » [٤٢] . ثم أخذوا يلحون عليه بالرجاء لعله يعفو عنهم ، فهدأت ثائرته . وجرت مفاوضـات بين الطرفين تقرر على اثرها انهاء الثورة في دمشق ضد الفاطميين ، واجراء الصلح على أن يدخل جعفر بن فلاح يوم الجمعة للصلاة في الجامع .

وبذلك انقطعت الخطبة للخليفة العباسي المطيع ، وعادت الخطبة ثانية للمعز الفاطمي في المحرم من سنة ٣٦٠هـ/نوفمبر ٩٧٠ م .

لم ينقطع عبث جنود جعفر بن فلاح بالاهالي ولا نهبهم وسلبهم لهم . ويظهر أن ذلك يعود الى عدم اصدار جعفر الاوامر الصارمة لجنوده ، التي يتلوها العقاب لمن يخالفها ، وتنبيههم الى عدم التعرض للاهالي بسوء . كما يحتمل أنه كان يأمرهم بالكف عن ذلك فلا يطيعونه ولا يأتمرون بأمره لقلة آعطياته لهم . فقد قام جنوده بعد هذا الاتفاق الاخير بنهب الاهالي وانتهاك حرمة المنازل وسلب ما فيها . ولم يكن باستطاعة أهالي دمشق السكوت على مثل هذه الاعمال ، فثاروا عليهم ثانية ، وقتلوا خلقا كثيرا منهم . وخاف الاهالي من انتقام جعفر فأرسلوا اليه مشايخ البلد لطلب الصلح . فأنكـر عليهم ذلك وقال لهم (دخل رجال أمير المؤمنين للصلاة فقتلتموهم) وهددهم باستعمال العنف . وعلى الرغم من ذلك فان مشايخ البلد كانوا يلاطفونه بأقوالهم ، حتى استطاعوا أن يحصلوا منه على وعد بالعفو مقابل دفع دية من قتل من رجاله ، وكانت كبيرة جدا حتى أنها لما جمعت لدفعها أفقرت الاهالي [٤٣] .

وبعد هذه الثورات المتكررة . رأى جعفر بن فلاح أنه لن يستتب له الامر الا بالقضاء على زعماء الفتنة ، فقبض على جماعة مـن القوم وضرب

---

(٤٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٧ .
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١١٩ .
(٤٣) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٥ .

أعناقهم وعلق رؤوسهم على الابواب • وقد أدى سلوكه هذا ، وقلة خبرته السياسية ، بالاضافة الى سوء معاملته لزعماء بلاد الشام ، الى فرار عدد كبير من رؤسائها وزعماء القبائل فيها • فقد فر ظالم بن موهوب العقيلي بعد هزيمة قبيلته ولجأ الى القرامطة • وهناك أوغر صدورهم على الفاطميين ، وكان لذلك أثره في حماسهم لقتال الفاطميين • كذلك لجأ عدد من الاخشيدية والكافورية وزعمائهم الى الحمدانيين ، ولعبوا دورا في تحريضهم ضد الفاطميين •

★ ★ ★

وعلى الرغم من ذلك فان الاحوال لم تستقر في بلاد الشام للفاطميين نهائيا • اذ كانت الثورات مستمرة ، وكان الاهالي يستغلون كل فرصة للثورة ويدبرون المؤامرات لاقصاء هذا القائد والقضاء عليه • والتخلص من حكم الفاطميين •

ومهما يكن من أمر ، فان جعفرا استطاع أن يقيم الخطبة في دمشق للخليفة الفاطمي المعز ، ويحذف اسم الخليفة العباسي ، ولكن استيلاءه على دمشق لم يسمح له بيسط سلطانه على جميع ارجاء الشام • فقد اعترضته عدة مشاكل لم يستطع التغلب عليها • فالحمدانيون ومن لجأ اليهم من الاخشيديين في الشمال في حلب كانوا يناوئون الفاطميين من حين لآخر ، ويرفعون العداء بالسيف ، ويحتمون بالبيزنطيين اذا وجدوا ضرورة لذلك(٤٤) • هذا وجدير بالذكر أن قوة الحمدانيين كانت قد أخذت بالضعف منذ وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦ م ، وأنهم لولا حماية البيزنطيين لهم وما قدموه لهم من مساعدات ، لما استطاع الحمدانيون الاستمرار في مناوئة الفاطميين ومنعهم من بسط نفوذهم على شمال الشام • كما كان

(٤٤) LANE POOLE : Op. Cit., p. 159

البيزنطيون يهددون المناطق الشمالية ومدن الساحل • وكان للقرامطة بعض النفوذ في بلاد الشام منذ أن أغاروا عليها سنتي ٣٥٣و٣٥٧هـ/٩٦٣و٩٦٧م• ولا يخفى الى جانب هذا ما بعثته ثورات الاهالي التي قامت في وجه الفاطميين من عدم الاستقرار •

وقد تكفل الحمدانيون في النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بصد غارات البيزنطيين • ولولا الجهود التي بذلها الحمدانيون في هذا السبيل لاستولى البيزنطون على بلاد الشام في غفلة من العباسيين [٤٥] • ولكن البيزنطيين ما لبثوا مذ ان اعتلى عرشهم نقفور فوكاس (٣٥٢ ــ ٣٥٨ هـ/٩٦٣ ــ ٩٦٩ م) أن أصبحوا أقوياء • فتقدموا الى حدود بلاد الشام الشمالية ، وقد أصبحت حلب تابعة لنفوذهم منذ أن وقع قرعويه معهم اتفاقية صفر ٣٥٩هـ/ديسمبر ٩٦٩ م • ولكن سعد الدولة ما لبث أن رفض تلك الاتفاقية أول الامر ، فتقدم البيزنطيون في أملاكه •

ولم يكن رفض سعد الدولة للاتفاقية هو وحده الذي دعا البيزنطيين الى ذلك ، فقد أقلقهم ازدياد نفوذ الفاطميين في بلاد الشام ، وشعروا أنهم بنفوذهم هذا يهددون الحدود البيزنطية • فقد سبق للبيزنطيين أن وقعوا في صدام مع القوات الفاطمية في صقلية ، وخبروا مالها من بأس ومهارة في القتال • وكان ظهور الفاطميين في هذه الفترة على مسرح الحوادث في الشام ينذر بتهديد المصالح البيزنطية [٤٦] • وكان البيزنطيون قد احتلوا انطاكية واتخذوها قاعدة لانطلاقهم داخل الاراضي الاسلامية •

---

(٤٥) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢١ .
(٤٦) بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، مجلد ٦ ، ورقة ١٦١ .
ــ العمري : مسالك الابصار في ممالك الامصار ، مخطوطة مصورة في دار الكتب المصرية ، رقم ٢٥٦٨ تاريخ ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ٩٤ .
ــ عمر كمال توفيق: مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، ص١٠٤

ولهذا السبب فقد اتخـذ الفاطميون دمشق قاعـدة يوجهون منهـا ضرباتهم الى الروم ، عملا بسياستهم التي كشف عنها جوهـر الصقلي في منشوراته التي أذاعها على المصريين . هذه السياسة التي كـانت تقوم على أسس وقواعد مقررة هدفت الى استعادة البلاد التي ضاعت من المسلمين في شمالي الشام تمكينا للدولة الفاطمية في هذه البلاد ، ورغبة منها في أن تظهر بمظهر حامية الاسلام والبلاد الاسلامية دون الخلافة العباسية(٤٧) . وتنفيذا لذلك فقد عمل جعفر على استرداد انطاكية التي كانت قد وقعت في أيدي البيزنطيين . وأرسل لذلك حملة بقيادة غلامه فتوح (٤٨) الذي نازلها خمسة أشهر . ولكن انطـاكية استعصت عليه ، ولـم تستطع قواتـه أن تحقق أهدافها (٤٩) ، واضطر للعودة عنهـا وفك الحصار بعـد وصول الحسن الاعصم الى بلاد الشام (٥٠) .

ونتيجة لهذه السياسة فقد ازدادت خشية البيزنطيين من ازدياد نفوذ الفاطميين على حدودهم ، وخاصة بعـد حملتهم هذه على انطاكية . وكان لذلك أثر كبير في جعل الامبراطور تزيمكس (٣٥٩ ــ ٣٦٦ هـ/٩٦٩ ــ

---

(٤٧) ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، طبعة لجنة البيان العربي ، ص ١٠٦ .

(٤٨) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٥٠ .
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٦ .
ــ ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكـة حلب ، طبعة بـيروت ١٩٠٩ ، ص ٢١٠ .
ــ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
ــ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٤٩) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، الطبعة السابقة ، ص ١٢٦ .
ــ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٥٠) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

٩٧٦م) [٥١] يتخذ قـراره باسترجاع بلاد الشـام ، واستعادة مدينة بيت المقدس . فقـد فطن الى أهمية مبادرة البيزنطيين بمـد نفوذهم على بلاد الشام ، قبل أن يتمكن الفاطميون من توطيد نفوذهم بها [٥٢] .

هذا وقد كان استيلاء الفاطميين على دمشق نقطة تحول في العلاقة بين الفاطميين من جهة وكل من القرامطة والحمدانيين من جهة أخرى ـ وان كانت العلاقات مع القرامطة قد تأثرت قبـل ذلك [٥٣] ـ فمن المعروف أن القرامطة حرصوا منذ النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العـاشر الميلادي على المحافظة على علاقاتهم الودية مع الفاطميين ، لدرجة أنهـم سمحوا لهم بالتدخـل في شؤونهم الداخلية . فقد تولى أحمـد بن سعيد الجنـابي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م منصبه من قبل الخليفة الفاطمي في بلاد المغرب . كما اتفقت غارات القرامطة على أراضي الدولة العباسية مع حملات الفاطميين الأولى على مصر [٥٤] . ولكن القرامطة ساءهم احتلال الفاطميين لبلاد الشام وانقطاع الجزية التي كانوا يأخذونها من الاخشيديين ، فطالبهم الحسن الاعصم بالضريبة التي كانت له على دمشق . فأغلظ المعز القول له ، ولم يدفع له شيئا . وكـان القرامطة يحرصون على الحصول على الاتاوة التي فرضوها على الاخشيديين في بلاد الشام [٥٥] .

---

(٥١) COMBRIDGE MEDIE – VEL HISTORY., Vol. IV, p. 78

(٥٢) ابراهيم العدوي : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

ـ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٥٣) انظر فيما بعد ص ٥٢ .

(٥٤) احمد محمد عدوان : علاقات الدولة الحمدانية بالـدول الاسلاميـة المجاورة ، ورقة ٢٥٢ (رسالة ماجستير لم تطبع) .

(٥٥) انظر فيما بعد ص ٥٢ و ص ٦٥

أما الحمدانيون فقد حاولوا أول الامر أن يكونوا الى جانب الفاطميين ، فبذلوا لهم الطاعة وأظهروا استعدادهم لمساعدة جوهر عقب فتح مصر ومحالفته ، ولكنه لم يقبلها . وبذلك رفض الفاطميون اليد التي مدها اليهم الحمدانيون (٥٦) ؛ ومن ثم بدأت العلاقات العدائية بين الطرفين ، ذلك أن الفاطميين كانوا يدركون منذ اللحظة الاولى أن الحمدانيين لن يقنعوا بالتبعية لهم بل أنهم يطمحون الى السيادة والاستقلال (٥٧) .

وبالفعل فان الحمدانيين كانوا يخشون احتلال الفاطميين لبلاد الشام لانهم كانوا يرون في الدولة الفاطمية دولة طموحة ، كما كانوا يخافون أن تصبح قريبة من حدود امارتهم فتجبرهم على الخضوع لها ، وتبذل جهدها في العمل على الايطاح بعرشهم ، وخاصة وأن الحمدانيين كانوا يعلمون أهداف الدولة الفاطمية في فتح العراق والقضاء على الدولة العباسية . ولهذا اصطدمت مصالحهم بمصالح الحمدانيين في حلب والجزيرة ، وبدأ بذلك العداء السافر بين الحمدانيين والفاطميين ، فأخذوا يكيدون لجعفر بن فلاح ، ويساعدون القرامطة ضده ، وخاصة بعد أن هدد أبا تغلب الحمداني بالمسير اليه اذا لم يتفق معه على اقامة الدعوة الفاطمية في الموصل (٥٨) .

وهكذا نرى أن وحدة المذهب لم تكن عاملا في التقريب بين القوى المتطاحنة اذ ذاك ، وأن المصالح المتعارضة لكل من هذه القوى هي التي كانت تحدد موقفها واتجاهها السياسي .

---

(٥٦) انظر فيما بعد ص ٣٧٩ .

(٥٧) فيصل جري السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ، ورقة ١٠٥ (رسالة دكتوراه لم تطبع) .

(٥٨) انظر الباب الثالث (العلاقة بين الفاطميين وأبي تغلب الحمداني) ص ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٣ .

ويمكننا القول أن حكم الفاطميين في بلاد الشام كان قلقا مضطربا • فقد تنازع النفوذ على بلاد الشام ـ خلال حكمهم له ـ قوى عديدة تمثلت في القرامطة ، والحمدانيين ، وخلفائهم المرداسيين ، والبيزنطيين ، وأخيرا السلاجقة • كما أن هذه الحالة شجعت القبائل العربية في جنوب ووسط الشام على أن تعمل على تدعيم قوتها القبلية وبسط سيادتها على مناطق نفوذها • كما لم يرضخ أهالي دمشق للنفوذ الفاطمي ، وثاروا عليه عدة مرات • بل بلغت الجرأة بملاح من أهل صور اسمه علاقة أن يضرب النقود باسمه ، ويعلن استقلال مدينته في العام الثاني عن خلافة الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/٩٩٦ ـ ١٠٢١ م) • وعلى الرغم من صموده في وجه الجيش الفاطمي الا أنه اضطر أخيرا الى تسليم المدينة المحاصرة • وكان مصيره القتل صلبا ، ثم ارسال جثته الى القاهرة ليمثل بها هناك (٥٩) •

---

(٥٩) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ٢١٢ .
ـ فيليب حتي : لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية ، وحتى عصرنا الحاضر ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، ص ٣٣٦ .

٣ - عدم استقرار سلطان الفاطميين في الشام

آ ـ مناهضة القرامطة للنفوذ الفاطمي :

لا شك أن مناهضة القرامطة للفاطميين في بلاد الشام كان من أشد الاخطار التي واجهها الحكم الفاطمي في هذه البلاد . هذا ومن المعلوم أن القرامطة كانوا أيام الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي على صلة وثيقة به ، يأتمرون بأمره ، ويسيرون في ركابه ، ويستعين هو بهم في أعماله . فقد استعان بهم في نشاطه بالعراق وبلاد المشرق[١] . كما أن الحملة الفاطمية الاولى التي هاجمت مصر سنة ٣٠١ هـ/٩١٢ م قد ارتبطت بحملة أبي سعيد الجنابي على البصرة . كما كان أبو سعيد ـ في نفس الوقت ـ على اتصال بالجيش الفاطمي في مصر . وقد دلل بذلك على مدى اخلاصه للفاطميين[٢] .

غير أن هذا الوفاق وهذا الاخلاص الذي تجلى بين الطرفين لم يدم طويلا ، ويمكننا أن نعزو ذلك الى التنافس السياسي على السيطرة على بلاد الشام بين الفاطميين والقرامطة . فقد نهض الحسن بن أحمد الاعصم القرمطي للوقوف في وجه الفاطميين حفاظا على ابقاء نفوذه في بلاد الشام ، على حين أراد الفاطميون مد نفوذهم عليها . وقد أدى هذا التنافس السياسي . وتضارب مصالح الفريقين الى العداء بينهما ، ومن ثم الى القتال .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : وطه أشرف : عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، طبعة ١٩٤٧ ، ص ١٧٢ .

(٢) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

ويعزو بعض العلماء وعلى رأسهم العالم الفرنسي Wiet [٣] أن العداء بين القرامطة والفاطميين ، بدأ قبل فتح الفاطميين لبلاد الشام ، ويرى أن ذلك يعود لسببين :

أولهما : اجبار الفاطميين للقرامطة برد الحجر الاسود ويمكن مناقشة هذا الرأي بالقول بأن مسألة رد الحجر الاسود سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م • الى مكة ، تدل على ولاء القرامطة للفاطميين وطاعتهم في هذه الفترة طاعة عمياء • فقد تم رد الحجر الاسود دون مقابل أو تردد ، على الرغم من أن أحمد بن أبي سعيد ، رفض رده بطلب الخليفة المطيع العباسي الذي عرض عليه خمسين ألف دينار ذهب مقابل ذلك •

وثانيهما : أن القرامطة كانوا يتوقعون نجاح الحملة الاخيرة التي قادها جوهر الصقلي لفتح مصر بسبب ضخامة الاستعدادات التي قام بها الفاطميون لغزو مصر هذه المرة ، ولان الاحوال الداخلية في مصر قبيل دخول جوهر إليها كانت تبشر بنجاح هذا الغزو المرتقب • وقد رأى القرامطة في اقتراب الدولة الفاطمية الفتية القوية من قلب العالم الاسلامي على هذا النحو ، خطرا يهدد بتلاشيهم ويهدد مناطق نفوذهم • ويبدو أن البقاء في ظل الخلافة العباسية الضعيفة ، كان بمثابة القانون الاساسي الذي كان يتحكم في تحديد علاقة القوى السياسية الشيعية — كالبويهيين والقرامطة والحمدانيين وغيرهم من القوى التي ظهرت أخيرا — بالخلافة الفاطمية القوية الفتية • هذه هي روح العصر التي تغلبت على الولاء المذهبي ، وفرضت هذا الاتجاه السياسي الواقعي •

وفي ضوء هذا الاتجاه فان القرامطة في شهر رمضان سنة ٣٥٨هـ / يوليه ٩٦٩م قاموا بحركة داخلية تخلصوا فيها من سابور بن أبي طاهر القرمطي الذي كان يتولى قيادة الجيش ، ويعد نفسه لزعامة القرامطة • وكان سابور قد أنهك العباسيين وأزعجهم بقيامه بعدة غارات متكررة على

---

(٣) WIET : L' Egypte Arabe , p. 181

جنوبي العراق[٤] .

ومن المفيد أن تؤكد هنا أن قتل سابور قد تم بعد شهر واحد من دخول جوهر لمصر الذي تم في ١٦ شعبان سنة ٣٥٨ هـ/أول يوليو سنة ٩٦٩م[٥] . فمنذ ذلك الحين بدأ القرامطة يتقربون من العباسيين ويظهرون العداء للفاطميين . وقد تخلص اخوة ابي طاهر من ابن أخيهم سابور الذي عرف بعدائه الشديد للعباسيين لكي يتمكنوا من تحقيق هذا الاتجاه السياسي الجديد الذي يحفظ كيانهم . ويبدو أن البويهيين كانوا وراء هذا التحول الذي يعتبر بمثابة انقلاب في سياسة القرامطة ، وخاصة عندما تحقق لهم نجاح الفاطميين في غزو مصر ، وأدركوا أن الفاطميين قد أصبحوا على وشك دخول مرحلة الصراع المباشر مع العباسيين . فلكي يتفادوا هذا الخطر الفاطمي كان لا بد أن يعملوا على تغيير طبيعة العلاقة بين الفاطميين والقرامطة ، لان القرامطة كانوا حتى ذلك الحين يعتبرون الدعامة التي يعتمد عليها الفاطميون في المشرق[٦] .

كما أن الفاطميين بعد أن فتحوا مصر ، هذه البلاد الغنية والتي تتمتع بهذا المركز الاستراتيجي الهام في قلب العالم الاسلامي ، خشوا عليها من القرامطة الذين كانت جمهرة المسلمين تنظر اليهم باعتبارهم فوضويين مارقين[٧] .

وقد أدى التخلص من سابور الى تقارب بين العباسيين والقرامطة ، بينما زاد من تباعدهم عن الفاطميين . وبدأ القرامطة بقطع علاقتهم بالفاطميين

---

(٤) WIET : L' Egypte Arabe , p. 181

(٥) ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ٤٧ .

— حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١٤٢ .

(٦) WIET : Op. Cit., p. 182

(٧) WIET : Op. Cit., p. 182

بحجة أن الغزو الفاطمي لبلاد الشام حرمهم من الجزية التي كانت تأتيهم منها . فقد طالب الحسن الاعصم بالضريبة التي كانت له على دمشق ، والتي كان يدفعها له الاخشيد[٨] ، فلم يوافق المعز على ذلك[٩] . بل كتب له وأغلظ عليه في الكلام ، وبدأ بالدس عليه ، وأراد أن تكون امارة القرامطة في أسرة أبي طاهر . فساء الحسن الاعصم ذلك وخلع طاعة المعز ، وخطب فوق منابره للمطيع العباسي . ولبس السواد [١٠] وتعلل فيما قام به بأن الغزو الفاطمي لبلاد الشام قد حرمه من الجزية التي كان يحصل عليها من البلاد[١١] .

وكان هذا هو السبب المباشر الذي أدى الى الصدام بين القرامطة والفاطميين . وأما السبب الحقيقي لهذا الصدام فيمكن تلخيصه في أن القرامطة كانوا يعتبرون بلاد الشام مجالا حيويا لنفوذهم وسيادتهم ، وخاصة بعد أن استطاعوا الانتصار على الاخشيديين في المعارك التي جرت بينهما في سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م وفي سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م . ولما استولى الفاطميون على بلاد الشام اعتبر القرامطة ذلك اعتداء منهم على مجال نفوذهم . وتضييقا على نشاطهم .

وقد استغل العباسيون والبويهيون هذا الخلاف بين القرامطة والفاطميين ، وبذلوا جهودا جبارة في اثارة الشقاق والعداوة بينهما ، حتى أصبحت تلك الحرب التي قامت بينهما في بلاد الشام وكأنها حرب بين السنيين والفاطميين من الشيعة الاسماعيلية ولا شك أن القرامطة اتخذوا شعار السواد ليستميلوا به أهل السنة . وهم غالبية أهل الشام . فسودوا

---

(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٤٨ .

(٩) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٤٠ .
— LANE POOLE : Op. Cit., p. 105

(١٠) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٩٠ .

(١١) WIET : Op. Cit., p. 182

أعلامهم . وكتبوا اسم المطيع عليها ، وجهروا أمام الناس بأن المطيع العباسي ولاهم شؤون مصر ، ونقشوا عليهـا عبـارة « السـادة الراجعون الـى الحق[١٢] » على الرغم من أنه يجمعهم والفاطميون مذهب واحـد وهـو المذهب الاسماعيلي .

وفضلا عن هذا السبب الرئيسي فقد التجأ بعض زعماء الشام اليهـم وأوغروا صدورهم لحرب سادتهم الفاطميين . ولا شك أن فرار ظالم العقيلي والتجاءه الى القرامطة يدل على أن الخلاف بين الفاطميين والقرامطة كـان قد بدأ قبل استيلاء الفاطميين على دمشق سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م .

وقد استقر رأي الحسن الاعصم على محاربة القوات الفاطمية وعلى أن يبذل جهده على اجلائهم عن بلاد الشام . ولتحقيق هدفه هـذا فقـد عمل جاهدا على استمالة جميع الاطراف التي كانت في عداء مع الفاطميين، كالعباسيين والاخشيديين والحمدانيين وقبائل العرب[١٣] . وبدأ بأن عمل على الحصول على معونة من الخلافة العباسية مقابل أن يعمل على استرجاع بلاد الشام ومصر لحسابها على أن يحكمها باسمهم . فأرسل الى السلطان البويهي عز الدولة بختيار طالبا منه المال والرجال ، واعدا إياه بأن يسترد بلاد الشام من الفاطميين مقابل ذلك . وقد جمع بين البويهيين والقرامطة هدف واحد ، وهو أن الفريقين كانا يخافان علـى نفوذهمـا مـن امتداد سلطان الفاطميين[١٤] .

ورحب عز الدولة بختيار بما طلبه الحسن الاعصم منه . وسأل المطيع

---

(١٢) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٥ .

(١٣) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، ص ١٥ ، حـوادث سنة ٣٦٠ هـ .

(١٤) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٤٠ .

لله أن يمد القرمطي بمال ورجال ، ويوليه الشام ومصر ليخرج المعز منها . فامتنع المطيع لله [(١٥)] وقال : (كلهم قرامطة وعلى دين واحد) فأما المصريون « يقصد الفاطميين » فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء . وأما هؤلاء القرامطة، فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الاسود ، وفعلوا وفعلوا[(١٦)] . ولكن عز الدولة بختيار قدم المساعدة للحسن الاعصم وأعطاه مالا وسلاحا[(١٧)] . وكتب له علي أبي تغلب بن حمدان ألف ألف درهم وألف جوشن وألف سيف ، وألف رمح ، وألف قوس ، وألف جعبة ، وقال له : (اذا وصل الحسن أبو علي الجنابي الى الكوفة ، حمل اليه جميع ذلك) [(١٨)] .

وقد رحب الحمدانيون بمساعدة القرامطة وأمدوهم بالرجال ، فسار الحسن الاعصم بجنوده لاسترداد دمشق . وكان عليه أن يحقق ما وعد به العباسيين من القضاء على الدولة الفاطمية في مصر نفسها . وكانت جنود الحسن الاعصم تشمل فئات متنوعة كالحمدانيين وفلول الاخشدية

---

(١٥) LANE POOLE : Op. Cit., p. 106
ذكر المؤلف ان الخليفة وقتذاك هو الخليفة العباسي المتقي ، والصحيح ماورد في المتن لان المطيع لله حكم من سنة ٣٣٤ — ٣٦٣ هـ .

(١٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، ورقة ٧٢ .
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٧٤ .

(١٧) WIET : Op. Cit., p. 182

(١٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١ .
— سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، ورقة ١٨ ، حوادث سنة ٣٦١ .
— لكن الدواداري (المصدر السابق ، ص ١٣٤) ، والمقريزي (اتعاظ الحنفا ، طبعه المجلس الاعلى ص ١٢٦ و ص ١٨٧) ، يذكران بأن القرامطة توجهوا الى أرض الكوفة ثم كانت لهم الى بغداد مراسلات ، وانفذ اليهم خزانة سلاح من بغداد ، وتوقيع بأربع مائة الف درهم على ابي تغلب بن ناصر الدولة .

والكافورية • وأشد من هؤلاء جميعا جند العقيليين بزعامة ظالم بن موهوب العقيلي[١٩] •

هذا وقد بلغ جعفر بن فلاح خبر سير القرامطة اليه ، فاستهان بأمرهم [٢٠] ، ولم يطلب مددا من جوهر ، وانما اكتفى بأن بعث في طلب الحملة التي أرسلها الى انطاكية لاجلاء الروم عنها وأخذ يستعد لصد قوات القرامطة • غير أنه فوجيء بضخامة أعدادهم • وجرت بينهم معركة على نهر يزيد في مكان يقال له الدكة[٢١] • وكان جعفر بن فلاح ــ في تلك الاثناء ــ مريضا ، فانهزم أمام الحسن الاعصم وقتل عدد كبير من أصحابه، كما قتل جعفر بن فلاح في ٦ ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ/٢٣ سبتمبر ٩٧١م[٢١] • وملك القرامطة دمشق وأمنوا أهلها ، وقطع الحسن الاعصم الخطبة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وخطب للخليفة العباسي المطيع لله• ثم نزل الحسن الاعصم ظاهر المزة ، فجبى مالا ثم سار منها الى الرملة[٢٣]• هذا وقد سك الحسن الاعصم عملة باسم الخليفة العباسي المطيع لله وباسمه في بلاد الشام في سنة ٣٦١ ــ ٣٦٢ هـ/٩٧١ ــ ٩٧٢ م [٢٤] • وقد نقش على الوجه الاول من هذه العملة :

---

(١٩) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١٠٩ .

(٢٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١ .

(٢١) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٤٧ .

(٢٢) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٩٢ .
— ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١١ ، ص ٢٦٩ .
— المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٢٧ .
WIET : Op. Cit., p. 182

(٢٣) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٢٤) LANE POOLE : Catalogue of Coins , p. 337

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

السادة الرؤساء

وعلى هامشه بسم الله ضرب هذا الدينار بفلسطين سنة احدى وستين وثلاث مائة ونقش على الوجه الآخر :

لله الأمر

الله

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

وعلى آلـه

المطيع لله

الحسن بن أحمد

وتعود هزيمة جعفر بن فلاح أمام القرامطة بهذه السرعة الى أنه لم يستعد لقتالهم ولم يهيّىء القوات الكافية لصدهم . كما أنه لم يستنجد بجوهر لسوء علاقته به ، وترفعه على قائده الاعلى [٢٥] . وكان يخشى أن لا يمد إليه جوهر يد المساعدة ، فبقي في بلاد الشام لا يكاتبه بشيء من أمره الى أن قدم عليه الحسن الاعصم القرمطي ، وكان يستخف به ، ويثق في نفسه ، ويغتر بقوته ، فلم يعبأ بقدومه واعتقد أنه كفيل بالقضاء عليه وعلى جيشه . ولكنه أخطأ في تقديره فذهب ضحية سوء تدبيره [٢٦] .

(٢٥) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٥ .

(٢٦) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١١١ .

كما أن جعفرا لم يكن سياسيا محنكا ، فقد ارتكب عدة أخطاء . من هذه الاخطاء أنه أعطى الامان لفاتك في طبرية ثم ما لبث أن تآمر عليه وفتك به ، وهدد أبا تغلب الحمداني بالمسير اليه لقتاله اذا لم يتفق معه على اقامة الدعوة الاسماعيلية بدلا من أن يستميله الى جانبه[٢٧] ، وهاجم العقيليين في مناطقهم بدلا من أن يستعين بهم ، وأساء معاملة أهالي دمشق ، مما جعلهم يكرهونه هو والفاطميين . بينما أحسن الحسن الاعصم السياسة ، وحارب الفاطميين بسلاح الدعاية والسيف معا ، وتودد الى الاهالي وأحسن معاملتهم وأمنهم[٢٨] . وأعلن أنه إنما جاء من قبل الخليفة العباسي المطيع ، وأنه ولاه شؤون الشام ومصر . وكان يقيم الخطبة للخليفة العباسي المطيع في كل مدينة يفتحها ، ويلعن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله . فاستقطب حوله بذلك العناصر السنية المستاءة من الفتح الفاطمي .

وترتب على فتح دمشق أن سيطر الحسن الاعصم على شمالي بلاد الشام وأواسطها . واتجه بعدها الى الرملة ليتم فتح بلاد الشام الجنوبية ، وليقضي على ما بقي للفاطميين من سلطان ببلاد الشام . وقد أدرك سعادة ابن حيان المغربي والي الرملة من قبل الفاطميين أنه لا طاقة له بالحسن الأعصم ، فترك الرملة وفر الى يافا ليسهل اتصاله بمصر عن طريق البحر . فأفسح بذلك المجال لدخول الحسن الاعصم اليها ، الذي رتب أموره بها ، وترك عليها واليا من قبله ومعه مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجماعة من الاخشيدية والكافورية[٢٩] .

وقد رأى الحسن الاعصم أن يترك حامية تحاصر يافا مؤلفة من احد

---

(٢٧) انظر فيما بعد الباب الثالث ، ص ١٨٤ .

(٢٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢ .

(٢٩) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢

عشر ألف رجل[٣٠] بقيادة قائده أبي المنجا[٣١] وحليفه ظالم بن موهوب العقيلي ، وأن يتجه هو بجيوشه الى مصر ليحقق ما وعد به العباسيين . فوافاها في أوائل سنة ٣٦١هـ/١٩٧١م ، وهاجم القلزم ، ودخلها وأسر واليها[٣٢] . ثم تابعت الحملة سيرها في الاراضي المصرية . فاستولت على عين شمس[٣٣] ، ثم تقدمت الى القاهرة .

هذا وقد اهتم جوهر الصقلي بالامر ، واستعد لصد زحف القرامطة. فأعد جيشه وحصن القاهرة بخندق عظيم حفره حولها[٣٤] بعد أن هدد

---

(٣٠) LANE POOLE : Op. Cit., p. 106

(٣١) هو أبو الهيجاء عبد الله بن علي بن المنجا أحد أصحاب أبي علي الحسن ابن أحمد بن بهرام القرمطي المعروف بالاعصم . وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الاحساء بعد انهزامه من أبي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك بمراسة فأستأمن الى ظالم عدة من أصحاب أبي الهيجاء لمنعه عنهم العطاء . وقلة ماله ، فأسره ظالم .
انظر المقريزي : اتعاظ الحنفا ، نفس الطبعة ، حاشية ص ١٨٨ .

(٣٢) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطمين الخارجية ، ص ١٢٦ .

(٣٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١١ ، ص ٢٦٩ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٦ .
WIET : Op. Cit., p. 183

(٣٤) المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٢٣ .
— النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده وتاريخ مصر ، ص ١٦١ .
— ويذكر ابن ظافر الازدي في مخطوطته الدول المنقطعة ، ص ٤٨ أن القرمطي عندما سار الى مصر لم يكن لجوهر طاقة به ، فقاتله من وراء خنيدق القاهرة . حتى كاد القرمطي أن يأخذه ثم رجع القرمطي عنه بغير سبب يعرف ، وقيل أنه كان معه خمسة عشر الف حمل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب والفضة والسلاح ، سوى ما يحمل المضارب والخيم والبتود ، وغير ذلك من الاثقال .
WIET : Op. Cit., p. 183

القرامطة القاهرة في ربيع الاول سنة ٣٦١هـ/ ديسمبر ٩٧١م • وجمع جوهر قواته وبدأت المعارك بين الطرفين التي استمرت ثلاثة أيام ابتدأت من ٦ ربيع الاول سنة ٣٦١هـ/٢٢ ديسمبر ٩٧١م • وقد كانت الخسائر شديدة في الجانبين لدرجة أن جوهرا رأى أنه من الحكمة ألا يأمر جيشه بملاحقة القرامطة بعد انسحابهم(٣٥) •

ولا شك أن جوهرا وجنوده حصلوا على النصر بما بذلوه من جهد ، فقد استبسل الجنود الفاطميون حتى اضطروا الحسن الاعصم الى التقهقر بجنوده ورحل الى الاحساء(٣٦) • وعلى أثر هذه الهزيمة فارقهم من كان قد اجتمع اليهم من الكافورية والاخشيدية ، وقبض جوهر على نحو الالف منهم(٣٧) •

ويمكن ان نعزو نجاح جوهر الصقلي في قتاله الحسن الاعصم ومنعه من دخول القاهرة الى ما استخدمه من خطط • فقد اعتمد الى جانب اعداد القوة اللازمة لمجابهة عدوه على سلاح الدعاية ، وعلى أساليب الحرب التي تنطوي على المكر والدهاء • فاتفق مع القبائل العربية المرافقة لجنود الحسن الاعصم وأغراها بما قدمه لها من أموال على ان تعمل على ضربه من الخلف • ولما بدأت الحرب بين الطرفين ، واشتبك جوهر مع جنود الحسن الاعصم على أبواب القاهرة ، نفذت القبائل ما اتفقوا عليه وقامت بضرب مؤخرته ونهبت سواده • عند ذلك لم يستطع الحسن الاعصم الصمود طويلا ، وحلت به الهزيمة ، ورحل عن القاهرة(٣٨) •

(٣٥) WIET : Op. Cit. 183

(٣٦) محمد عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٨٥ .

— Encyc of Isl. Article « FATIMIDS » , Vol. II. , P. I. , p. 89

(٣٧) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٢٧ .

(٣٨) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١١٤ .

ولم يكتف جوهر بذلك بل أراد متابعة القرامطة الى بلاد الشام لاستعادتها ، ولارغام القرامطة على الارتداد عنها • وتمكن بفضل الجهود التي بذلها من أن يستعيد الرملة بعد ثلاثة أيام من انسحاب الحسن الاعصم عن مصر ، كما تمكن من أن يستعيد معظم فلسطين • وعلى الرغم من هذا الانتصار في بلاد الشام فان اسطول الفاطميين لم يستطع دخول يافا ، بل انهزم أمام قوات القرامطة المحاصرة • وتمكن القرامطة من تنظيم جيشهم ثانية ، وأعادوا الكرة ، فاستعادوا الرملة في سنة ٣٦٢ هـ/٩٧٢ م • ثم بدأ اسطولهم بمهاجمة تنيس ، ولكن الحامية الفاطمية الموجودة فيها تمكنت من رد العدوان[٣٩] • وكان في نية الحسن الاعصم العودة الى القاهرة واحتلالها • ولم يجد المعز أمامه وسيلة لتفريق أتباع القرمطي عنه ، الا بارسال كتاب له يعرفه فيه أن المذهب واحد ، وأنهم منهم استمدوا ، وهم سادتهم في هذا الامر[٤٠] •

ولا شك أن الذي قام بالدور الاكبر في رسم سياسة المعز مع القرامطة هما قائده جوهر ووزيره يعقوب بن كلس[٤١] •

وما أن وصل كتاب المعز الى الحسن الاعصم حتى أجاب عليه بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم • أما بعد فقد وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله • ونحن سائرون

---

(٣٩) WIET : Op. Cit., 183

(٤٠) ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ٤٨ •

ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٢٨ •

(٤١) WIET : Op. Cit., 188

على أثرة والسلام . وحسبنا الله ونعم الوكيل)[٤٢] . ثم انطلق بجيوشه العظيمة الى الديار المصرية سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م ، وتمكن من أن يتوغل فيها كثيرا . وقد هال المعز كثرة جنود القرامطة ، فرأى أن يفرق كلمتهم ويشتت شملهم . فعمد الى استمالة حسان بن الجراح الطائي رئيس جند العرب ، الذين يعدون أقوى عناصر جيش الحسن الاعصم . واتفق معه على أن يدفع اليه مائة ألف دينار على أن يتظاهر بالهزيمة أمام جند الفاطميين[٤٣] . وكان هذا المبلغ كافيا لحمل بني طيء على الانصراف عن حليفهم الحسن الاعصم . فلما دارت الحرب بين الفريقين تفانى حسان في الوفاء بوعده ، وتقهقر أمام قوات المعز . فأدى ذلك الى جعل الحسن الاعصم في مركز حرج . وعلى الرغم من ذلك فقد قاتل قتالا شديدا واجتهد في تحقيق غايته ، ولكن الفرصة فاتته ، وانقضت جيوش الفاطميين عليه حتى اضطروه الى الهزيمة والارتداد الى الشام ، بعد أن أسر الفاطميون نحو ألف وخمسمائة من جنوده[٤٤] . كما أن الحسن الاعصم ترك بلاد الشام لابي المنجا ورحل الى الاحساء .

وبعد هذا النصر في مصر صمم الفاطميون على طرد القرامطة نهائيا

---

(٤٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ١٥٦ .
— ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ٤٨ .
LANE POOLE : Op. Cit., p. 113
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٢ .

(٤٣) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١٢٤ .
LANE POOLE : Op. Cit., p. 113
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٢ .
— بينما يذكر ابن ظافر الازدي (الدول المنقطعة ، ص ٤٨) ا نالحسن القرمطي سار الى مصر وملك الصعيد وأسفل الارض ثم عاد عنها على نية العود ، فبادر المعز برسله اليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافورا الاخشيدي يحمله الى آبائه وعمومته في كل سنة . فأجاب القرمطي الى ذلك وخرج لهم عن الشام .

من بلاد الشام ، فأرسلوا اليهـا جيشا بقيـادة أبي محمود بن جعفر بن فلاح • وفي سبيل تحقيق هذا الهدف رأى الفاطميون التعاون مع القبائل العربية • فاستعان المعز بقبائل طيء لتنفيذ مأربه في بلاد الشام ، والقضاء على الحسن الاعصم • كما انه قرب اليه ظالم بن موهوب العقيلي ـ بعد أن فسدت علاقته بالقرامطة نتيجة النزاع الذي نشب بينـه وبـين أبي المنجا والي دمشق من قبل القرامطة ـ وعينه على ولاية دمشق • واستقر أبـو محمود بن فلاح مع جيشه من المغاربة خارج دمشق ليساعـد ظالمـا في المحافظة على الامن ، ولصد القرامطة اذا ما حاولوا العودة مـن جديد • وبذلك تم للفاطميين استعادة دمشق ثانية من القرامطة[٤٥] •

وعلى الرغم من نجاح الفاطميين في طرد القرامطة من بـلاد الشام ، فان حكمهم لم يتح له أن يستقر بها • فقد نشبت فتن متعددة بين المغاربة وأهالي دمشق ، وثار الاهالي على قائد الفاطميين أبي محمود بن فلاح • فزحف على دمشق ليقاتل الاهالي ، وأحرق عدة مناطق فيها ، وقطع المـاء عن البلد فضاقت وبطلت الاسواق • وبلغ الخبر الى المعز فأنكر ذلك على أبي محمود ، وبعث الى ريان الخادم في طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لدراسة أحوالها ، وصرف أبي محمود عنها[٤٦] • لكن ذلك لم يكن ليفيد شيئا لان أهالي دمشق كانوا قد ضاقوا بالفاطميـين وحكمهـم • وبقيت المنطقة كالبركان المضطرم يلقي بحممه علـى الفاطميـين دون أن يستطيع هؤلاء السيطرة على الاوضاع • واستمرت الفوضى تعم البلاد منذ الفتح الفاطمـي أي مـن سنـة ٣٥٩هـ/٩٦٩ م حتـى سنـة ٣٦٣ هـ ٩٧٣ م ، مما كان له أسوأ الاثر من الناحية الاقتصادية •

---

(٤٥) Encyc of Isl : Article « FATIMIDS » , Vol. II., P. I., p: 89

(٤٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥٤ •

ب ـ حركة افتكين التركي :

أدت الاضطرابات التي قامت بين السكان وجنود الفاطميين في دمشق الى ضعف الحكم الفاطمي بها . واستغل هذه الحال فريق من الاتراك بقيادة أفتكين التركي المعزى الذي انفصل عن بغداد في فرقة من الاتراك ، ودخل بلاد الشام ، وتمكن من مناهضة النفوذ الفاطمي بها[1] .

فقد سار افتكين من بغداد في طائفة من الاتراك حتى وصل الرحبة ، ومنها اتجه الى قرية حوشبه [2] . وكان ظالم بن موهوب العقيلي في بعلبك ، فسار اليه بعد أن أخبر أبا محمود بن فلاح أمير دمشق بقدوم أفتكين من بغداد ، وأوضح له أن غايته اقامة الخطبة العباسية .

لم يكن باستطاعة افتكين وحده تحقيق ما أراد ، ولذلك فانه استعان بأبي المعالي بن حمدان في حلب ، الذي أرسل اليه غلامه بشارة الخادم مع جند كثير . وقد استقبله افتكين في حمص بالحفاوة والتكريم ، فاضطر ظالم بن موهوب أن يعود الى بعلبك دون حرب[3] ، وبذلك سنحت الفرصة أمام أفتكين للتقدم نحو الجنوب ، فسار حتى نزل بظاهر دمشق [4] .

---

١ ـ ابو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٢١
ـ مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٣٨٤
ـ بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧
٢ ـ حوشبه احدى قرى دمشق (انظر المقريزي :الخطط ، جزء ٣، ص١٣)
٣ ـ المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ١٣
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٥
٤ ـ بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٧
ـ رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، ص ٣٣٢

وكان أميرها ريان الخادم الذي كان قد وليها بعد ثورة أهالي دمشق على أبي محمود . وكان الاهالي يعملون على التخلص من الحكـم الفاطمي ، فوجدوا في أفتكين منقذا ومخلصا لهـم . فخرج اليـه أشـراف دمشق وشيوخها مرحبين بقدومه ، وسألوه أن يقيم عندهـم ، ويملك بلدهـم ، ويخلصهم من حكم الفاطميين الذين يخالفونهم في عقائدهم المذهبية . هذا الى جانب ظلم عمالهم وعنتهم ، وانتشار الاحداث في البلد[٥] . وقد أظهر أفتكين قبوله لما دعوه اليه واستحلفهم على الطاعة والمساعدة . كما حلف لهم على الحماية وكف الاذى عنهم منه ومن غيره . ومن ثم دخل دمشق وأخرج منها ريانا الخادم ، وقطع خطبة المعـز ، وخطب للطائـع لله[٦] في شعبان سنة ٣٦٤ هـ/ ابريل ٩٧٥ م [٧] ، وبذلك قضى افتكين على النفوذ الفاطمي في الشـام .

ثم ان افتكين أحسن معاملة أهـالي دمشق وقمـع أهـل الفساد ، فأحبوه . وكانت العرب قد استولت على ضـواحي دمشق ، فقصدهـم وأوقع بهم وقتل كثيرا منهم . وظهر للاهالي من شجاعته وشهامته وقـوة

---

٥ ــ بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٧
ــ ابن خلـدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٥١
WIET : Op. Cit., p. 190

٦ ــ بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٧
ــ LANE POOLE : Op. Cit., p. 114
Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » , Vol. I, P. I., p. 541
ــ ويذكر فييت (Op. Cit., p. 190) أن افتكين خطب للمطيـع العباسي والصحيح ما جاء بالمتن ، لأن المطيـع كـان قـد تـوفى في سنة ٣٦٣ هـ وقبل دخول افتكين دمشق .

٧ ــ ابن الـوردي : تاريخ ابن الوردي ، جزء ١ ، ص ٢٩٩
ــ ابن خلـدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٣ ، ص ٤٣٠

نفسه ما دعاهم الى الاذعان لطاعته والنزول على حكمه ، والعمل باشارته.
وقد كان أفتكين سياسيا وشجاعا في نفس الوقت ، فقد رأى أن يداري الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ويظهر له الانقياد على سبيل التمويه ،فكتب له مظهرا الطاعة . ولكن المعز أجابه بالشكر ، وطلب منه أن يحضر اليه ، ليخلع عليه ويعيده واليا من قبله . الا أن افتكين لم يكن يثق بوعد المعز، وخاف أن يكون ذلك حيلة للتخلص منه بعد أن حارب ولاة الفاطميين في حمص وانتصر عليهم ، كما طرد واليهم على دمشق[٨] .

وأراد افتكين أن يبسط نفوذه على بلاد الشام بأجمعها . فسار يريد لقاء ظالم بن موهوب العقيلي ، واستطاع دخول بعلبك . وعلى الرغم من أن الفاطمين كانوا حريصين على التخلص من أفتكين ، الا أن ظروفهم لم تكن تسمح لهم بذلك . فقد كانت جيوشهم مشغولة في الاصطدامات التي كانت تجري بينهم وبين الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيمكس . وكان هذا قد اختار الطريق الداخلي في غزوته هذه لبلاد الشام ، ولم يأت كعادته عن طريق الساحل . فقد أغار على حمص وتعداها الى بعلبك في سنة ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ، ومن هناك أخذ يهدد بالمسير الى دمشق [٩] . ورأى أفتكين أنه لن يتمكن من قتال البيزنطيين لانه كان قد دخل دمشق منذ فترة قصيرة ، كما كان لا يستطيع طلب المساعدة من الفاطميين الذين كان لا يأمن جانبهم[١٠] . وكان يدرك جيدا أن اقدامه على ذلك ربما يعرضه لفقد امارته الجديدة .

---

٨ ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ،ص ١٣٦
WIET : Op. Cit., p. 190

٩ ـ WIET : Op. Cit., p. 190

١٠ ـ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٥٣
WIET : Op. Cit., p. 190 — 191

وقد أدرك أهالي الشام اضطرارهم للاعتماد على الفاطميين اذا ما أرادوا مقاومة البيزنطيين ، ولم تكن ذكريات الاتصالات الاولى بين الفاطميين وأهالي دمشق ، وما عانوه منهم ليشجع على الاتصال بهم من جديد . كما كان الخلاف المذهبي بين أهل الشام السنيين والفاطميين الشيعة عقبة أخرى تحول دون التقارب بين الطرفين[11] ، حتى ولو كان ذلك من أجل الدفاع ضد البيزنطيين .

وهكذا كان افتكين وأهل دمشق أميل للتفاهم مع البيزنطيين . وقام أبو بكر بن الزيات عميل البيزنطيين وحليفهم بدور الوساطة بين الطرفين البيزنطي والدمشقي . واتفق الطرفان على أن يكف البيزنطيون يدهم عن البلد مقابل قسط من المال يدفع لهم وقدره ثلاثون ألف دينار . وهكذا عدل الروم عن دخول دمشق[12] .

والواقع أن هذا التقارب كان يخدم كلا من تزيمكس ومصالح آفتكين الخاصة . فبالنسبة للاول كان من صالحه أن يكون على رأس دمشق أمير مسلم مواليا له وعلى استعداد للخدمة تحت أمرته . وكان ذلك من الاساليب التي اعتمد عليها البيزنطيون وقتذاك في التوسع وفرض نفوذهم الخارجي في الجهات المختلفة . وبالنسبة للآخر فانه رأى أن الحماية البيزنطية سوف تساعده على الاحتفاظ بامارته والوقوف ضد

---

١١ ـ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٤٥

١٢ ـ يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٥
ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٢
ـ المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ١٣
ـ عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٥٣ (يذكر أنه تعهد لهم بدفع مائة ألف درهم)

الفاطميين[١٣] .

أما يوحنا تزيمكس فانه بعد أن اتفق مع افتكين اتجه الى صيدا ، واستولى على بيروت ، ثم أغار على طرابلس . ولكن يبدو أن أسوارها استعصت عليه ولم يستطع دخولها . ويقال أنه مرض واضطر للعودة الى بلاده . وعلى الرغم من رجوع البيزنطيين عن طرابلس ، فان قسما منهم قد استقر في المناطق الساحلية من شماليها وحتى نهر العاصي شمالا . وهؤلاء هم الذين اصطدموا مع الصليبيين وحاربوهم[١٤] .

وبعد أن أمن أفتكين جانب البيزنطيين اتجه الى صيدا ، واشتبك مع ابن الشيخ واليها من قبل المعز لدين الله الفاطمي . وكان قد انضم اليه ظالم بن موهوب العقيلي بعد هزيمته في بعلبك ، واستطاعت قواتهما الصمود أمام أفتكين لكثرتهم واستبسالهم في القتال . فرأى افتكين أن يستعمل الحيلة والدهاء معهم ، فأشعرهم بأنه انهزم أمامهم ، غير أن ظالما لم ينخدع بهذه الحيلة وأدركها ، ونصح جنود الفاطميين بعدم الخروج للحاق به . ولكنهم ظنوا به السوء ، وقال له ابن كرامة المغربي : (يا شيخ أنت دسيس على أمير المؤمنين) . ومن ثم فانهم لم يستمعوا لنصيحته ، وتبعوا أفتكين الذي استدرجهم ، ثم عاد اليهم ثانية وقاتلهم وقتل منهم أربعة آلاف قتيل ، واستولى على صيدا بينما انهزم ظالم الى صور[١٥] .

ومن صيدا اتجه افتكين الى عكا ، وكان بها جمع من المغاربة ، وفرض عليها الحصار . إلا أنه اضطر الى فك الحصار عنها لعلمه بتوجه

---

١٣ ــ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٤٩

١٤ ــ WIET : Op. Cit., p. 191

١٥ ــ الدواداري : المصدر السابق ، مجلد ١ ، ص ١٧٦

الفاطميين لقتاله . ثم سار الى طبرية وهو في طريقه الى دمشق ، فحاصرها ودخلها وضمها اليه . ثم جمع غلال حوران والبثنية وأنفذها الـى دمشق خوفا من حصار جيوش الفاطميين لها[١٦] .

وقد ساء المعز ما فعله افتكين في بلاد الشام ، وأراد أن يلقاه بنفسه . فبعد أن انتهى من قتال البيزنطيين اعتزم أن يشهر الحرب على افتكين[١٧] . فجهز جنوده ولكنه مرض ومات في منتصف ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ/٢٢ ديسمبر ٩٧٥ م[١٨] . وخلفه ابنه العزيز بالله ، وكان شخصية رقيقة تكره العنف ، ولا تميل الى سفك الدماء . ومن هنا كانت سيطرة وزيره يعقوب ابن كلس عليه . الا أن العزيز لم يكن ـ في نفس الوقت ـ تعوزه القدرة السياسية والعسكرية لحسم الأمور عندما يشتد الخطب[١٩] .

عمل العزيز بالله على توطيد سلطانه في مصر ، ثـم وجـه اهتمامـه لاسترداد النفوذ الفاطمي ببلاد الشام . وفي هذا الصـدد رأى أن يبـدأ بمبادرة سياسية قبل القيام بالعمل العسكري . فكتب الى افتكين واعدا اياه بالاصطناع وحسن المعاملة . فأجابه جوابا فيه بعض الغلظة . وقال : (هذا بلد أخذته بالسيف وما أدين فيه لاحد بطاعة ولا أقبل منه أمرا) . فاغتاظ العزيز من هذا الجواب ، وازداد غيظه منه بعد أن علم بما ارتكبه في كل من صيدا وعكا وطبرية . ثم أن وزيره يعقوب بن كلس أشار عليه

---

١٦ ـ الـدواداري : المصدر السابق ، ١٧٦
ـ العيـــني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٨٧
١٧ ـ محمد عنـــان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٨٦
ـ WIET : Op. Cit., p. 191
١٨ ـ ابن خلـدون : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٤٣٠
ـ ابن ايـاس : بدائع الزهور ، جزء ١ ، ص ٤٧
١٩ ـ WIET : Op. Cit., p. 189

بانفاذ جيش اليه بقيادة جوهر الصقلي[٢٠] .

ولما علم افتكين بمسير جوهر اليه جمع أهل دمشق وقال لهم : (قد علمتم انني لو أتوسطكم وأتولى تدبيركم الا عن رأيكم ومرادكم . وقد طلبني من هذا السلطان مالا طاقة لي به . وأنا منصرف عنكم وداخل الى بلاد الروم ، وعامل على طلب موضع أكون فيه ؛ واستمد ما أحتاج اليه منه لئلا يلحقكم بقصد من يقصدكم ما يثقل به الوطأة عليكم وتصل به المضرة اليكم) . وكان أهل دمشق يكرهون الفاطميين لاسباب كثيرة ، ولذلك أعلموه بأنهم انما اختاروه لرئاستهم ولن يتركوه ويتخلوا عنه ، وأجابوه قائلين : (نفوسنا دونك وبين يديك في المدافعة عنك) .فاستحلفهم على الطاعة فحلفوا له ، وأقام عندهم وأعد العدة لمواجهة قوات الفاطميين[٢١] .

ووصل جوهر على رأس قوات الفاطميين الى دمشق في ذي القعدة سنة ٣٦٥ هـ/يوليو ٩٧٥ م[٢٢] ، وفرض الحصار عليها . واستبسل افتكين

٢٠ ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٥

٢١ ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ص ١٦

ــ أما ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٣ فيقول : ان افتكين قال لأهالي دمشق (انني ما وليت أمركم الا عن رضا منكم ، وطلب من كبيركم وصغيركم لي . وانما كنت مجتازا . وقد أظلكم هذا الأمر . وأنا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي) فقالوا (ما نمكنك من فراقنا ، ونحن نبذل الانفس والاموال في هواك ، وننصرك ونقوم معك) واستحلفهم على ذلك ، فحلفوا له فأقام عندهم .

٢٢ ــ رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، ص ٣٣٤ . بينما يذكر ــ فييت (Op. Cit, p. 191) ان جوهرا وصل الى مشارف دمشق في ٢٢ يوليو ٩٧٦ م أي سنة ٣٦٦ هـ

ومن معه في القتال • ودام الحصار ما يزيد على سبعة أشهر حتى ضـاق أهل دمشق به • فشاورهم افتكين في استدعاء الحسن الاعصم القـرمطي ليساعدهم في قتال الفاطميين وفك الحصار عن دمشق فوافقوا •

لم يخف خبر هذا الاتفاق على جوهر الصقلي • ولما علم بمسير الحسن الاعصم القرمطي من الاحساء متوجها لمساعدة افتكين رأى أن خير ما يفعله هو رفع الحصار والرحيل عن دمشق والتوجه الى طبرية • ومنها رحل الى الرملة حتى لا يصبح بين نارين[٢٣] •

ولما وصل الحسن الاعصم الى دمشق ، بادر بجمـع الجموع مـع افتكين حتى بلغت خمسين ألف فارس وراجل من رجال الشام والعرب[٢٤]، وسارا على رأسها اثر جوهر • فاضطر جوهـر للرحيـل الـى عسقلان ليتمكن من الحصول على المؤونة والمساعدات العسكرية من مصـر عـن طريق البحر[٢٥] • ولكنهما حاصراه ، وطال الحصار عليه ، وقلت المـيرة وعدمت الاقوات • ولم يستطع الحصول على معونة من مصر • فقد دام الحصار ما يقرب من سنة ونصف • وفي خلال هذه الفترة ، نقص عـدد القوات الفاطمية ، فرأى أن يراسل افتكين ويدعوه الى الموافقة والطاعة • فأرسل اليه وأظهر رغبته في لقائه • فتقدم اليه واجتمعا راكبين ، فقال له جوهر (قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الاسلام ، وحرمة الـدين ، وقـد طالت هذه الفتنة ، وأريقت فيها الدماء ، ونهبت الاموال ، ونحن المؤاخذون

٢٣ـ WIET :Op. Cit., p. 191

٢٤ ـ ابن خلـدون : المصـدر السابق ، مجلد ٤ ص ٥٢

٢٥ ـ Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » Vol. I, P. I., p. 541

— Ibid Article « DJAWHAR » Vol. I, P. II, p. 1038

WIET : Op. Cit., p. 191

بها عند الله تعالى • وقد دعوتك الى الصلح والطاعة والموافقة • وبذلت لك الرغائب ، فأبيت الا القبول مما يشب نار الثورة ، فراقب الله تعالى • وراجع نفسك ، وغلب رأيك على هوى غيرك) • فأجابه افتكين : (أنا والله واثق بك في صحة الرأي والمشورة منك • ولكنني غير متمكن مما تدعونني اليه بسبب القرمطي ، الذي أحوجتني أنت الى مداراته ، والقبول منه) فقال جوهر : (اذا كان الامر على ما ذكرت فانني أصدقك الحال ، تعويلا على أمانتك ، وما أجده من الفتوة عندك • وقد ضاق الامر بنا • وأريد أن تمن علي بنفسي وبمن معي من المسلمين • وتذم لنا وأعود الى صاحبي شاكرا لك ، وتكون قد جمعت بين حقن الدماء ، واصطناع المعروف) • فأجابه الى ذلك وحلف له على الوفاء به[٣٦] •

ولما عاد افتكين أخبر القرمطي بما فعل فقال له : (لقد أخطأت فان جوهرا له رأي وحزم ومكيدة ، وسيرجع الى صاحبه ويحمله على قصدنا بما لا طاقة لنا به • والصواب أن نرجع عن ذلك) • فلم يقبل افتكين أن يغدر بعد أن أعطى الامان ، وسمح لجوهر ومن معه بالمسير الى مصر[٣٧] • ويبدو أنه تقرر الامر بين الطرفين على أن يكون من غزة الى مصر

---

٢٦ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٣

— سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، ورقة ٩١ ، ويضيف أن جوهرا خرج من تحت سيف افتكين ورمح القرمطي •

— اما ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ٥٠ ، فيذكر ان جوهرا طلب الصلح فوافق افتكين على أن يخرج أصحابه عراة لاشيء يستر عوراتهم ، وان يمر جوهر من تحت سيف افتكين ورمح القرمطي •

— أما KOENIG

(Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » , Vol. I, P. I, p. 541)

فيذكر ان جوهرا تعهد لافتكين بهدايا قيمة مقابل تخليصه من المأزق الحرج الذي وقع به وتركه يعود الى مصر •

٢٧ — يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ص ٣٩٨

ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٣

للفاطميين ، وأن يتخلوا لافتكين عن بـلاد الشام اعتبارا من عسقلان[٢٨] • واشترط جوهر مقابل ذلك على افتكين اقامة الدعوة في المنطقة التي ستتبع له للخليفة الفاطمي العزيز بالله ، بينما يأخذ افتكين الاموال التي تدرهـا المنطقة ، وتراضيا بذلك[٢٩] •

وما أن وصل جوهر الى مصر حتى اجتمع بالعزيز ، وأعلمه حقيقـة الامر وما أصاب سلطان الفاطميين في الشام من ضعف وانحلال ، وأطلعه على ما اتفق عليه مع افتكين • الا أن العزيز رفض هذا الاتفاق ، وقرر أن يسير اليه بنفسه • فجمع جيشه ورجاله وسار الى فلسطين وجوهر على مقدمته [٣٠] • وعلم افتكين بالامر ، فعاد مع القرمطي الى الرملة ، وأعد العدة وجمعا جموعهما مـن العـرب • ونـزل العزيز بالله بظاهر الرملة ، وبدأت الحرب بينهما في محرم سنة ٣٦٧ هـ / أغسطس سنة ٩٧٨ م [٣١] •

وعندما بدأ القتال ـشاهد الخليفة العزيز بالله في المعارك التي جرت بينهما ما أعجبه وأدهشه من بطولة افتكين ، فأرسل اليه يدعوه للطاعـة ويبذل له الرغائب والولايات ، ووعده بأن يجعله قائد جيشه ، ولا يبرم في شؤون دولته أمرا دون الرجوع اليه ، وطلب منه الحضور اليه • فتقـدم افتكين بين الصفين ، وترجل ، وقبل الارض • فأرسل اليه العزيـز يقول له : (يا افتكين أنا العزيز وقـد أزعجتني عن سرير ملكي ، وأخرجتنـي

---

٢٨ ـ يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ص ٣٩٨
WIET : Op. Cit., p. 191 —

٢٩ ـ يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٩٨

٣٠ ـ Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » Vol. I, P. I., p. 541

٣١ ـ WIET : Op. Cit., p. 192

لمباشرة الحرب بنفسي ، وأنا مسامحك بجميع ذلك ، وصافح لك عنه . فاترك ما أنت عليه ، ولذ بالعفو مني ، فلك عهد الله وميثاقه أني أومنك ، واصطفيك ، وأنوه باسمك ، واجعلك اسفهلار عسكري . وأهب لك الشام بأسره واتركه في يدك) فأجاب افتكين رسول العزيز قائلا : (قل لامير المؤمنين ، لو قدم هذا القول لسارعت ، وأطعت ، أما الآن فليس الا ما ترى) . وأعاد العزيز الرسول ، وقال له (قل لافتكين يقرب مني بحيث أراه ويراني ، فان استحققت أن يضرب في وجهي بالسيف فليفعل) . فأجابه افتكين (ما كنت الذي أشاهد طلعة أمير المؤمنين وأنابذه الحرب . وقد خرج الامر من يدي) [٣٢] . وعاد افتكين لقتال الفاطميين . وحمل على الميسرة وقتل منها كثيرا من جنود الفاطميين .

عند ذلك أدرك العزيز بالله تصميم افتكين على القتال وشدته فيه . فحمل عليه من القلب ، وأمر الميمنة فحملت على افتكين وحليفه الحسن الاعصم القرمطي ومن معهما ، حتى انهزموا . ووضع الفاطميون السيف فيهم فقتلوا منهم نحو عشرين ألفا . وفرض العزيز لمن يقبض على افتكين مائة ألف دينار ، فجاءه به المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي في سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧ م [٣٣] . فعفا عنه وعامله معاملة تنطوي على العطف والرعاية ، وخصص له دارا لاقامته .

أما الحسن الاعصم القرمطي فقد انهزم وسار الى طبرية . وهناك التقى برسول العزيز بالله حيث دعاه الى مقابلة الخليفة ووعده بالاحسان والرعاية . ولكن هذه الدعوة لم تلق قبولا منه ، ورحل الى الاحساء مع أنصاره من القرامطة . بعد أن اتفق معه العزيز بالله على أن يدفع له مبلغا

---

٣٢ ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٨

٣٣ ــ Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » Vol. I., P. I. p. 541

سنويا قدره عشرون ألف دينار طيلة حياته . وظل هذا المبلغ يدفع بانتظام ووفاء حتى وفاة العزيز بالله (٣٤) .

× × ×

وهكذا يتضح لنا من هذا العرض كيف أن النفوذ الفاطمي في بلاد الشام اصطدم بعدة قوى كانت تتصارع من أجل بسط سلطانها عليه . ولم يكن من اليسير على الفاطميين اخضاع كل هذه القوى وبسط سيادتهم على بلاد الشام كلها دون منازع .

فالحمدانيون كانوا قد نجحوا في انتزاع شمال الشام من الاخشيديين، ونتج عن ذلك عدة حروب انتهت باتفاق عقد بين الطرفين المتنازعين ، استقرت على اثره الامور بينهما .

وكان الاخشيديون في جنوب بلاد الشام ايضا في نزاع مع القرامطة الذين كان نفوذهم قد امتد الى بلاد الشام . وانتهى هذا النزاع بأن قبل الاخشيديون أن يدفعوا لهم ضريبة سنوية . وعلى الرغم من حصول القرامطة على هذه الضريبة ، الا أن الامر لم يسلم من تكرر الخلافات بين الطرفين ، مما جعل الحسن الاعصم يهاجم الاخشيديين في سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨ م . وقد حدث ذلك قبل الفتح الفاطمي بشهور قليلة ، مما أدى الى ضعف حكم الاخشيديين في بلاد الشام .

ثم ان البيزنطيين استغلوا هذه الاوضاع السيئة وأخذوا يهاجمون بلاد الشام ، ويحاولون اقتطاع أجزاء منها . وكثيرا ما سنحت لهم الفرصة لتحقيق ذلك بسبب ضعف القائمين على أمورها ، وانقسامهم فيما بينهم .

كانت هذه هي أوضاع بلاد الشام عندما بدأت الدولة الفاطمية فتحها .

---

٣٤ ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٨

بلاد مجزأة الى عدد من الامـارات الانفصالية • وكان أصحـاب هـذه الامارات مشغولين باقامة الحصون القوية للدفاع عن المـدن التي تخضع لسيادة كل منهم ولكي يحتموا بها عند اللزوم •

ودخلت الدولة الفاطمية حلبة هذا النزاع بفتحها بلاد الشام • وزاد الفتح الفاطمي هذه القوى قوة جديدة ، وهي قوة القبائل العربية في بلاد الشام • فبعد أن كانت هذه القبائل العربية على حال كبير من الضعف منذ أن عمل العباسيون على ابعاد العناصر العربية عن الحكم ، أخذت هـذه القبائل تنهض وتقوى شيئا فشيئا بفضل سياسة الفاطميين • فمنذ دخول الفاطميين بلاد الشام اختطوا سياسة ضرب القبائل العربية ببعضها البعض • وهذه السياسة التي سار عليها الفاطميون مع القبائل أدت في آخر المطاف الى صحوتهم وقيامهم بدور فعال في أحداث الشـام ، ولاء للفاطميين أو عداء لهـم •

كما أن سوء معاملة قوات الفاطميين لأهالي دمشق وتعصب هـؤلاء الاهالي الشديد ضد الفاطميين قد دفعهم الى القيام بالثورة عدة مرات في وجه الفاطميين •

الباب الثاني

موقف القبائل العربية في جنوب ووسط الشام

من الفاطميين

١ ـ بنو الجراح في فلسطين :

أ ـ مقدمة : أصلهم ـ أوضاعهم زمن الخلافتين الاموية والعباسية ـ ظهورهم في بداية الحكم الفاطمي •

ب ـ علاقة بني الجراح بالفاطميين •

* أسباب التردد في موقفهم من الفاطميين •
* مساعدة بني الجراح للقرامطة •
* تحالفهم مع سعد الدولة الحمداني •
* مساعدتهم للفاطميين •
* العودة الى العصيان والدعوة للحسن بن جعفر الحسني •
* اتفاق بني الجراح وزعماء العرب ـ معركة الاقحوانة •
* عودتهم الى الولاء للفاطميين •

حـ ـ ضعف بن الجراح •

٢ ـ بنو كلب في أواسط الشام :

أ ـ مقدمة : أصلهم ـ أوضاعهم زمن الخلافتين الاموية والعباسية ـ ظهورهم في بداية الحكم الفاطمي .

ب ـ علاقة بني كلب بالفاطميين :

* سنان بن عليان الكلبي واتفاقه مع زعماء العرب ضد الفاطميين .
* رافع بن أبي الليل ينحاز للفاطميين .
* مسمار بن سنان الكلبي يقاتل مع أهالي دمشق ضد بدر الجمالي .

بَنُو الجَرَاح فِي فِلَسْطِين



مقدمة

عرفنا من خلال دراستنا لجوادث الفتح الفاطمي لبلاد الشام أن القائد الفاطمي سارعلى سياسة ضرب القبائل العربية بعضها ببعض، مما نتج عنه يقظة هذه القبائل من سباتها ، وبروزها على مسرح الاحداث . وسنحاول أن نستعرض ـ في هذا الباب الثاني ـ موقف زعماء القبائل العربية في جنوب وأواسط الشام من الفاطميين ، ومدى أثر ذلك على استقرار نفوذهم بها . وفي هذا المجال يبرز موقف بني الجراح وبني كلب ، فقد سيطرت علاقاتهم بالفاطميين على أحداث هذه الفترة موضع الدراسة .

فأما بنو الجراح فهم أحد بطون طيء التي أقامت في فلسطين وهم ينتسبون الى جدهم حوط بن عمر بن خالد معبد بن عدي بن أفلت الطائي. وبنو طيء قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية ، وتتفرع منها بطون وأفخاذ عديدة . إليها ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم ، وأبو تمام الطائي الشاعر المشهور .

وكانت منازل طيء في اليمن ، ثم ما لبثوا أن خرجوا منها بعد سيل العرم الى الحجاز واستقروا هناك . ثم تفرقوا في أول الاسلام زمن الفتوحات الاسلامية وانتشروا في الشام والحجاز والعراق [1] .

---

(1) طيء قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية . كانت الرئاسة على طيء في الجاهلية لبني هناء ، ومن ولده إياس بن قبيصة الذي أدال به كسرى ابرويز النعمان بن المنذر حين قتله . وأنزل طيئا في الحيرة مكان لخم قوم النعمان ، وولى على العرب فيها اياسا هذا . فكانت له ولاعقابه الرئاسة حتى انقرض ملك الفرس . ←

ولم ترتد طيء مع المرتدين ، بل تمسكت بالاسلام [٢] ، وحاربت مع المثنى في العراق سنة ١٤هـ / ٦٣٥ م . كما ناصرت علي بن أبي طالب في حوادث سنة ٣٦هـ / ٦٥٦ م ، وحاربوا معه سنة ٣٧هـ / ٦٥٧ م في موقعة

← وقبيلة طيء قبيلة كبيرة ، فهي تتكون من بطون كثيرة تملأ السهل والجبل في الشام والحجاز والعراق . وهم أصحاب الرئاسة في العرب بالعراق والشام ، كما يوجد بطون منها بمصر .

١ ــ أما ما ذكر عن اسلامهم فيقال أن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب سنة تسع ومعه مائة وخمسون من الانصار ، لهدم صنم الفلس، وكان بنجد تعبده طيء فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاه .

٢ ــ وقيل انه قدم على رسول الله ﷺ وفد من طيء فيه زيد الخيل ابن مهلهل سنة تسع وهو سيدهم ، فعرض عليهم الاسلام . فأسلموا وحسن اسلامهم . وقال عليه الصلاة والسلام ما ذكرني رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال فيه ، الازيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه ، سما زيد الخير .

عن قبيلة طيء انظر :

- النويري : نهاية الارب في فنون الادب ، طبعة دار الكتب ١٩٥٥ ، جزء ١٨ ، ص ٧٦ .
- القلقشندي : نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق الابياري طبعة القاهرة ١٩٥٩ ، جزء ١ ، ص ١٠٠ .
- ابن بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة دمشق ، ص ٣٤ .
- عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، طبعة بيروت ١٩٦٨ ، جزء ١ ، ص ١٧٨ وجزء ٢ ، ص ٦٩٠ ــ ٦٩١ .
- وصفي زكريا : عشائر الشام ، طبعة دمشق١٩٤٥ ، جزء ١ ، ص٩٨ .
- عباس العزاوي : عشائر العراق البدوية القديمة والحاضرة ، طبعة بغداد ١٩٣٧ ، ص ٨١ .

(٢) ابن بدران : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩ .

صفين [٣] .

أما عن أخبار بني طيء في القرن الاول والثاني والثالث فان المصادر تسكت عنها ، ويبدو أنهم لم يقوموا بدور يستوجب ذكرهم زمن الأمويين والعباسيين الاوائل .

وبدأ هؤلاء باستغلال ظروف الدولة الطولونية ، والضعف الـذي تردت فيه سلطتها في الشام ، فقاموا بثورات متكررة . ففي سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨ م ، نهضوا بقيادة زعيمهم صالح بن مدرك بقطع طريق الحجاج في منطقة الاجفر [٤] ، وأخذوا من الاموال والمماليك والنساء ما قيمته مليون دينـــار [٥] .

وتكررت هذه الحادثة مرة أخرى بعد مضي سنتين فقط . فقد شعر بنو طيء بعدم وجود سلطة حاكمة قوية ، فنهض زعيمهم صالح بن مدرك في محرم سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م بمهاجمة الحاج العراقي ، وكان برفقته مـا يزيد عن ثلاثة آلاف من عرب طيء ما بين فارس وراجل . وقام أمير الحاج بمهمة قتال قبيلة طيء وزعيمها صالح بن مدرك يوما وليلة ، حتى تمكن من

---

(٣) لما نزل علي بالربذة أتته جماعة من طيء فقيل لعلي : (جماعة من طـيء قد أتتك ، منهم من يريد الخروج معك ، ومنهم من يريد التسليم عليك . قال : جزى الله كلا خيرا . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجـرا عظيما . ثم دخلوا عليه فقال علي « ما شهدتمونا به » قالوا « شهدناك بكل ما تحب » قال « جزاكم الله خيراً لقد استلمتم طائعين ، وقاتلتم المرتدين ، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين) .

انظر عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٩١ .

(٤) الاجفر : موضع بين فيد والخزيمية وهو ماء لبني يربوع . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ص ١٠٢ .

(٥) ابن تغري بردي الأتابكي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٥-١١٦

هزيمتهم بعد أن قتل عددا كبيرا من أعيانهم ، وانقذ الحاج من خطرهم [٦] .

وفي القرن الرابع والخامس ـ أي في الفترة موضوع دراستنا ـ صارت رئاسة طيء لبني الجراح منهم . ولم يشكل هؤلاء امارة خاصة بهم ، بل بقوا على هيئة قبيلة برز بعض زعمائها في أحداث تلك الفترة في جنوب بلاد الشام ـ وعلى وجه التحديد ـ في فلسطين مما يلي الرملة .

ويمكن حصر الفترة التي لعب فيها بنو الجراح دورا في تاريخ تلك المنطقة فيما بين سنة ٣٥٨ وسنة ٤٣٣هـ/٩٦٨ ـ ١٠٤١ م . وأما بعد هذا التاريخ فما تذكره المصادر عن بني الجراح ، لا يعدو أن يكون مجرد حوادث متفرقة ليست لها أهمية تذكر .

وقد اشتهر من زعمائهم حسان بن الجراح الذي حالفه القرامطة ، والذي ورد ذكره في المصادر لاول مرة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م [٧] .

وفي نفس الفترة برز اسم مفرج بن دغفل بن الجراح [٨] ، دون أن نعرف نوع قرابته لحسان . ويحتمل أن يكون أحد أبناء عمومة حسان .

---

(٦) ابن تغري بردي الاتابكي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٢١ـ١٢٢
(٧) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .
(٨) مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٣٨٥ .
ـ أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ، جزء ٣ ، ص ٢٢٦ .
ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٥٠ .
ـ القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، طبعة دار الكتب ، جزء ٤ ، ص ٢٠٣ .
ـ أما زامباور : في معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جزء ١ ، ص١٦٠ فيذكر اسمه دغفل المفرج بن الجراح .

وكانت الرملة اقطاعا لمفرج [٩] ،وقد توفي سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م [١٠] .

أما حسان بن مفرج بن دغفل بن الجراح ، فقد أصبح رئيس القبيلة في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م . وقد نجح حسان في بسط نفوذ قبيلته في جنوب فلسطين ، فاستولى على عسقلان في سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٣م . كما أنه استولى على أفامية في شمال سورية بعد هربه الى الامبراطور البيزنطي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م وبقي اسمه يذكر حتى سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م [١١]، حيث لعب دورا بارزا في فلسطين مستغلا الفوضى التي حدثت في بلاد الشام اثر وفاة أنوشتكين الدزبري . وبعد ذلك التاريخ لم نعد نسمع شيئا عنه [١٢] . وكان حسان آخر كبار زعماء بني الجراح ، فلم يقدر لمن خلفه في زعامة القبيلة أن يلعب دورا مثل الذي لعبه حسان وأسلافه سواء في تاريخ القبيلة أو في تاريخ العلاقات بين بني الجراح والفاطميين .

هذا ويجدر بنا أن نتساءل قبل أن نمضي في بحث علاقة زعماء بني الجراح هؤلاء بالفاطميين عن الظروف التي أدت الى ظهورهم في هذه

---

(٩) القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٣ .

(١٠) زامباور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .

(١١) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٨١
- الطباخ : أعلام النبلاء ، جزء ١ ، ص ٣٢٣ .
- زامباور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .
- هذا ويذكر ابن الوردي (المصدر السابق ، ص ٣٤٠) احتلال حسان لافامية في سنة ٤٢٣ هـ . وكانت تقع على بحيرة واسعة يمر منها نهر العاصي ، وهي تشكل قسما من منطقة شيزر . ولاهميتها فقد اطلق اسمها على المنطقة . وهي الآن خراب — انظر :

LE STRANGE : Op. Cit., p. 384

(١٢) انظر فيما بعد . ص ١٣٨ — ١٣٩

المنطقة ، بعد مرور فترة طويلة منذ صدر الاسلام لم نكن نسمع فيها عنهم شيئا • ولا شك أنه كانت للظروف التي تمر بها كل من الدولة الفاطمية والعباسية ، وللاوضاع المضطربة في بلاد الشام دور كبير في ذلك •

فقد اعتمدت الدولة العباسية على العناصر الاجنبية من فارسية وتركية، ثم ما لبثت أن استبعدت العرب بعد أن أسقط الخليفة المعتصم عنهم العطاء• وقد حالت قوة الخلافة العباسية في العصر العباسي الاول دون بروز عوامل التفكك والانقسام في الدولة •

ولكن الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الثاني عجزوا عن مواجهة الصعوبات التي قامت في وجههم • وترتب على هـذا العجـز ظهور الفتن الداخلية التي أضعفت السلطة المركزية • وبدأت الفترة المضطربة في تاريخ الخلافة العباسية منذ أوائل القرن الثالث الهجري • وقد اختلفت احوالها في ذلك الدور من تاريخها بين القوة والازدهار ، وبين الضعف والفوضى والاضطراب • وهذا الضعف الذي ألم بالدولة ، أدى في نهاية الامر الى تفككها وزوال وحدتها ، فقامت الدول المستقلة من فارسية وتركية •

ورأى بنو طيء أنهم لا يقلون عن غيرهم من القـوى التي نجحت في ايجاد كيان لها داخل الدولة العباسية ، ومن ثم أخذوا يتهيأون للقيام بدور مماثل • غير أن طبيعتهم القبلية ، وشدة قبضة القوات الفاطمية على المناطق الجنوبية من بلاد الشام لم تسمح لهم بتشكيل امـارة ، ولذلـك اكتفوا بالاعتراف بهم كزعماء للقبائل •

أما النسبة للدولة الفاطمية فقد بنت وجودها في بلاد الشام على القوة والقوة وحدها [١٣] • ولم يكن باستطاعتها البقاء في هذه البلاد الا بحـد

---

(١٣) Encyc of Isl : Article « DAMASCUS » , Vol. I., P. II, p. 906

السيف ؛ فقد كان الفاطميون يرسلون الولاة الى بلاد الشام تصحبهم الجيوش لحمايتهم • وعلى الرغم من أن الغرض الذي كانت الدولة تهدف اليه من ارسالها هذه الجيوش هو محاولة اقرار الامن والنظام في هذه البلاد ، الا أن هذه الجيوش الفاطمية أصبحت مثارا للقلاقل في هذه البلاد ، كما أصبح مركز الولاة محفوفا بالمخاطر (١٤) •

وكان آل الجراح يستغلون قيام الثائرين على الدولة الفاطمية فينضمون اليهم نكاية بها ، كما كانوا يستغلون فترات الضعف التي تمر بها ليثوروا عليها • ولم يكن رائدهم في ذلك سوى اثبات شخصيتهم المستقلة وايجاد كيان لهم ، وخاصة في هذه الفترة المضطربة من تاريخ بلاد الشام •

فقد استغل آل الجراح وضع الشام المضطرب وعدم استقرار حكمها ، إذ كان حكامها وعمالها يتبدلون بسرعة ، كما كانت المنطقة مسرحا لثورات متقطعة وحروب أهلية (١٥) • ولا ننسى هنا أن تذكر سياسة جعفر بن فلاح في اثارة القبائل ضد بعضها ، مما أفسح المجال لآل الجراح للظهور في تلك الفترة (١٦) •

---

(١٤) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١٢٨ •

(١٥) LANE POOLE : Op. Cit., p. 118

Encyc of Isl : Article « FATIMIDS », Vol. II., P. I., p: 90

(١٦) جورج يني : تاريخ سورية ، ص ٢٥٩ •

علاقة بني الجراح بالفاطميين

ـ أسباب التردد في موقفهم من الفاطميين :

كانت علاقة بني الجراح بالفاطميين مضطربة لاتثبت على حال . فتارة كانوا يقفون الى جانب الفاطميين ويساعدونهم ضد من يثور عليهم ، وطورا آخر كانوا ينضمون الى أعدائهم . ولا نرى لهذا الموقف المتقلب من سبب الا ما يلي :

١ ـ الرغبة في الحصول على المال بأية وسيلة كانت . فقد اعتمد الحسن الاعصم القرمطي ـ في هجومه على مصر ـ على العرب من طيء بقيادة زعيمهم حسان بن الجراح الطائي[١] . وما أن أغراه المعز بالمال حتى ترك حليفه ، وكان سببا في هزيمته ، مما يدل على أن حسانا لم يكن يقاتل الى جانب القرمطي الا سعيا وراء المال [٢] ، دون أن يكون له غاية أهم تدفعه الى ذلك [٣] .

كما أن أمراء آل الجراح لم يرعووا عن قطع طريق الحاج للحصول على المال [٤] . فقد هاجم مفرج بن دغفل بن الجراح الحاج في المحرم سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩ م ، ولم يترك الحاج الا بعد أن حصل على ثلاثمائة

---

(١) السيوطي : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزء ١ ، ص ٦٠١ .

(٢) WIET : Op. Cit., p. 184

(٣) حسن ابراهيم حسن وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١١٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٧ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

ألف درهم ، وعلى شيء من الثياب المصرية ، والأمتعة اليمنية [٥] . وكرر ذلك في سنة ٣٨٩ هـ/٩٩٨ م ، ولم يطلق الحاج إلا مقابل تسعة آلاف دينار[٦] . كما عاد الى ذلك في المحرم من سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤ م ، وألزمهم بتسعة آلاف دينار أخرى [٧] .

٢ ــ استغلال الفوضى التي سادت بلاد الشام وعدم استقرار الحكم الفاطمي فيها ، واندلاع الثورات من قبل سكان البلاد ، حتى أصبحت بلاد الشام كالبركان المتفجر يلقي بحممه كل حين . ولم تكن الدولة العباسية في وضع يسمح لها بمساعدة السكان ، والوقوف الى جانبهم[٨] . ولم ير أهل الشام منقذا لهم من قهر السلطة الفاطمية إلا الاعتماد على أنفسهم .

كما وأن سياسة الفاطمين في ضرب القبائل العربية بعضها ببعض[٩]، جعلت هذه القبائل تصحو من سباتها لتؤدي الدور الذي أسند اليها ، وتكون الى جانب الدولة الفاطمية حينا ، أو في الجانب المناهض لها حينا آخر . واستغل بنو الجراح هذه الفوضى المطبقة التي سيطرت على البلاد في تلك الفترة للثورة على الفاطميين والسيطرة على الاراضي التي في جنوب بلاد الشام . ولم يكتفوا بذلك ، بل انهم استغلوا وفاة الخليفة

---

(٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٤٧ .

(٦) ابن تفري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٠ .

(٧) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٢٩ .

(٨) محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، طبعة ثانية ١٩٦٧ ، ص ٥٦ .

(٩) عن سياسة الفاطميين في هذا الصدد انظر الباب الاول، ص ٣٩ ــ ٤١ .

الفاطمي الحاكم بأمر الله وحدثتهم أنفسهم بأن يهاجموا الدولة الفاطمية في مصر نفسها . وبالفعل هاجموا أطراف البلاد المصرية [١٠] . ففي سنة ٤١١ هـ/١٠٢٠ م طرقت عساكر ابن الجراح الفرما ، ففر أهلها الى القاهرة [١١] . وعاود ابن الجراح الكرة في سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م حين اختلف مع أنوشتكين الذي جاء من قبل الفاطمين كوال لفلسطين . وحدثت بينهما حرب اضطر أنوشتكين على أثرها الى الهرب من الرملة الى قيسارية فاعتصم بها، ولكن ابن الجراح بعث سراياه فانتهت الى العريش وأحرقتها [١٢]، حتى خشي أهل بلبيس والقرافة على أنفسهم ، فانتقلوا الى مصر [١٣] .

٣ ــ التنافس بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية على السيطرة على بلاد الشام ، وقد نشطت كل خلافة في رشوة القبائل لتعمل على مساعدتها ومناصرتها ، واستغلت القبائل العربية هذا الوضع وبدأ اسمها يظهر على مسرح الأحداث .

٤ ــ الطبائع العربية القبلية وعدم خضوع العربي للسلطة . فقد كان بنو طيء كغيرهم من العرب ينفرون من الالزام والخضوع للقانون وللسلطة المركزية ، وتأبى نفوسهم الأبية الخضوع لاي انسان مهما علا مركزه . وعندما أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله يارختكين الى بلاد الشام، وأراد ــ كعادة الفاطمين عندما يرسلون قوادهم في أمر هام ــ أن يظهر سلطته ويقوي مركزه ، فأمر وجوه القواد بتبجيله ، والترجل في خدمته ، وكان من بينهم علي ومحمود ابنا المفرج بن جراح ، ساءهما ذلك وحقدا

(١٠) LANE POOLE : Op. Cit., p. 135
(١١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٤٨ ، ص ٢٧٣ .
(١٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٤ ، ص ٦١ .
ــ المقريزي : الخطط ، جزء ١ ، ص ٣٤١ .
(١٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٦١ .

على يارختكين • وأبت نفوسهما الصبر على هـذه المذلة ، فجاءا الـى والدهما مفرج بن دغفل ، وعرفاه بما أمر به من الترجل ليارختكين والمشي بين يديه ، وما لقياه في ذلك من مشقة ، وأوضحـا له أن نفوسهما تأبى الصبر على هذه المذلة • وقد ظل آل الجراح يتحينون الفرص للانتقام من يارختكين • حتى انتهى بهم الأمر بقتله [14] •

٥ ـ ان الدولة الحمدانية مالبثت أن دخلت دور الضعف بعد وفاة أميرها سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م • وكانت الدولة الحمدانية مـن أقوى الدويلات العربية في هذه الفترة • وكانت القبائل العربية في بـلاد الشام تحت سيطرتها ، يقاتلون الى جانبها ، وينفرون معها في الحروب [15] • فما أن ضعفت حتى أخذت القبائل العربية في التحرر من سلطانها ، وفي العمل على أن يكون لها كيانها الخاص •

هذه أسباب عامة لتذبذب علاقة القبائل العربية في الشام بالفاطميين، ومنهم آل الجراح من طيء • والى جانب هذه الاسباب العامة هناك أسباب أخرى خاصة بآل الجراح وهي :

تحريض أصحاب الأغراض مستغلين فيهم هذه الطبيعة القبلية • فقد حرضهم أبو القاسم الحسين بن علي المغربي ـ الذي فر من ظلم الخليفـة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما غدر بأبيه وعمه والتجأ الى بني الجراح ـ على عدم الخضوع لطاعة الحاكم بأمر الله ومبايعة أبي الفتوح أمير مكـة

---

(١٤) الروزراوري أبو شجاع : ذيل تجارب الامم ، جزء ٣ ، ص ٢٣٣ وانظر فيما بعد ص ١١٢ ـ ١١٣ .

ـ عن تفاصيل ذلك انظر فيما بعد ص ١١١ ـ ١١٥

(١٥) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٩١ .

ـ انظر فيما بعد الباب الثالث .

بالخلافة [١٦] .

هذه العوامل العامة والخاصة هي التي دفعت بني الجراح الى القيام بهذا الدور أثناء حكم الفاطميين لبلاد الشام . فقاموا بثورات في الرملة وطبرية وفي أفامية ، وسيطروا على هذه المنطقة الى أن اضطروا في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي الى الجلاء عن جنوبي فلسطين ، فهبطوا مصر ونزلوا مديرية البحيرة مع بني قرة الجذاميين [١٧] .

ولم تكن علاقة بني الجراح بالفاطميين على وتيرة واحدة ، فقد كانت تتأرجح بين العداء والصداقة . فاما أن يساعدوهم أو يقفون في وجههم وينضمون الى أعدائهم ، متبعين في ذلك ما تمليه عليهم مصالحهم الذاتية ، وخاصة المادية منها .

ـ مساعدة بني الجراح للقرامطة :

عمل بنو الجراح في بداية الحكم الفاطمي لبلاد الشام على الانضمام للحركات التي ناوأت الفاطميين . فقد قام مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي بمساعدة الحسن الاعصم القرمطي الذي قدم في سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م لقتال القائد الفاطمي جعفر بن فلاح مدعيا أن احتلال الفاطميين للشام قد حرم القرامطة من ضريبة كبيرة كان يؤديها اليهم الاخشيد . واستطاع الحسن الأعصم القرمطي أن يستخلص دمشق ، ثم دخل الرملة وتركها متوجها الى القاهرة بعد أن خلف عليها مفرج بن دغفل بن الجراح

---

(١٦) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٣ .
— Encyc of Isl : Article « FATIMIDS » , Vol. II., P. I., p: 90
(١٧) احمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر ، جزء ١ ، ص ٤٥ .

الطائي (١٨) .

كما أن حسان بن الجراح الطائي انضم مع جمع عظيم من جنوده الى جيش القرامطة الذي زحف على مصر سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤ م للمـرة الثانيـة بقيادة الحسن الاعصم (١٩) . وتداعت الانباء الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عن وصول جيش القرامطة وبرفقتهم جموع كثيرة مـن العرب من طيء بقيادة زعيمهم حسان بن الجراح (٢٠) . فتخوف المعز من قوتهم وشـدة بأسهم وخاصة بعد أن تمكنت هذه القوات القادمة من احتلال مناطـق في صعيد مصر ، وعاثت سرايا الحسن الأعصم فسادا (٢١) . هذا وقد كان المعز لدين الله يخشى مواجهة هذه القوات والدخول معها في حرب فرضت عليه دون أن يكـون مستعدا لهـا . ورأى أن يستشير أصحابه وأهـل الرأي من نصائحه ، فأشاروا عليه بأن خير وسيلـة لمجابهتهم استخـدام الاسلوب السياسي ، والسعي في تفريق كلمتهم ، والقـاء الخلف بينهم . فقوة القرمطي وشدته مستمدة ممن انضم اليه من العرب ، وخاصة بنـو الجراح (٢٢) . فوافق المعز على استخدام أساليب الحرب التي تنطوي على المكر والدهاء للقضاء على التحالف بين القرامطة برئاسة الحسن الأعصم والقبائل العربية . فراسل حسان بن الجراح أمير عرب طيء واستمالـه ووعده بمائة ألف دينار إن هو عمل على ترك القرمطي . وتأكيدا لاتفاقـه معه استحلفه ، فحلف له بأنه سينهزم إذا حصل على المال المقرر .

---

(١٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢ .
(١٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٤ .
(٢٠) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٨٠ .
(٢١) WIET : Op. Cit., p. 184
(٢٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣ .
— WIET : Op. Cit., p. 184

وتجمع المصادر العربية على أن المعز عندما فكر في المال استعظمه ، فرأى أن يعمل دنانير من نحاس ويطليها بالذهب الكثير • ثم عمل على وضعها في أكياس ، وجعل على رأس كل كيس دنانير يسيرة من الذهب الخالص تغطي ما تحتها • وحملوها الى ابن الجراح الذي ما أن وصل المال اليه ، حتى عمل على الانهزام أمام عسكر المعز ــ منفذا للخطة المتفق عليها ــ وولى أصحابه منهزمين خلفه • وبقي الحسن الأعصم يقاتل مع أصحابه وحيدا ، ولكنه مالبث أن انهزم وأسر من أصحابه نحو ألف وخمسمائة أسير[٢٣] •

ولا بد لنا من أن نذكر هنا أن المعز لدين الله استطاع بعد ذلك أن يعتمد لفترة على آل الجراح ، وخاصة في طرد القرامطة من بلاد الشام • ولكن آل الجراح ما لبثوا أن وقفوا موقفا عدائيا من الفاطميين استمر طوال فترة الحكم الفاطمي لبلاد الشام تقريبا ، ما عدا بعض الفترات البسيطة التي سالموهم فيها •

ويمكننا أن نعلل هذا الموقف في ضوء ما فعله المعز لدين الله مع آل الجراح حين سلمهم النقود المزيفة • ذلك أن بني الجراح لم يكتشفوا بسرعة زيف هذه النقود ، ومن ثم استمروا في مصانعة المعز لدين الله حتى تمكن من طرد القرامطة من بلاد الشام • ولكن بعد أن اكتشفوا زيف هذه النقود غيروا موقفهم هذا وأصبحوا من أشد أعداء الدولة الفاطمية • وهذا

---

(٢٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣ .
ــ الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .
ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٨٠ .
ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٥٠ .
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٢ .
ــ WIET : Op. Cit., p. 184

ما دعا يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمي العزيز بالله أن ينصحه قبل وفاته بمسالمة البيزنطيين ، وقتل مفرج بن دغفل بن الجراح اذا سنحت لـه الفرصة بذلك [٢٤] .

وهكذا نجد أن مساعدة حسان بن الجراح للقرامطة ، لم تكن عـن نية خالصة ، أو حبا في مذهبهم ، اذ أن القرامطة أنفسهم كانوا قد انحرفوا عنه ودعوا للعباسيين ، وانما كان ذلك رغبة منهم في الكسب المادي أيا كان مصدره . ولهذا السبب أيضا ترك حلفاءه القرامطة عندما وعده المعزبمبالغ مالية مغرية .

ـ تحالفهم مع سعد الدولة الحمداني :

كما أن زعماء آل الجراح في فترة الفتح الفاطمي لم يرعووا عنالاتفاق مع القبائل العربية الاخرى ، وخاصة مع سعد الدولة الحمداني ـ الـذي كان في عداء مع الفاطميين ـ للوقوف في وجه الدولة الفاطمية . فقد أوعز سعد الدولة الحمداني لزعيم آل الجراح مفرج بن دغفل أن يثور ضـد الفاطميين في منطقة فلسطين [٢٥] . كما أن سعد الدولة التقـى في سنـة ٣٦١هـ/٩٧١ م بزعيمهم الآخر حسان بن الجراح الطائي ، واتفقا على أن ينزعا الشام من حكم مصر [٢٦] .

ـ مساعدتهم للفاطميين :

وقد أدرك المعز لدين الله أن نجاحه ونصره على الحسن الأعصـم القرمطي كان لاتفاقه مع حسان بن الجراح . لذلك وجه سياسته نحـو الاعتماد على بني الجراح من طيء للقضاء على ما بقي للقرامطة مـن نفوذ في بلاد الشام ولاستردادها .

---

(٢٤) انظر النص فيما بعد ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٢٥) CANARD : Op. Cit., p. 678

(٢٦) محمد كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

ولا شك أن المعز نجح في هذه السياسة وجنى ثمراتها ، واستطاع بالمساعدة والتعاون مع بني الجراح وبعض القبائل العربية الأخرى أن يستعيد سلطانه على بلاد الشام [٢٧] . وقد أعلن زعيمهم الآخر مفرج بن دغفل بن الجراح طاعة الفاطميين ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يتشيع بل كان سنيا[٢٨] .

وأصبح بنو الجراح في هذه الفترة على علاقة حسنة مع الخلافة الفاطمية ، وساعدوا جوهرا عندما جاء لقتال افتكين[٢٩] . ويبدو أن المفرج بن دغفل بن الجراح لم ير مع افتكين بغيته من مال وغيره فانصرف عنه ومال الى الفاطميين[٣٠] .

عمل ابن الجراح جاهدا للقبض على افتكين وخاصة وأن الخليفة العزيز بالله قد فرض لمن يستطيع القبض عليه مائة ألف دينار [٣١] . وكان افتكين قد أزعج الدولة الفاطمية واستولى على دمشق وقضى على النفوذ الفاطمي بها ، حتى اضطر الخليفة العزيز بالله أن يخرج بنفسه لقتاله [٣٢] .

وكان افتكين بعد هزيمته قد اختفى ، ولم يعرفوا عن أمره شيئا . واستطاع مفرج أن يقبض عليه [٣٣] ، وذهب الى العزيز وأعلمه بأسر

---

(٢٧) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٣
(٢٨) مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٤٠٢ .
(٢٩) عن افتكين انظر الباب الاول : ص ٦٦ — ٧٦
(٣٠) الدواداري : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، ص ١٧٩ .
(٣١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩ .
(٣٢) أنظر فيما سبق حركة افتكين التركي ص ٦٦ — ٧٦
(٣٣) الدواداري : الدرة المضيئة ، ص ١٨٧ (يروي كيف وقع افتكين في قبضة ابن الجراح) .

افتكين ، وطلب منه المال ، فأعطاه ما ضمنه وسير معه من أحضر افتكين[٣٤] .
وكان ذلك في سنة ٣٦٧/هـ ٩٧٧ م [٣٥] .

أما موقف آل الجراح الايجابي الآخر من الدولة الفاطمية فيتمثل في مساعدتها على التخلص من أبي تغلب بن حمدان . فقد قام مفرج بن دغفل بن الجراح بمساعدة القائد الفاطمي الفضل بن صالح [٣٦] في قتاله، وكان أبو تغلب قد جاء الى بلاد الشام بعد انهزامه أمام البويهيين ووجد الابواب موصدة في وجهه ، فدمشق قد استولى عليها قسام الحارثي[٣٧]، وأما فلسطين فان آل الجراح قد استفحل نفوذهم بها . فزعيمهم مفرج بن

---

(٣٤) مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٣٨٥ .
- ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جزء ٧ ، ص ٦٤ .
- يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية ، الجزء الثالث ، المجلد الخامس ، ص ٣٩٨ .

(٣٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جزء ٧ ، ص ٦٤ .
- جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٨ .

(٣٦) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٧٧ .
WIET : Op. Cit., p. 193
- إما ابن القلانسي (المصدر السابق ، ص ٢٢) فيذكر اسمه الفضل بن أبي الفضل .

(٣٧) من بني الحارث بن كعب من اليمن ، كان من أهل قرية من قرى جبل سنير يقال لها تلفيتا ، وكان ينقل التراب على الدواب ، ثم انه اتصل بأحد أحداث دمشق فكان من حزبه ، ثم غلب على دمشق مدة ، ولم يكن للولاة معه حديث ، الى أن قدم يلتكين التركي من مصر وغلب قساما ودخل دمشق يوم الخميس ١٧ محرم سنة ٣٧٦ . وبقي قسام اياما مستترا ، ثم انه استأمن اليه ، فقيده وحمله الى مصر فعفا عنه الخليفة .

انظر صلاح الدين الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، تحقيق المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ ، ص ٦٨

دغفل بن الجراح كان مستوليا على الرملة ومسيطرا على فلسطين ، وكان قد تمكن في المنطقة مظهرا طاعة العزيز بالله • كما استغل مفرج هذه الصلة التي تربطه بالعزيز بالله وطلب منه ارسال مساعدة عسكرية له ليعمل على اخراج قسام من دمشق ، وكان يهدف من وراء ذلك الى مد سيطرته على دمشق (٣٨) •

وليس هذا فحسب بل أن زعيم آل الجراح مفرج أراد أن يتمم سيطرته على جنوبي بلاد الشام بالاستيلاء على أملاك العقيليين في المنطقة واخراجهم منها (٣٩) • وقد قوى مركزه بمجيء القائد الفاطمي الفضل بن صالح ــ الذي كان غلاما للوزير المصري يعقوب بن كلس ــ والذي كان يحمل لأمير آل الجراح مفرج سجلا بولاية الرملة (٤٠) •

لقد كانت خطة الفضل أن يضرب أبا تغلب بآل الجراح ، ثم يخلو له الجو فيقضى على آل الجراح • لذلك بدأ بتحريض ابن الجراح على أبي تغلب • فأظهر الفضل بن صالح لابن الجراح أن أبا تغلب يريد المسير الى الرملة لاخذها بالسيف ، ودعا الفضل ، ابن الجراح لقتال أبي تغلب واعدا إياه بالمساعدة •

---

(٣٨) CANARD : Op. Cit., p. 680

(٣٩) كان بنو عقيل في الشام يملكون حوران والبثنية ، وكانوا خاضعين للاخشيديين • وقد تولى بعض زعمائهم ولاية دمشق للاخشيد ومن هؤلاء صالح بن نمير العقيلي •
انظر الذهبي : تاريخ الذهبي ، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ، جزء ٢ ، ص ٢٨٥ •
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعه المجلس الاعلى ، ص ١٢٣ •

(٤٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٢ •
ــ الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٣ •

ونزل أبو تغلب الى جانب بني عقيل ، فسأله زعيمهم شبل بن معروف النصرة على عدوهم ابن الجراح . فعمل على مساعدتهم وحمايتهم . فاستوحش منه كل من القائد الفاطمي الفضل بن صالح ومفرج بن الجراح، وتعاونا على قتاله [٤١] . وسار أبو تغلب وبنو عقيل في محرم سنة ٣٦٩هـ/أغسطس ٩٧٩ م لقتالهما،ووقعت الحرب على باب الرملة.وماأن رأت عقيل كثرة الاعداء حتى آثرت الانسحاب . وبقي أبو تغلب في سبعمائة من غلمانه وغلمان أبيه ، فضعف أمره وولى منهزما [٤٢] . وانتهى أمره بأن قبض عليه مفرج وأخذه أسيرا [٤٣] .

ورأى مفرج أن يتخلص من أبي تغلب ويقتله خوفا من أن يصطنعه العزيز بالله اذا بقي حيا كما فعل بافتكين،فقتله في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩ م[٤٤]. وكان الفضل قائد الجيش الفاطمي يريد ارساله الى العزيز ، ولذلك غضب من مفرج لقتله ولامه على ذلك[٤٥] .

ـ العودة الى العصيان والدعوة للحسن بن جعفر الحسني :

لم تكن الدولة الفاطمية صادقة في نواياها مع ابن الجراح حين

---

(٤١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٢ .
ـ الدواداري : المصدر السابق ، ١٩٣ .

(٤٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٤٩ .
ـ ابو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٧ .

(٤٣) مسكويه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٠٢ .
ـ أبو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٧ .

(٤٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٩٨ وانظر فيما بعد ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .
ـ يوسف الياس الدبس : المرجع السابق ، ص ٤٠٢ .

(٤٥) انظر الباب الثالث « ابو تغلب الحمداني » ص ١٨٦ ـ ١٩٣ .

منحته عن طريق قائدها الفضل بن صالح سجلا بولاية الرملة . فقد كان الفضل يريد استغلال النزاع بين القبائل ليضرب بعضها ببعض لكي يصفو له الجو . كما لم يكن ابن الجراح مخلصا للدولة الفاطمية وللرعايا من سكان المنطقة . فقد خربت البلاد في أيامه ، حتى أن الانسان كان يدخل الرملة في أيامه يطلب شيئا يأكله فلا يجده ، ولحق الخراب والمجاعة بأكثر بلاد الشام [٤٦] .

وتنفيذا للخطة المرسومة فان الفضل بن صالح ما أن انتهى من القضاء على أبي تغلب بمساعدة ابن الجراح ، حتى قلب له ظهر المجن وعمد الى التخلص منه بعد أن عظم أمره وأراد أن يضربه بنفس الطريقة التي سار عليها في ضرب أبي تغلب . وقام في سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م وجمع جيوشه وأظهر أنه يريد قتال قسام الحارثي في دمشق . ولكن ابن الجراح كان ذكيا . ولم يكن بسيطا كأبي تغلب ، فلم تنطل الحيلة عليه . ولذلك تخلى عن الفضل أثناء مسيره لقتال قسام وأمر أصحابه بالرحيل ، فتبعه الفضل للقبض عليه ولكنه لم يتمكن من ذلك[٤٧] .

وعرف ابن الجراح أن الفضل سيوقع به حتما ، فرأى أن يتلطف الخليفة العزيز بالله ويسأله العفو عنه . فقبل العزيز بالله وعفا عنه، واصدر أمره للفضل بالكف عنه ، لكنه ما لبث أن عاد سيرته الاولى يخرب البلاد ويهلك من فيها ، حتى أصبحت الرملة خالية فلا يجد فيها طالب الطعام ما يأكله ومات الناس من الجوع[٤٨] .

ولم تكن أعمال ابن الجراح هذه لتخفى على الخليفة الفاطمي

---

(٤٦) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٤٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٤٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٤ .

العزيز بالله ، وخاصة بعد أن قوى أمر ابن الجراح في الرملة واشتد ساعده ، وأصبح جنوده يستعملون النشاب في قتالهم لاعدائهم[٤٩] . ولم يلبث أن تعدى ذلك الى الاستهتار بالفاطميين ، فخلع طاعة الخليفة العزيز بالله . فرأى الخليفة الفاطمي أن يقاتله ويتخلص منه ، ويعمل على استرجاع المنطقة منه وابعاده عنها ، وفي سبيل تحقيق ذلك اضطر الى ارسال جيوش متوالية لقتاله[٥٠] . وكان آخر هذه الجيوش ذلك الجيش الذي قاده يلتكين ـ.

وقد وصل يلتكين الى الرملة في سنة ٣٧٢هـ/٩٨١م[٥١] ، وازدادت

---

(٤٩) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٥٠) عن هذه الجيوش التي أرسلت لقتاله سنة ٣٧١هـ انظر تاريخ يحيى ابن سعيد الانطاكي جزء ٢ ؛ ص ٤١١ ـ ٤١٢ .

(٥١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

ـ بينما يذكر ذلك ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٠هـ .

ـ أما بيبرس الدوادار (المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٥٢) ،وابن الوردي (المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٠٥) . وابو الفداء (مختصر أخبار البشر ، جزء ٢ ، ص ١٢٩) فيوردون ذلك في حوادث سنة ٣٧٢هـ .

ـ أما محمد كرد علي (خطط الشام ، ص ٢٣٠) فيذكر أن العزيز سير الى مفرج بن الجراح عسكرا بقيادة رشيقا العزيزي سنة ٣٧١هـ ، فطرده منها وهزمه . وسار ابن الجراح بعد هزيمته يريد الحجيج ليقطع عنهم الطريق عند رجوعهم . فأنفذ العزيز مفلح الرحباني في عسكر ليلقاهم ويدفع عنهم ، فأوقع به ابن الجراح بايلة ، وقتله وجميع من معه ، وعاد الحجيج الى مصر ، فعاود ابن الجراح الشام فلقيه رشيق الحمداني دفعة ثانية وهزمه . ودخل الى البرية ، والتجأ الى بكجور في حمص فأجاره . وقصد انطاكية ملتمسا من باسيل الملك البيزنطي النجدة ، فأطلق له صلة ودفعه الى الشام . فرجع الى الشام ، والتمس من العزيز الامان فأجابه اليه .

قوة جيشه بمن انضم اليه من عرب المنطقة الذين كانوا كارهين وساخطين على طريقة مفرج في السلب والنهب (٥٢) • فخاف مفرج منه ؛ واستعد الطرفان للقتال(٥٣) • وكان مفرج قد جمع جموعه من العرب• ولكن ذلك لم يغن عنه شيئا فقد استطاع يلتكين أن يهاجمه من الخلف وأن يشتت شمل جموعه ويهزمه(٥٤) ، ثم وضع السيف فيهم وتمكن من أسر مفرج• غير أن مفرجا نجح في الفرار من الأسر ، فهرب الى حمص ملتجئا الى بكجور(٥٥) •

واضطر مفرج أن يرحل من حمص الى انطاكية حيث التجأ للبيزنطيين في نفس العام ، فأجاره امبراطورهم وأمنه • ثم ان الامبراطور البيزنطي خرج من القسطنطينية الى بلاد الشام ، وذلك بقصد فك الحصار الذي فرضه بكجور على حلب بجيوش الفاطميين(٥٦) • وظن مفرج السوء بالامبراطور البيزنطي ، وخاف أن يغدر به ويقبض عليه فيساوم به ويبيعه اما الى الفاطميين أو لابي المعالي بن حمدان فينتقم منه لقتله ابن عمه أبي تغلب(٥٧) • لذلك رأى ان من مصلحته أن يكاتب بكجورا ويحذره من مجيء البيزنطيين لقتاله ، وان يستغل هذه المناسبة ويطلب من بكجور

---

(٥٢) WIET : Op. Cit., p. 193

(٥٣) Encyc of Isl : Article « AL - AZIZ » , Vol. I., P. I., p: 541

(٥٤) رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، ص ٣٣٥ •
اما النويري : مخطوطه نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥١ فيذكر أن مفرج كان قد فر من يلتكين والتجا الى البيزنطيين سنة ٣٧٣هـ •

(٥٥) WIET : Op. Cit., p. 193
— عن بكجور انظر الباب الثالث ص ٢٠٤ — ٢١٨

(٥٦) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢١٠ •

(٥٧) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ •

الالتجاء اليـــه(٥٨) •

وقد أخذ بكجور برأي مفرج فعاد من حلب الى حمص ، كما قبـــل التجاء مفرج اليه بحمص • وعندما منح الخليفة الفاطمي العزيز بالله بكجور ولاية دمشق ودخلها،كان برفقته مفرج بن الجراح الذي أصبح وكأنه من أتباعه(٥٩) • وقد أساء بكجور السيرة في دمشق ، كما أساء الــى الوزيــر يعقوب بن كلس • فرأى ابن كلس أن يعمل على التخلص منه ومن حليفه ابن الجراح • فأرسل اليه في سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨ م(٦٠) منــيرا الخــادم في جيش عظيم • ولكن منيرا الخادم لم يستطع أن يعلن أنه جاء لقتال بكجور، بل أعلن انه انما جاء لطرد مفرج بن الجراح •

عند ذلك أدرك مفرج بن الجراح خطر بقائه في دمشق ، ورأى انه من الافضل له أن يذهب الى سواد طبرية ويحتله وأن يكاشف بالعصيان ، على الرغم من أنه لم يكن معه من القوة ما يستطيع مجابهة جيش الفاطميين بها • فقد استعان منير الخادم في قتاله بالعرب من عقيل وفزارة ، واستطاع هؤلاء أن يوقعوا بفرقة من عرب ابن الجراح ويأتوا عليها كلهـــا ، فازداد ضعف ابن الجراح وارتد الى دمشق(٦١) •

وعلى الرغم من ذلك فقد فشل القائد الفاطمي في الحصول على نصر

---

(٥٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥ •
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٠٥ •
ـ الدواداري : المصدر السابق ص ٢٠٦ •
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٥٣ •
ـ جورج يني : تاريخ سورية ، ص ٦٤ •
(٥٩) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢١٢ •
(٦٠) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ •
راجع فيما بعد الباب الثالث ص ٢٠٩ — ٢١١ •
(٦١) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٢١ •

سريع عليه ، ورأى أن يفرق شمل جموعه وان يثير بكجور عليه . فأعلن أنه لم يأت لقتال بكجور وانما جاء ليخرج ابن الجراح من دمشق لفساده ، كما أنه لم ينس ان يقدم النصيحة لبكجور بأن يكون معينا للخليفة عليه . وأوضح له انه ان ساعد الدولة الفاطمية في ذلك فسيسير واياه بعدها الى حلب وانطاكية . ولكن ذلك لم يؤثر على بكجور . ولم يفعل شيئا .

ولم يجد مفرج بن الجراح بدا من الدخول بقومه الى بادية الشام [٦٢] ، سيما وأن بكجورا قد هرب من دمشق تحت ضغط الجيوش الفاطمية . ولما لم يجد مفرج ملجأ يلتجيء إليه ، ووجد نفسه وقد أصبح ملاحقا وطريدا شريدا في البادية قرر ان يكاتب الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، ويلتمس العفو منه ــ كعادته في كل مرة ــ مستغلا حلم العزيز بالله وعفوه ، فأجابه الى ذلك [٦٣] .

كان خروج مفرج عن طاعة الفاطميين المتكرر ، والتجاؤه الى البيزنطيين أعداء الدولة الفاطمية مما أزعج الخليفة الفاطمي العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلس ، الامر الذي جعلاهما يفكران في التخلص منه بأية وسيلة كانت . وكانا ينتظران الفرصة السانحة للقيام بمثل هذا العمل . وتلمس ذلك بشكل واضح من الوصية التي أوصى بها يعقوب بن كلس عندما زاره العزيز بالله وهو على فراش الموت سنة ٣٨١هـ/٩٩١ م ، وسأله عما يوصيه به . فقال يعقوب له (سالم يا أمير المؤمنين الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانيين بالدعوة والسكة ، ولا تبق على المفرج بن

(٦٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .
(٦٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ٢٣٠ .

دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة) [٦٤] . وهي وصية تدل على مدى الكره الذي كان يحمله الخليفة الفاطمي العزيز بالله ووزيره لمفرج ابن دغفل بن الجراح لكثرة ثوراته ، وسوء سيرته ، وتعدد مساوئه .

وكان مفرج قد تمادى في عدائه للدولة الفاطمية ، ولم يترك فرصة لمعاداتها الا واستغلها . فما أن عاد الى فلسطين حتى سار على نهجه السابق في تخريب البلاد والانضمام الى الثائرين على الدولة الفاطمية . فقد انضم الى منجوتكين الذي ثار على الدولة الفاطمية [٦٥] ، ورحلا سويا الى الرملة فملكاها وأخذا أموالها ، ثم رحلا منها الى عسقلان [٦٦] .

ولهذا أرسلت الدولة الفاطمية قائدها سليمان بن جعفر بن فلاح لقتال منجوتكين وابن الجراح وذلك في ربيع الاول سنة ٣٨٧هـ / ابريل

---

(٦٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢ .
- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٧ ، ص ١٥٥ .
- سبط بن الجوزي : مخطوطة مرآة الزمان ، جزء ٢٦ ، مجلد ١ ، ورقة ١٥٣ حوادث سنة ٣٨٠ .
- المقريزي : الخطط ، مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ ، جزء ٣ ، ص ١٠ .
- العيني : مخطوطة عقد الجمان ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٢١ (حوادث سنة ٣٨٠) .

(٦٥) هو منجوتكين التركي : تولى دمشق للفاطميين سنة ٣٨٠ هـ ثم أصبح أميرا للجيوش الفاطمية في حروبهم مع الحمدانيين التيامتدت من سنة ٣٨٢ هـ وحتى سنة ٣٨٦ هـ
انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤١ .
- المقريزي : الخطط ، جزء ٤ ، ص ٦٨ .
- ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن منجوتكين انظر فيما بعد الباب الثالث ص ٢٢٠ — ٣٣٢ .

(٦٦) الروذراوي : ذيل تجارب الامم ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٣ .

٩٩٧م . وكان الخليفة الحاكم بأمر الله مهتما بهذه الحملة اهتماما كبيرا فقد كانت أول حملة الى الشام في عهده ، حتى أنه جهزها تجهيزا كافيا ، وخرج بنفسه الى قصور عين شمس لوداع سليمان بن جعفر بن فلاح [٦٧] .

وكان ابن الجراح على علم بما تحويه الحملة من مال ومتاع ، كما أنه خشي انتقام الحاكم بأمر الله منه . فرأى أن ينضم الى سليمان مستأمنا إليه . فرجحت بذلك كفة سليمان وقوى مركزه ، وتضعضع مركز منجوتكين ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، منهم أربعة من قواده وألف من أصحابه ، وفر هو . وسار سليمان الى الرملة حيث خصص لمن يقبض على منجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة ثوب . فانبثت العرب في طلبه ، وأدركه علي بن الجراح فأسره ، وحمله الى سليمان بن فلاح [٦٨] الذي حمله بدوره الى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله [٦٩] .

غير أن المفرج عاد الى العصيان في نهاية السنة نفسها [٧٠] . وتزل

---

(٦٧) ويذكر ابن ميسر (اخبار مصر) طبعة المعهد العلمي الفرنسي١٩١٩، جزء ٢ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ أن الحاكم بأمر الله اهتم بهذه الحملة . وحمل اليها خزانة المال على ٦٨ بغلا . فيها ٤٠٠ الف دينار و ٧٠٠ الف درهم و ٤٦ جملا عليها السلاح ، وعشر جمازات تحمل الدروع و ٦ قباب بفرشها ، وأهلتها ، ومناطقها وجميع آلتها .

(٦٨) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٦٩) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٧٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

ـ ابن الاثير : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ١٧٨ يذكرنا في حوادث سنة ٣٨٦هـ .

على الرملة وعاث في البلاد فسادا (٧١) مستغلا عدم هدوء الأحوال في الدولة الفاطمية في بداية عهد الحاكم بأمر الله . وكان همه تكوين دولة والاستقلال عن الخلافة الفاطمية . وعلى الرغم من انشغال الدولة الفاطمية في تلك الفترة . فان برجوان الوصي على الحاكم بأمر الله ـ الذي كان قد صرف سليمان بن فلاح عن دمشق (٧٢) ـ جهز حملة الى فلسطين بقيادة جيش بن محمد بن الصمصامة ، وأعطاه صلاحيات مالية واسعة ، وأطلق يده في الاعمال (٧٣) ليقوي مركزه بذلك ويستطيع القضاء على مفرج . ونزل جيش بن الصمصامة على الرملة وبرفقته ألف رجل ، وسار قاصدا مفرج . غير أن هذا بادر بالهرب ، فتتبعه جيش حتى كاد يدركه . فضاقت الأرض على ابن الجراح ولم يعد يرى لنفسه ملجأ ، فعاد الى طريقته في طلب الصلح . وارسل الى جيش طالبا منه العفو والامان ، كما أرسل إليه عجائز نسائه يشفعن له ويطلبن منه الامان . فصفح وكف عنه ، وأمنه (٧٤) . ولكنه لم يهدأ إلا بعد أن استحلفه ليتأكد من حسن نيته ، فحلف له جيش على ما تقرر بينهما (٧٥) .

---

(٧١) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٦ .
ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥٠ .
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٣٩ .

(٧٢) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٥ .

(٧٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٧٤) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٦ .
ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥٠ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٥٧ يذكر نفس الحادثة دون ذكر طلب الامان .
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٣٩
ـ جورج افندي يني : تاريخ سورية ، ص ٢٦٨ .

(٧٥) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٧ .

ثم أن جيش دخل الرملة وعين عليها واليا من قبله (٧٦) • ثم تركها ظنا منه أن الفتنة قد انتهت • ولكن مفرج بن الجراح لم يكن صادقا في نواياه ازاء الفاطميين عندما استأمن الى جيش ، بل كان يستأمن وينقض العهد ، ويحلف وينكث الأيمان • وكان أهل عصره يعرفون ذلك عنه ، حتى أن بلاده الرملة أصبحت ملجأ للفارين مىن ظلم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما بدأ بسلسلة أعماله الانتقامية ، وقام بقتل رجال دولته من قواد وكتاب وقضاة (٧٧) •

فقد التجأ اليه أبو القاسم الحسين بن المغربي (٧٨) الذي قتل الخليفة الحاكم بأمر الله أباه ، وكان جادا في قتل ابي القاسم وأخويه • غير أن أبا القاسم استطاع الاستتار وعمل الحيلة في النجاة ، فهرب مع بعض العرب ونزل عند حسان بن المفرج واستجار به فأجاره في سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م (٧٩) وعمل على الذود عنه وسكن جأشه (٨٠) • ورأى ابو القاسم أن ينشده

---

(٧٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥١ •

(٧٧) المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥ •

WIET : Op. Cit., p. 210

(٧٨) عن سيرة ابي القاسم الحسن بن المغربي انظر : ياقوت الحموي : معجم الادباء ، جزء ١٠ ، ص ٧٩ — ٨١ •

— ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٢٣ •

(٧٩) ابن ظافر : المصدر السابق ، ورقة ٥٨ •

— محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، طبعة رابعة ١٩٦٤ ، ص ١٧ •

(٨٠) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٣ •

— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٦٢ •

— الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، تحقيق فؤاد سيد ، طبعة القاهرة ١٩٦٦ ، مجلد ٤ ، ص ٦٩ — ٧٠ •

قصيدة يستنهض همته بها للذود عنه والتصدي لكل من يحاول القبض عليه من قواد الدولة الفاطمية . ومما قاله في ذلك :

فاني أتيت ابن الكريم مفرج | فأطلق من أسر الهموم عقالي[81]

وقال أيضا :

وتقوم دوني فتيـة مـن طيء | لم تلتبس أثوابهـم بألعـاب
يتناثرون على الصريخ كأنهـم | يدعون نحو غنائـم ونهـاب
يهديهم حسـان يحمل بـزة | جرداء تعليه جنـاح عقـاب
ولقد نظرت إليك يا بن مفرج | في منظر ملء الزمـان عجاب
والموت ملتف الذوائب بالقنا | والحرب سافرة بغير نقـاب
فرأيت وجهك مثل سيفك ضاحكا | والذعر يلبس أوجها بتراب[82]

وعمل أبو القاسم على تحريض حسان بن الجراح علـى الدولـة الفاطمية ، ورغبه في الخروج على طاعة الحاكم بأمر الله . وكان الحـاكم قد ولى مملوك أبيه يارختكين التركي الرملة ـ بعد هروب الوزير أبي القاسم اليها ـ وسير معه جيشا . ولما بلـغ ذلك الوزير أبـو القاسم ، حسن لحسان بن مفرج قتال يارختكين وحرضه على قتله[83] .

ادعى يارختكين عندما جاء الى بلاد الشام أنه جاء لقتال الحمدانيين في حلب ، ولم يذكر شيئا عما سيقوم به في جنوبي بـلاد الشام . هـذا ويجب أن نذكر أنه رافقت هذه الحملة قافلة من التجار بأموال واسعـة

---

(٨١) الفاسي : العقد الثمين ، مجلد ٤ ، ص ٧٠ .

(٨٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٨٣) الفاسي : العقد الثمين ، مجلد ٤ ، ص ٧٠ .

ورحالات كثيرة[٨٤] . كما كانت زوجة القائد ـ وهي ابنة يعقوب بـن كلس برفقته . وكعـادة الفاطميين دائمـا في اظهار هيبة القائـد ليطيعه الجميع ، فقد أمر الحاكم وجوه رجاله بتبجيل يارختكين ، والترجـل في موكبه . وكان من جملة من أمر بخدمته والترجل له علي ومحمود ابنـا المفرج[٨٥] . وقد ساءهما هذا الامر وجاءا الى أبيهما في حالة شديدة من الغضب ، وأعلماه بما كان ، وأوضحا له أنهما اضطرا الى الترجل ليارختكين والمشي بين يديه ، وأنهما وجدا مشقة في ذلك ، وأعلماه بأن نفوسهمـا تأبى الصبر على هذه المذلة ، وحذراه منه موضحين له أنه ربما عمل على اقصائهم عن الرملة وابعادهم عنها وهو في طريقه الى حلب . ومن المصلحة أن يبدأوا بقتاله قبل أن يستفحل أمره ، ويصعب القضاء عليه[٨٦] . كان هذا هو السبب الثاني لثورتهم على يارختكين . أما السبب الثالث فهـو طمع آل الجراح فيما حوته قافلة التجار التي رافقت الحملة ، والامـوال الكثيرة التي كانت ترافقهم .

لهذه الاسباب مجتمعة فقـد رأى آل الجراح الاسراع بالحـرب

---

(٨٤) انظر يحيى بن سعيد الانطاكي (تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٥٠٤) ويظهر من التفاصيل ، التي أوردها ان أسباب الهجوم على يارختكين هـي المطامـع الماديـة .

WIET : Op. Cit., p. 210

(٨٥) الروذراوري : ذيل تجارب الامم ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٣ .

(٨٦) انظر فيما سبق ، ص ٩٢ ـ ٩٣ وانظر .

الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .

ـ بينما يذكر ابن خلدون : المصدر السابـق ، جـزء ٤ ، ص ٥٧ أن برجوان جهز العسـاكر مع يارختكين الى حلب ، وقصد حسـان بـن مفرج الطائي لما بلغه من عبثه وفساده .

واللحاق بيارختكين في الجفار[87] قبل وصوله الى الرملة ، وانضمام عساكرها اليه . ووصل آل الجراح بأعدادهم وجموعهم الى يارختكين ، وبرفقتهم أبي القاسم المغربي الذي كان يشير عليهم بالالتحام معه مباشرة، ومباغتته قبل وصول المعونة اليه .

هذا وكان يارختكين قد سار من مصر في أعداد قليلة على أمل أن يجمع عساكر الشام ويسير بها الى حلب . ولكنه عندما علم بأن آل الجراح يحيكون مؤامرة ضده استشار ذوي الرأي من أصحابه، وسألهم عن الطريقة التي يجب أن يتصرف بها إزاء آل الجراح ، فاستقر الرأي على استدعاء ألف فارس من الرملة للقاء في عسقلان(٨٨) .

---

(٨٧) الجفار : مفردها جفرة ، وجفرة كل شيء وسطه ومعظمه ، والجفار هو اسم لخمس مدائن وهي الفرما ، والبقارة ، والواردة ، والعريش، ورفح . والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المشي فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحله . وكان يسكن في الجفار في القديم خذام بن العريان . ويقال ان ارض الجفار كانت في الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارة ، كثيرة البركات ، مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر ، وكان ماؤها غزيرا عذبا . ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي، الى أن دمرها الله تدميرا . فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش ، والى رفح ، كله قفر تعرف بقعته برمل الغرابي ، قليل الماء ، عديم المراعي ، لا انيس به .

انظر ابن منظور : لسان العرب ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق . معها تصويبات وفهارس متنوعة . الجزء الخامس ، ص ٢١٣ .

— المقريزي : الخطط ، جزء ١ ، ص ٣٠٥ .

(٨٨) الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٤ .

— بينما يذكر المقريزي (الخطط : طبعة النيل ١٣٢٤ ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥) بأن الحاكم قلد يارختكين بلاد الشام . فخافه ابن الجراح لكثرة عساكره .

وتأخرت القوات التي استدعاها يارختكين عن الوصول اليه، فسار على طريق الساحل . واستغل بنو الجراح الفرصة فهاجموه . وجرت بين الفريقين حرب شديدة ، كانت الغلبة فيها لبني الجراح ، وأسر يارختكين وأفراد أسرته[٨٩] ، واستولى المفرج وابنه حسان على جميع ما معه[٩٠] ، وامتهنه وسمع غناء جواريه وحظاياه ، وهو مقيد معه في المجلس ، وارتكب معه فواحش عظيمة[٩١] .

وبعد هذا الانتصار الذي حققه آل الجراح على يارختكين توجهوا برئاسة أميرهم مفرج الى الرملة ، وشنوا غارات متتالية على القرى المحيطة بها . فاضطر جنود الفاطميين لقتالهم . واستبسلوا في هذا القتال، وكاد النصر يتم للفاطميين حتى أن ابن الجراح فكر في الانصراف وترك الرملة ، والعودة الى البوادي .

وقد خاف ابو القاسم بن المغربي على نفسه فيما لو تراجع ابن الجراح عن الرملة . ورأى أن يلعب دوره في تثبيت أقدام آل الجراح . فأوضح لهم أنهم إن فتحوا الرملة ملكوا الشام ووقفوا للحاكم بأمر الله بالمرصاد ، وان انهزموا فسيطمع فيهم الخليفة وجنوده ، ولن يرفع لهم رأس بعد ذلك . وأشار عليهم أن ينادوا في الناس بإباحة السلب والنهب[٩٢] ، فانضم اليهم خلق كثير ممن أغراهم هذا النداء ، واستطاعوا بذلك دخول الرملة . وسيطر بنو طيء بذلك على معظم فلسطين ، ولكنهم

---

(٨٩) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠٣ .
— الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، مجلد ٤ ، ص ٧٠ .
(٩٠) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٥
— يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠٤ .
(٩١) الفاسي : العقد الثمين ، مجلد ٤ ، ص ٧٠ .
(٩٢) المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥ .

لم يستطيعوا السيطرة على المنطقة الساحلية[٩٣] .

ثم إن آل الجراح لم يحسنوا السيرة في الناس . وإنما شغلهم السلب والنهب عن ذلك . وساءت الاحوال في المنطقة ، ووصل الخبر بذلك للحاكم بأمر الله ، فانزعج ورأى أن يكتب للمفرج بن دغفل بن الجراح كتابا يعاتبه فيه ويحذره سوء العاقبة ، ويطالبه بارسال يارختكين الى مصر ، وأن يعمل على حمايته ، ويمنع ابنه من قتله ، واعدا اياه بخمسين ألف دينار مقابل ذلك[٩٤] .

ولعب أبو القاسم دوره ثانية في اغراء حسان بن مفرج بن الجراح بقتل يارختكين ، وحذره من اطلاق سراحه . وأوضح له أنه إن تركه فانه سيعود للخليفة الحاكم بأمر الله الذي سيجهزه لقتالهم ثانية بعساكر لا قبل لهم بها ، وأن يارختكين نفسه يريد الانتقام منهم . ولذلك اتفقا على قتله ، فأحضره حسان بن مفرج بن الجراح ، وضرب عنقه[٩٥] ، وأرسله الى أبيه الذي أزعجه ما حدث خوفا من انتقام الحاكم بأمر الله منهم[٩٦] .

وقد أيقن آل الجراح بعد قتلهم ليارختكين بأن الحاكم بأمر الله سوف يعمل جاهدا على الانتقام منهم . فأخذوا يفكرون في وسيلة للتخلص من هذا المأزق ، وخاصة بعد أن قال لهم أبو القاسم بن المغربي

---

(٩٣) WIET : Op. Cit., p. 210

(٩٤) الروذراوري ابو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٥ .
— المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٥٦ .

(٩٥) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، جزء ٤ ، ص ٧٠ .

(٩٦) المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٥٦ .

بأنهم قد كشفوا القناع في عداوة الحاكم ، حتى لم يعد للصلح مكان[٩٧] . وقد أشار عليهم بمراسلة أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي صاحب مكة[٩٨] ، على أن يبايعوه بالخلافة ، موضحا لهم أنه لا مطعن في نسبه(٩٩) . فوافق حسان بن الجراح على دعوته الى الرملة لمبايعته ، والوقوف الى جانب خلافته .

وتنفيذا لذلك أمر حسان بن الجراح أبا القاسم بن المغربي بالتوجه الى أبي الفتوح بمكة . فلما وصل اليه أطمعه في الامامة والرياسة ، وحرضه على طلب الخلافة[١٠٠] . وحثه على الخروج الى الرملة استجابة لرجاء حسان الذي سيكون خير عون له على تثبيت سلطته ، وضمن له

---

(٩٧) الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٦ .
ـ الفاسي : العقد الثمين ، مجلد ٤ ، ص ٧٠ .

(٩٨) هو ابو الفتوح الحسن بن جعفر محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني امير مكة ، تولى الحسن بن جعفر الحسني من بني هاشم مكة منذ سنة ٣٨٤ هـ . واستمر في حكمها الى ان توفي سنة ٤٣٠ هـ ، وفي مدة ولايته ولى الحاكم بأمر الله الفاطمي على مكة ابا الطيب ابن عم أبي الفتوح ، لخروج أبي الفتوح عن طاعته .
ـ الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الامين ، مجلد ٤ ، ص ٦٩ .
ـ احمد بن زيني دحلان : تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية ، ص ١٤٠ .

(٩٩) الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٦ .
ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٦٤ .
ـ ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٦٤ .
ـ الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .

(١٠٠)ابن ظافر : المصدر السابق ، ورقة ٥٨ .
ـ الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .
ـ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٧

الوفاء بما بذله حسان بن مفرج من الطاعة له(١٠١) . فجمع أبو الفتوح أقرباءه من بني حسن ، وشاورهم في الامر فطمعوا في الخلافة ، ووافقوا على الفكرة وبايعوه بالخلافة ، وتلقب بالراشد بالله(١٠٢) . وصعد أبو الفتوخ المنبر وخطب معلنا خلافته(١٠٣) .

ولكن أبا الفتوح اشتكى الى أبي القاسم قلة ما بيده من المال ، فأشار عليه بأخذ ما في خزانة الكعبة من المال ، وما عليها من أطواق الذهب والفضة ، وضربه دراهم ودنانير وسماها الكعبية(١٠٤) . كما أنه استغل وفاة احد سكان جدة الاغنياء المسمى المطوعي ـ وكان هذا يملك أموالا كثيرة . فضلا عن ودائع كثيرة للناس كانت لديه ـ واستولى على كل هذه الاموال(١٠٥) .

ثم إن الراشد توجه بعد ذلك الى الرملة لمقابلة آل الجراح ، واستخلف على مكة نائبا عنه . فخرج من مكة راكبا فرسا ومتقلدا سيفا

---

(١٠١)الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .

(١٠٢)محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(١٠٣)الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٦ .

(١٠٤)ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ص ، ١٦٤ .

ـ المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥ .

ـ بينما يذكر الفاسي (العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١) انه ضرب دراهم يقال لها الفتحية .

(١٠٥)يذكر الروذراوري (المصدر السابق ، ص ٢٣٦) ان المطوعي كان يملك اموالا كثيرة فضلا عن ودائع كثيرة للناس كانت لديه ، لذلك أوصى بقسم من ميراثه لابي الفتوح ليتمكن ورثته من اخذ الباقي ، ولكنه مد يده الى الميراث فأخذه كله .

ـ ويذكر ابن الجوزي (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٦٤) ان المال كان ودائعا للهند والصين وانه اوصى لابي الفتوح بمائة الف دينار ليصون بها تركته .

زعم أنه ذو الفقار ، وفي يده قضيب ذكر أنه قضيب النبي ، وحوله جماعة من العلويين ، وفي خدمته ألف عبد[١٠٦] ومعه ألف فارس من بني حسن[١٠٧] . فلما اقترب من الرملة تلقاه مفرج بن دغفل بن الجراح وأبناؤه حسان ومحمود وعلي[١٠٨] ، وسائر وجوه العرب بالترحاب ، وترجلوا له[١٠٩] ، وقبلوا الارض بين يديه ، وسلموا عليه بأمرة المؤمنين[١١٠] .

وبعد ذلك سار الراشد برفقة آل الجراح ونزل الرملة في دار بن مفرج بن الجراح ، ونادى في الناس بأمان الخائفين والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأنشأ كتابا قرىء على الناس بأن لا يقبل أحد الارض ، وأن هذا شيء ينفرد به الله عز وجل[١١١] .

ثم سار الراشد بعد ذلك الى المسجد وبرفقته آل الجراح ، فدخله ودعا خطيب المسجد[١١٢] وأعلمه بما يقول . وكان الناس في المسجد في انتظار ذلك ، فخطب فيهم وقرأ عليهم سورة القصص[١١٣] .

---

(١٠٦)ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٦٤ .
(١٠٧)الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .
(١٠٨)ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ٥٨ .
(١٠٩)محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٧
(١١٠)الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .
(١١١)محمد كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ٢٤٦ .
(١١٢)كان خطيب المسجد ابن نباته : انظر الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٦ .
— والفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .
(١١٣)قرأ خطيب المسجد سورة القصص من آية ١ حتى ٦ .
— انظر الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٦ .
— ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

ولما علم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله نبأ خروج ابي الفتوح ــ أمير مكة ــ ومبايعة آل الجراح له بالخلافة في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[١١٤]، وذيوع دعوته في كثير من بلاد الشام ، اشتد ذلك عليه ، وازداد قلقه لعلمه أن أبا الفتوح أهلا لما أهل له من الخلافة . فعمل على ارسال حملة الى فلسطين للقضاء على هذه الحركة ، غير أن هذه الحملة فشلت ، وانهزم جيش الفاطميين قرب داروم[١١٥] . وبذلك استفحل نفوذ بني الجراح في جنوب بلاد الشام .

هذا ولم يقم بنو الجراح بالدعوة لابي الفتوح « الراشد » حبا له وكرها بالفاطميين ، بل كانت لهم أهدافهم الخاصة بهم . وأدرك الحاكم بأمر الله بعض هذه الاهداف ، فرأى وخاصة بعد فشل الحملة العسكرية، أن يلجأ الى سياسة سلفه ــ الخليفة العزيز بالله ــ في استمالة بني الجراح بالمال . فأرسل الى حسان بن مفرج بن الجراح وإلى والده مفرج واعدا اياهما وعودا كثيرة ، باذلاً لهما الاموال اذا تخلوا عن الدعوة

---

(١١٤)ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٦٤ .

ــ بينما يذكر العيني (المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ورقة ٤٣٢) خلافته في حوادث سنة ٣٨٠ هـ .

ــ أما السيوطي (تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٥) يذكر نفس الحادثة في حوادث سنة ٣٨١ هـ .

(١١٥)ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

ــ الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧٣ .

ــ LANE POOLE : Op. Cit., p. 159

والداروم هي قلعة على حدود مصر خلف غزة وهي احدى المدن في فلسطين على الساحل .

ــ انظر مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، طبعة مصر ١٢٨٣ ، ص ٣٤٠ .

LE STRANGE : Op. Cit., p. 437

لابي الفتوح ، وعملوا على اضعاف مركزه[١١٦] • كما أنه كتب الى حسان يسهل عليه أمر يارختكين[١١٧] ، لانه أدرك أن قيامهم بهذه الحركة كان خوفا من انتقامه منهم بعد قتل يارختكين •

وقد أراد الحاكم بأمر الله ارضاء جميع رؤساء آل الجراح ليجعلهم ينفضون عن الراشد ، فحمل الى علي ومحمود ابني المفرج أموالا جزيلة وضمن لهم الاقطاعات الكثيرة ، وأغراهما كثيرا حتى استطاع أن يكسب ودهما[١١٨] •

وكان لحسان بن مفرج الجراح مطالب خاصة مقابل التخلي عن الدعوة لابي الفتوح • لذلك أرسل الى الحاكم بأمر الله والدته تحمل رسالة تتضمن هذه المطالب • فأجابه الخليفة الحاكم بأمر الله الى جميع ما سأل من اقطاع وتقرير • وكتب له أمانا بخط يده ، وأهدى له جارية جهزها بما بلغ قيمته مالا عظيما ، فعادت والدة حسان اليه بكل ما تمنى[١١٩] •

وقد أحس أبو الفتوح بانحراف بني الجراح عنه وخذلانهم له ،

---

(١١٦)ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٦٤ .
— محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٨

(١١٧)الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ .

(١١٨)ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(١١٩)الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٨ .
— الفاسي : المقنع من اخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء ، ص ٢٢
— ويحدد فيذكر في كتابه العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ ، أن الحاكم أرسل الى حسان خمسين ألف دينار .
— محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٨

وأدرك أنهم تركوا دعوته ونسوا عهودهم له • فقال لابي القاسم المغربي (أغويتني وأخرجتني الى هؤلاء القوم الغدارين ، وأخرجتني من بلدي ونعمتي وأمارتي ، وجعلتني في أيدي هؤلاء ينفقون سوقهم بي عند الحاكم ويبيعوني بالدراهم • فيجب عليك أن تخلصني كما أوقعتني ، وتسهل سبيلي بالعودة الى الحجاز ، فاني راض من الغنيمة بالاياب ، ومتى لم تفعل اضطررت الى أن أركب فرسي ، وأركب التغرير في طلب النجاة) • فشجعه ابو القاسم المغربي وثبته وأخذ يفكر في خلاصه • وطال الامر على أبي الفتوح ، فركب دابته الى مفرج بن دغفل سرا وأوضح له أنه فارق نعمته وكاشف الحاكم بالعداء ركونا منه الى ذمامهم وسكونا الى مقامهم • وقال له أيضا (والي في عنقك مواثيق ، وأنت أحق من وفى لمكانك من قومك ورئاستهم ، وأن خير ما ورثه الانسان ولده ما يكون له به الحمد والشكر ، وحسن الذكر ، وأرى حسانا ولدك قد أصلح نفسه مع الحاكم واتبعه أكثر أصحابه ، وأنا خائف من غدره بي ، وما أريد إلا العود الى الوطن) • فسيره مفرج بن دغفل حتى وصل الى وادي القرى ، وبعث معه جماعة من طيء ، ولم يزالوا معه حتى بلغ مكة سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٣م فتلقاه أتباعه وعاد آل الجراح الى طاعة الحاكم بأمر الله(١٢٠) •

وكان الحاكم بأمر الله عندما علم أن أبا الفتوح ترك مكة ونادى لنفسه بالخلافة ، رأى أن يستميل اليه منافسيه من نفس الأسرة • فكتب الى أبي الطيب ابن عم ابي الفتوح بتوليته الحرمين (١٢١) • وبعث اليه بخمسين ألف دينار عينا ، عدا الهدايا والخلع • ونجح أبو الطيب هذا في صرف العرب عن طاعة أبي الفتوح ، والدخول في طاعة الحاكم بأمر

---

(١٢٠)الفاسي : العقد الثمين ، جزء ٤ ، ص ٧١ — ٧٢ •

— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٠ •

(١٢١)الفاسي : المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء ، ص ٢٢

الله • ولذلك فانه بعد أن عاد الى مكة لم يجد بدأ من الكتابة الى الحاكم بأمر الله معتذرا له عما بدر منه ، فقبل عذره ، وعفا عنه ، وأعاده الى امارته بمكة[١٢٢] •

ويجب أن لا ننسى — ونحن في هذا المجال — ان نذكر الدور الذي لعبته الامبراطورية البيزنطية في عقد هذا الصلح الذي جرى بين الفاطميين وآل الجراح • وفي هذا الدور يظهر لنا تأييد البيزنطيين لآل الجراح ، وهذا يرجع الى ما قدمه آل الجراح لهم من خدمات في تلك الفترة •

ذلك أن ابن الجراح أثناء سيطرته على فلسطين في الفترة من سنة ٤٠١هـ حتى سنة ٤٠٤هـ/١٠١٠ — ١٠١٣ م قد أحسن معاملة المسيحيين ببيت المقدس • وتجلت هذه السياسة في تعيين بطريقا لهم على بيت المقدس وفي العمل على اعادة بناء كنيسة القيامة ، التي كان الخليفة الحاكم بأمر الله قد أخربها[١٢٣] • وكان ذلك نتيجة للمفاوضات التي جرت بين مفرج بن دغفل وبين البيزنطيين ، وقد وجد ابن الجراح في اتصال البيزنطيين به ومفاوضتهم له مظهرا من مظاهر الاعتراف بسيادته على بيت المقدس • ولم ينس البيزنطيون لابن الجراح الاستجابة لمطالبهم التي رفعت مكانتهم في العالم المسيحي ، ولهذا أيدوا آل الجراح وعملوا على انجاح المفاوضات العسيرة التي جرت بينهم وبين الفاطميين والتي انتهت بعقد الصلح معهم[١٢٤] •

وقد لعب المسيحيون ببيت المقدس دورا كبيرا في تحقيق هذا

---

(١٢٢) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٩ .
— محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ١٨ .
(١٢٣) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠٥ .
WIET : Op. Cit., p. 211
(١٢٤) WIET : Ibid.

التقارب بين البيزنطيين وآل الجراح • ذلك أن كثيرين من المسيحيين ببيت المقدس كانوا قد اضطروا بسبب سياسة الحاكم بأمر الله التعسفية ازائهم الى الفرار الى انطاكية واللاذقية ، اللتين كانتا تحت سيادة البيزنطيين • ولما عادوا الى مدينتهم بعد أن سيطر عليها ابن الجراح ولمسوا حسن معاملته لهم عرفوا له هذا الفضل(١٢٥) •

ـ اتفاق بني الجراح وزعماء العرب ـ معركة الاقحوانة(١٢٦) : ـ

استمر بنو الجراح بعد خذلانهم لابي الفتوح ، واصلاح أمرهم مع الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله متغلبين على بعض نواحي جنوب بلاد الشام حتى سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م(١٢٧) وكانوا في خلال تلك الفترة يصادرون الناس ، وينهبون أموالهم مرة بعد أخرى ، ولم يكن الخليفة الحاكم بأمر الله راضيا عن سيطرة آل الجراح على جنوبي الشام ، كما أنه لم يكن راضيا عن أعمالهم • ولذلك فانه جهز اليهم حملة بقيادة علي بن جعفر بن فلاح ، وأمر الجيوش التي كانت بدمشق والسواحل بالقائهم ايضا ، فسارت الجيوش نحوهم من الجهتين قاصدة الرملة (١٢٨) • والتقت هذه الجيوش بحسان بن مفرج بن الجراح ، وانتصرت عليه وعلى عشيرته في أرض فلسطين ، واستولى ابن فلاح على أموالهم وذخائرهم ، وأخذ ما كان لهم من الحصون بجبل السراة(١٢٩) • واضطر حسان بن

---

(١٢٥) WIET : Ibid.

(١٢٦) الاقحوانة على نهر الاردن عند طبرية .

ـ انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٢٣١ .

ـ ومخطوطة العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٧٧

(١٢٧) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٢٠ .

(١٢٨) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٢٠ .

(١٢٩) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٥٧ .

محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤١ .

مفرج بعد هذه الهزيمة أن يبقى طريدا شريدا نحوا من سنتين[١٣٠] .

وقد أراد الخليفة الحاكم بأمر الله ـ بعد الثورات المتكررة التي كان يقوم بها آل الجراح ، ان يعمل على التخلص من مفرج بن دغفل . فخدع أحد كتاب آل الجراح ، وبذل له الاموال ، لقتله بالسم[١٣١] . ونفذ الكاتب هذه الخطة . وتوفي المفرج حسبما تجمع معظم المصادر العربية مسموما[١٣٢] . وبهذا يكون الحاكم بأمر الله قد نفذ وصية الوزير يعقوب بن كلس التي أوصاها للعزيز بالله قبل وفاته بالتخلص من مفرج ابن دغفل بن الجراح اذا سنحت له الفرصة بذلك .

وقد ضعف آل الجراح واضمحل أمر حسان بن مفرج بعد الهزيمة التي لحقت بهم على يد علي بن جعفر بن فلاح ، وبعد موت مفرج مسموما . فقد توالت الهزائم على حسان وأخذت منه معاقله وحصونه ، واصبح طريدا شريدا . لذلك رأى أن يستعطف الخليفة الحاكم بأمر الله . فأرسل اليه والدته ، والجارية التي كان الحاكم قد أرسلها اليه ، يطلبان منه الامان ، ويسألانه الصفح عنه . فصفح عنه وأعطى والدته خاتمه ، وثيابا من الصوف كانت على بدنه ، وعمامة على رأسه والحمار الذي يركبه . فارتدى حسان هذه الثياب المرسلة اليه وركب ذلك الحمار وسار الى القاهرة ، فعفا عنه وأعاده الى الشام[١٣٣] .

---

(١٣٠)ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٨٠ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٥٧ .
(١٣١)الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩
(١٣٢)منها ـ الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٩ .
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٨٠ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٥٧ .
(١٣٣)الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٩ .

وقد اتخذ حسان بن الجراح من هزيمته هذه أمام علي بن جعفر ابن فلاح عبرة ، وعلم انه لن يستطيع الوقوف في وجه الخليفة الحاكم بأمر الله وقواده ، فبقي منذ ذلك الوقت وحتى وفاة الحاكم بأمر الله في هدوء وسكينة ، ولم يتحرك ضده(١٣٤) .

وبذلك استطاع الفاطميون استعادة نفوذهم على فلسطين(١٣٥) حتى الفترة التي تلت وفاة الحاكم بأمر الله ، وتتضح لنا هذه السيطرة من النقوش الخاصة بتلك الفترة ، فهناك نقش خاص ببناء مسجد في نابلس ، باسم الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٤١١ هـ/١٠٢٠م(١٣٦) ، ويبدو أن هذه السيطرة استمرت حتى سنة ٤١٣ هـ/١٠٢٢ م ، ذلك ان النقوش الثلاثة الخاصة بعمارة قبة الصخرة تحمل اسم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بن الخليفة الحاكم بأمر الله ويرجع تاريخها الى هذه السنة ، وكانت قبة الصخرة قد سقطت سنة ٤٠٧ هـ/١٠١٦ م بسبب هزة أرضية(١٣٧) ، والى القارىء نص احد النقوش نظرا لاهميته :

١ ـ بسمله .... أمر بعمارة هذه القبة الامام أبو الحسن علي .

٢ ـ الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه .

٣ ـ الاكرمين وجرى ذلك على يد عبده الامير ثقة الائمة سديد

---

(١٣٤) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٩ .

(١٣٥) WIET : Op. Cit., p. 216

(١٣٦) COMBE, SAUVAGET, WIET : Répertoire Chronologique d'epigraphie Arabe, T. VI, No. 2310, p. 164.

(١٣٧) VAN BERCHEM : C. I. A., Syrie du Sud, deusciéme Partie, T. II, Jéru'salem « HARAM » , Le Caire 1922, p. 266, Notes 1, 2, 3 & 4.

الدولة علي بن احمد أثابه الله في سنة ثلثه عشرة وأربع مائة .

٤ ــ والله يديم العز والتمكين لمولانا أمير المؤمنين ، ويملكه مشارق الارض ومغاربها ويجنبه مبادىء الامور وعواقبها .

والنقشان الآخران وردا بنفس الصيغة ، كما ورد فيهما أن عمارة قبة الصخرة جرت على يد الامير سديد الدولة علي بن احمد(١٣٨) . وقد أشار فان برشم Van Berchem الى أهمية عبارة (ويملكه مشارق الارض ومغاربها) التي وردت في هذه النقوش الثلاثة ، ويربط بينها وبين ما ورد فيها من اجراء هذه العمارة على يد الامير سديد الدولة . ذلك ان حلب كانت قد عادت الى سيادة الفاطميين على يد سديد الدولة في سنة ٤١٣ هـ/١٠٢٢ م(١٣٩) .

ولكن بلاد الشام لم تلبث أن خرجت عن سلطة الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله(١٤٠) . ولم يكن قد انقضى على وفاة الحاكم بأمر الله سوى سنتين تقريبا . اذ رأى حسان بن الجراح أن الفرصة سانحة لكي

---

(١٣٨) VAN BERCHEM : Op. Cit., Nos. 220 - 222 , p. 261 - 274

(١٣٩) هو الامير سديد الدولة ابو الحسن علي بن احمد الضيف . كان حاكما على افامية في سنة ٤٠٦ هـ ، ثم بعدها عين واليا على حلب . الا انه تركها عندما استولى عليها المرداسيون في رمضان سنة ٤٠٧هـ. وفي ١٥ ذي القعدة ٤٠٨ هـ دخل الامير سديد الدولة دمشق بوصفه واليا لها من قبل الحاكم بأمر الله ، ولكنه ما لبث ان عزل . وفي ربيع الثاني ٤١٣ هـ دخل الامير سديد الدولة حلب واعلن الخطبة باسم الخليفة الظاهر . وفي سنة ٤١٥ هـ عين واليا على بلاد الشام كلها ــ انظر :

VAN BERCHEM : Op. Cit., p. 270 — 274 .

(١٤٠) القضاعي : تاريخ القضاعي . مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ ، ورقة ١٨٢ .

يستعيد نفوذه في فلسطين . فقد مرت الدولة الفاطمية بفترة ضعف بعد تولي الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ ــ ٤٢٧ هـ/١٠٢٠ ــ ١٠٣٥ م)(١٤١) . كما ساءت الحالة الاقتصادية في مصر بسبب حدوث مجاعة بها في سنة ٤١٤ ــ ٤١٥ هـ/١٠٢٣ ــ ١٠٢٤ م(١٤٢) . وقد تجلى أثر ذلك في نفوذ الفاطميين في بلاد الشام . ووجد حسان أنه لن يتمكن من استعادة نفوذه الا اذا تحالف مع بقية القبائل العربية في الشام . فعقد اتفاقا في سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م مع صالح بن مرداس أمير بني كلاب ، وسنان بن عليان الكلبي أمير الكلبيين يتضمن التحالف فيما بينهم على اخراج الفاطميين من بلاد الشام وتقسيمها فيما بينهم على أن يكون من حلب الى عانه على نهر الفرات لصالح بن مرداس ، ومن الرملة الى حدود مصر لحسان بن الجراح أمير طيء ، ودمشق وما يحيط بها لسنان بن عليان الكلبي(١٤٣) . كما أخبروا الامبراطور البيزنطي باسيل بتحالفهم وطلبوا منه المساعدة ضد الفاطميين ، غير أن الامبراطور تحفظ في الرد عليهم(١٤٤) .

وتنفيذا لهذا الاتفاق استولى حسان بن الجراح على الرملة في رجب سنة ٤١٥/١٠٢٤ م ، وأحرق أكثرها ونهبها ، وعاث وأفسد في البلاد ،

---

(١٤١)ابن اياس : بدائع الزهور ، جزء ١ ، ص ٥٨ ــ ٥٩ .

(١٤٢)عن المجاعة انظر : WIET : Op. Cit., p. 217

(١٤٣)ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٣ .

ــ محمد كرد علي : خطط الشام ، ص ٢٤٩ .

ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤١ .

ــ أما ابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١) فيذكر ان اتفاق زعماء العرب كان في سنة ٤١٤ هـ .

(١٤٤) WIET : Op. Cit., p. 216

وسبى جماعة كبيرة من النساء والصبيان[١٤٥] .

ثم رأى حسان بن الجراح أن يوسع نطاق هذا التحالف ، ويضم اليه قبائل عربية في مصر نفسها فأرسل كتبا الى بني قرة على يد علي بن محمد الشاعر[١٤٦] في سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م . ووصل رسوله الى القاهرة متخفيا وهو يحمل هذه الكتب ، ولكنه لم يستطع الوصول اليهم . إذ كشف أمره ووشي به لدى الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله . فقبض عليه وحبسه في خزانة البنود ثم أمر بقتله بها . وهكذا فشلت هذه البادرة التي أراد حسان بن مفرج تنفيذها للتآمر على الفاطميين في عقر دارهم .

– وليس هذا فحسب بل ان ابن الجراح أخذ يعتدي على حدود مصر ، وكثيرا ما تعدى الحدود الى داخل البلاد المصرية كما حدث سنة ٤١١ هـ/١٠٢٠ م وسنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م[١٤٧] .

ومنذ اتفاق ابن الجراح مع القبائل العربية على اقتسام بلاد الشام وهو يحاول جاهدا ابعاد نفوذ الفاطميين عن فلسطين ليسترد سلطانه

---

(١٤٥)ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٣ .
– محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .
(١٤٦)هو علي بن محمد الشاعر التهامي صاحب هذا البيت من الشعر .
حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار
ومنها قوله حين توفي ابنه في سنة ٤١٦ هـ :
جاورت اعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري
– انظر ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٦٣ .
– ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٣٣٧ .
– ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، جزء ١٢ ص ٢٠ .
– ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، جزء ٢ ، ص ١٦٣ .
(١٤٧)عن هذه الحملات انظر فيما سبق ص ٩١ – ٩٢ .

عليها . لهذا ساءه ارسال الفاطميين لمنتجب الدولة أنوشتكين الدزبري كوال على فلسطين في محرم سنة ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م[١٤٨] . وقد امتد نفوذ انوشتكين الدزبري حتى شمل دمشق الى جانب الرملة وعسقلان وغيرها[١٤٩] . وكان هذا قد علا ذكره واشتهر اسمه ، وقويت شوكته بانتصاراته على العرب ، فقلق ابن الجراح من ذلك وخاف على نفسه ومركزه ، ورأى أن يتخلص منه . فعمل جاهدا في السعي عليه لدى الدولة الفاطمية ، فأخذ ينسب له كل قبيح ، حتى استطاع أن يؤثر عليها وأن يحصل منها على اذن بالقبض عليه[١٥٠] .

وتنفيذا للاتفاق المبرم بين القبائل العربية على اقتسام بلاد الشام فيما بينها وعدم السماح للفاطميين بمد نفوذهم عليها ، فقد اجتمع صالح ابن مرداس ، وسنان بن عليان الكلبي مع حسان بن مفرج بن الجراح وقاتلوا انوشتكين الدزبري ، حتى أجبروه على التراجع الى عسقلان . ثم تحايلوا في القبض عليه في سنة ٤١٧ هـ/١٠٢٦ م[١٥١] . ولكنهم ما لبثوا أن أفرجوا عنه وعاد الى القاهرة .

وبعد ان تحقق لابن الجراح التخلص من سيطرة أنوشتكين الدزبري على فلسطين حشد جموعه وهاجم الرملة واسترد سلطانه بها .

---

(١٤٨)ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
— المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ، ص ٦٨ .
— عن انوشتكين الدزبري : انظر الصفدي:أمراء دمشق في الاسلام ص١٤
(١٤٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٠ .
(١٥٠)ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٢ — ٧٣ .
(١٥١)ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٣ .
— الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، جزء ١ ص ٣٣٠ .

ولكنه لم يلبث أن نهبها وصادر أملاك الاهالي . ولما علم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله باتفاق زعماء قبائل العرب على استخلاص بلاد الشام من الحكم الفاطمي واقتسامها فيما بينهم ، اقتضى الحال أن يرسل الى الشام جيشا ليقضي على هذا الاتفاق بقيادة الامير منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري نظرا لمعرفته ودرايته بأحوال فلسطين وليثأر مما حل به من هزيمة على يد بني الجراح وحلفائهم(١٥٢) .

ولم يكن لانوشتكين الدزبري من طلب حين استلم قيادة هذه الحملة الا الحصول على فرسه البرذعية(١٥٣) التي كانت قد أخذت منه عقب انهزامه أمام حسان بن مفرج بن الجراح في عسقلان . وتمكن الوزير علي بن احمد الجرجرائي من أن يعيد فرسه اليه ، وأن يجهز الحملة بما يلزمها . ولابراز مدى اهتمام الخليفة بهذه الحملة فقد خرج لوداعها . وسار أنوشتكين على رأس قواته حتى وصل الرملة ، وعيد بها عيد الاضحى ، ومنها سار الى بيت المقدس(١٥٤) .

ولما علم حسان بوصول جيش انوشتكين الدزبري الى فلسطين استصرخ صالح بن مرداس لمساعدته ، فسار اليه من حلب واجتمعا على نهر الاردن . ووقع القتال بين قواتهما وبين قوات انوشتكين بالاقحوانة .

---

(١٥٢) WIET : Op. Cit., p. 216

ـ الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، جزء ١ ، ص ٣٣١ .

(١٥٣) كانت فرسة البرذعية هذه عند سعيد السعداء ، أخذها عقب القبض عليه في عسقلان سنة ٤١٧ هـ .

ـ انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(١٥٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(١٥٥) ابو الفداء : مختصر اخبار البشر ، جزء ٢ ، ص ١٤٨ .

— Encyc of Isl : Article « HALAB » , Vol. II, P. I., p. 230

وفي هذه المعركة انتصر انوشتكين وتحكمت سيوف جنوده فيهم[١٥٥] ، وكان من بين من قتل صالح بن مرداس وابنه[١٥٦] . وأما حسان بن الجراح فقد استطاع أن يفر الى البوادي متخفيا ، ثم نجح في الالتجاء الى البيزنطيين[١٥٧] .

وقد أحسن الامبراطور البيزنطي استقبال حسان بن الجراح ذلك أن حسانا كان قد لعب دورا في المفاوضات التي دارت بين أبيه مفرج والامبراطور البيزنطي بخصوص بيت المقدس ، وهي المفاوضات التي انتهت بتعيين بطريق للمدينة المقدسة والموافقة على قيام البيزنطيين باعادة بناء كنيسة القيامة . ولم يكتف الامبراطور البيزنطي بذلك بل خلع عليه ووضع على رأسه علم فيه صليب وأرسله على رأس عسكر بيزنطي لحصار مدينة أفامية سنة ٤٢٢ هـ/١٠٣٠ م . ونجح حسان في احتلالها لصالح البيزنطيين ، ثم أنزل بها معاول النهب والسلب[١٥٨] .

ولهذا اضطر انوشتكين فيما بعد في سنة ٤٢٤ هـ/١٠٣٢ م أن يعرض على البيزنطيين التفاوض لعقد صلح بينهم وبين الفاطميين . وقد رحب البيزنطيون بهذا العرض لان الدولة البيزنطية كانت في تلك الفترة ــ رغم انتصاراتها في أعالي الشام والفرات ــ تمر بفترة حرجة[١٥٩] .

واتفق الطرفان على أن يتقابل مندوبيهم في مدينة طرسوس على

---

(١٥٦) العيني : عقد الجمان ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٧٧ .

(١٥٧) WIET : Op. Cit., p. 216

(١٥٨) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٨٦ حوادث سنة ٤٢٢ .

ــ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جزء ١ ، ص ٣٤٠ .

ــ الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٣ .

(١٥٩) WIET : Op. Cit., p. 221

الحدود بين البيزنطيين والفاطميين ، ولكن للمفاوضات ما لبثت أن انتقلت الى القسطنطينية بسبب حدوث بعض المناوشات بين الطرفين عبر منطقة الحدود الفاصلة بينهما . وقد وضع الامبراطور البيزنطي شروطا ثلاثة لعقد المعاهدة . ولكنه مما تجدر الاشارة اليه أنه أضاف الى هذه الشروط رجاء الى الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي أن يعيد حسان بن الجراح الى امارته ، كما كان الحال في أخريات أيام الخليفة الحاكم بأمر الله . وكان هذا الرجاء مشفوعا بضمان الامبراطور البيزنطي على أن يكون حسان بن الجراح في طاعة الفاطميين(١٦٠) .

ولكن الخليفة الفاطمي رفض هذا الرجاء الذي يخص حسان بن الجراح ، كماتعذر الاتفاق على الشروط الاخرى التي عرضها الامبراطور . ولهذا توقفت المفاوضات بين الطرفين الى أن سنحت الظروف باستئنافها ، وعقدت المعاهدة بينهما فيما بعد(١٦١) .

وقد دامت سيطرة الفاطميين على بلاد الشام وبصورة خاصة على

---

(١٦٠) WIET : Op. Cit., p. 221 — 222

(١٦١) WIET : Op. Cit., p. 222

هذه الشروط الثلاثة هي :

١ ــ ان يعيد عمارة كنيسة القيامة التي هدمها الحاكم . ويسمح المسيحيين باعادة بناء جميع الكنائس التي دمرت في الاراضي الفاطمية ، وان يكون للحكومة البيزنطية حق تعيين بطريك بيت المقدس .

٢ ــ لا يلحق أي ضرر ولا يتعرض لمدينة حلب وأن يتركها تدفع الجزية السنوية المقررة عليها للامبراطورية .

٣ ــ الحكومة الفاطمية تتعهد بأن لا تقدم أي مساعدة لحاكم صقلية ، اذا ما نشب قتال بينه وبين البيزنطيين .

مقابل ذلك يعقد صلح دائم ويحرر جميع الاسرى المسلمين .

فلسطين ، منذ تلك المعركة وحتى موت انوشتكين الدزبري في سنة ٤٣٣ هـ/١٠٤٩ م • وهذا يتضح من النقود التي ضربت في فلسطين باسم الخليفة المستنصر بالله • ومن هذه النقود التي عثر عليها دينار ذهب ضرب في سنة ٤٢٨ هـ/١٠٣٦ م كتب على وجهه الاول :

لا اله الا الله
وحده لا شريك له
محمد رسول الله
علي ولي الله

وعلى الحاشية كتب

بسم الله الرحمن الرحيم • ضرب هذا الدينار
بفلسطين سنة ثمان وعشرين وأربعمائة •

الامام
محمد أبو تميم
المستنصر بالله
أمير المؤمنين

وعلى الحاشية

محمد رسول الله أرسله الخ(١٦٢) •

ـ عودتهم الى الولاء للفاطميين :

لم يكن موقف آل الجراح موقف العداء دائما من الخلافة الفاطمية• فقد كانوا أحيانا يقفون الى جانبها في قتال أعدائها كما حدث أثناء قتال

(١٦٢) LENE POOLE : Catalogue of the Collection of Arabic Coins, p. 178.

أبي ركوة(١٦٣) ، وفي القبض على الحسين بن جوهر وفي قتال بني قرة • ولنحاول أن نستعرض موقف بني الجراح من هذه الاحـداث الثلاثـة كل علـى حدة •

ففيما يختص بأبي ركوة فانه كان قد استفحل أمره بعد ان الحـق الهزيمة بقوات الخليفة الحاكم بأمر الله للمرة الثانية • وقد عظم ذلك على الحاكم بأمر الله وخاصة بعد أن علم بفرح جنـود مصر وأعيانهـا بهـذه الهزيمة • كما ازداد قلقه حينما سمع أن الناس كاتبوا أبا ركوة ، وأن ممن كاتبه قائده الحسين بن جوهر •

لهذا جمع الحاكم بأمر الله قواده وشاورهم في الخطة التي يستطيع بها مواجهة أبي ركوة والقضاء عليه • فأشاروا عليه بسحب قواته التـي في الشام(١٦٤) والاستعانة في محاربته بالقبائل العربية هناك(١٦٥) •

---

(١٦٣) ابو ركوة هو الوليد بن هاشم الذي سار في سنة ٣٩٦ هـ من برقة بعد أن عظم الغلاء بها مع جماعة من العرب والبربر الذين اجتمعوا اليـه بنسائهم وأولادهم ودوابهم ومواشيهم وآلاتهم كأنهم منتقلين من موضع الى آخر وساروا حتى انتهوا الى أعمال الاسكندرية . وهزموا جيش الحاكم بذات الحمام وقتلوا قائده .

فاستحضر الحاكم بأمر الله العرب التميميين . واستدعى مفرج ابن دغفل الذي أرسل اولاده الثلاثة . ووضع الجيوش بقيادة الفضل. وكانت جيوش ابي ركوة قد وصلت الى الفيوم وملكوها ، كما انـه انتصر على جيش الحاكم في الجيزة .

سارت جيوش الفضل بن صالح بالجيوش المنضمة اليه الـى الفيوم للقاء أبي ركوة فالتقيا الجمعة ٣ ذي الحجـة سنـة ٣٩٦ هـ بموضع من أرض الفيوم يعرف برأس البركة ، فانهزم ابو ركوة ومـن معـه مـن العرب .

انظر : يحيى بن سعيد الانطاكي : المصـدر السابـق ، جزء ٢ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٨ .

— عطية القوصي : بنو الكنز ، رسالة ماجستير لم تطبع . ص ٤٦—٥١ .

وتنفيذا لذلك أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله يطلب المعونة من مفرج ابن دغفل بن الجراح • واستجاب مفرج لهذا الطلب فسير أولاده الثلاثة وهم علي وحسان ومحمود على رأس أعداد كبيرة من العرب • وكان مجموع ما خف الى الحاكم من آل الجراح والحمدانية والقبائل والديلم ستة عشر ألفا ما بين فارس وراجل(١٦٦) •

رحب الحاكم بأمر الله بأولاد الجراح وجنودهم وأحسن اليهم واستمالهم • ثم فرق عليهم السلاح وأرسلهم برفقة قائده لقتال أبي ركوة • ولما رأى أبو ركوة كثرة جيش الحاكم خاف الالتحام به وخاصة بعد أن عرف دور القبائل العربية في هذا الجيش وعلى رأسها بنوالجراح• فرأى أن يستميل العرب اليه قبل بدء القتال ، فأرسل اليهم يذكرهم بأعمال الخليفة الحاكم بأمر الله القاسية ضدهم ، وانه ان انتصر عليه فسيكون الدور الثاني عليهم • واستطاع الاتفاق معهم على أن يكون الشام للعرب وأن يصير لابي ركوة ومن معه مصر(١٦٧) مقابل اظهار الهزيمة عندما يلتقي الجيشان • وبهذا يفتح العرب ثغرة في قوات الخليفة الحاكم بأمر الله تنفذ منها قوات أبي ركوة(١٦٨) •

غير أن هذا الاتفاق لم يتم بسبب يقظة قائد الحاكم بأمر الله الذي أستطاع أن يفسد هذه الخطة ويحمل العرب على القتال الى جانبه • وتم اللقاء بأبي ركوة يوم الجمعة ٣ ذي الحجة سنة ٣٩٦/هـ ١٠٠٥م (١٦٩) ،

---

(١٦٤)عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ٤٨ ــ ٤٩ •
(١٦٥)ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢١٦ •
ــ رزق الله منقريوس : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ •
(١٦٦)سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢،ورقة ٢٩٤
(١٦٧)بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٩٤ •
(١٦٨)عطية القوصي : المرجع السابق ، ورقة ٤٩ •
(١٦٩) وردت في سبط بن الجوزي : المصدر السابق،جزء١١،مجلد٢، ورقة

بموضع من أرض الفيوم يعرف برأس البركة ، وتمكنت قوات الحاكم من انزال الهزيمة بأبي ركوة ومن معه(١٧٠) .

كما وقف ابن الجراح الى جانب الحاكم بأمر الله في القبض على الحسين بن جوهر . وكان الحسين بن جوهر قد راسل أبا ركوة — أثناء قتال الحاكم بأمر الله له — وخاف بعد ذلك على نفسه من انتقام الحاكم بأمر الله ، فهرب الى ابن الجراح في الشام . ومن هناك أخذ يدبر أمر هربه الى باسيل امبراطور الروم ، فكتب الى والي انطاكية يستأذنه في المجيء اليها . وفي تلك الاثناء نجح الحاكم بأمر الله في اغراء ابن الجراح بمائتي ألف دينار ان هو نجح في القبض عليه . وتنفيذا لهذا الاتفاق دبر ابن الجراح خطة للقبض على الحسين بن جوهر بالاتفاق مع والي دمشق . ونجحت هذه الخطة فقبض عليه ثم قتل في دمشق في شهر ربيع الثاني سنة ٤٠٣ هـ/نوفمبر ١٠١٢ م(١٧١) .

كما ساعد عرب طيء الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عندما ثار عليه بنو قرة في شعبان سنة ٤٤٤ هـ/نوفمبر ١٠٥٢ م ، ونجحوا في ايقاع الهزيمة بالجيش الذي أرسله لقتالهم . وقد استطاع عرب طيء ومن انضم اليهم من عرب بني كلب ايقاع الهزيمة بهم في مديرية البحيرة(١٧٢) .

---

٢٩٤ في حوادث سنة ٣٩٧ هـ .

(١٧٠) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧

(١٧١) يحيى بن سعيد الانطاكي ، المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٥٠١—٥٠٢

(١٧٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٠ .

ح ـ ضعف بني الجراح

كانت مدة حكم انوشتكين الدزبري في بلاد الشام تمثل قمة السيطرة الفاطمية عليها • فقد امتد نفوذ الفاطميين في تلك الفترة على سائر بلاد الشام حتى لم يعد للقبائل في أيامه وزنا يذكر ، وخضع الجميع لطاعة الخليفة الفاطمي في مصر[١] •

فقد استرد الفاطميون بانتصارهم في معركة الاقحوانة البقاع الجنوبية والوسطى من بلاد الشام[٢] ، واستقرت الاحوال في هذه البلاد أثناء ولاية انوشتكين عليها بسبب حسن سياسته[٣] • غير أن الاضطرابات ما لبثت أن عادت الى بلاد الشام عندما ضعف مركز أنوشتكين في سنة ٤٣٣ هـ/١٠٤١ م بسبب خلافه مع الوزير أبي القاسم الجرجرائي ، ثم بسبب وفاته في هذه السنة[٤] •

فبعد وفاته عادت الاوضاع في بلاد الشام الى سيرتها الاولى • فزال منها النظام ، وعاد العرب الى الطمع في السيطرة عليها • ونجح حسان بن مفرج بن الجراح في انتهاز هذه الفرصة ، وتمكن من استعادة

---

(١) أبو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٨ •
(٢) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٢ •
(٣) LANE POOLE : The Story of Cairo, p. 143
(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢ •
— Encyc of Isl : Article « FATIMIDS », Vol. II, P. I, p. 90

سيطرته على فلسطين في نفس السنة التي توفي فيها انوشتكين • ولهذا عينت الدولة الفاطمية ناصر الدولة الحسين بن حمدان أميرا على دمشق نيعمل على تهدئة الاحوال في بلاد الشام • ولما رأى أن ابن الجراح قد سيطر على فلسطين وأفسد الامور فيها ، توجه بعساكره إليها (٥) • ولا ندري شيئا عن نتيجة هذه المعركة وماذا حدث لحسان بن الجراح ، لان المصادر تسكت عن ذكر اسمه • كما أننا لا نعرف شيئا على وجه التأكيد عن نهاية حسان بن الجراح (٦) •

وبعد هذه المعركة لم يعد لبني الجراح ذكر ، فقد قبض المستنصر على زعمائهم وسجنهم في خزانة البنود ، مثل حازم بن علي بن الجراح ، وحميد بن محمود بن الجراح • وقد ظلوا في السجن ما يزيد على عشرين سنة ، حتى ارتأى ناصر الدولة بن حمدان الاستعانة بهم ضد بدر الجمالي • فأخرجهم من خزانة البنود بعد ان استشفع لهما عند الخليفة الفاطمي المستنصر بالله فعفى عنهما وأخلى سبيلهما(٧) • فأعطاهما ناصر الدولة بن حمدان أربعين ألف دينار لافساد أمر بدر الجمالي بالشام(٨) • ولما علم بدر الجمالي بذلك رأى أن يستميل ابن الجراح اليه حتى يترك ما عزم عليه ، فوهبه عشرة آلاف دينار • كما نجح بدر الجمالي مرة اخرى في أن يستخدم بني الجراح في التخلص من أحد أعدائه(٩) • وبعد ذلك لم نعد نسمع شيئا ذا بال عن

---

(٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢ •
— يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية ، ص ٤٦٠ •
(٦) انظر زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جزء ١ ، ص ١٦٠
(٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٣ •
(٨) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٣ •
(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، حاشية ص ٩٤ نقلا عن سبط بن الجوزي في مرآة الزمان •
يقال أن بدر بن حازم بن الجراح قبض على الشريف القاضي المكيني ابن أبي الجن العلوي ، وذهب به الى عكا حيث باعه بذهب وخلع واقطاع لبدر الجمالي •

بني الجراح . مثال ذلك ما أشارت اليه المصادر عن علي بن مفرج بن دغفل بن الجراح في سنة ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م[١٠] . وما ذكرته زمن الاحتلال الصليبي لبلاد الشام عن أبي عمران الفضل بن ربيعة بن حازم ابن الجراح[١١] الذي وقف موقفا مترددا بين الصليبيين والفاطميين ، حتى اضطر والي دمشق الى طرده . فذهب ابو عمران الى العراق والتجأ الى آل مزيد والى أميرهم صدقة بن دبيس حوالي سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦ م[١٢] .

وهكذا يبدو من هذا العرض لعلاقة الفاطميين بآل الجراح أن الاخيرين كانوا بالمرصاد للدولة الفاطمية ، ولم يدعوا فرصة سنحت لهم بالثورة عليها الا واستغلوها . فقد استغلوا الفوضى التي كانت تذر قرونها في بلاد الشام عامة ودمشق خاصة ، واستغلوا كره السكان للدولة الفاطمية ــ لاختلافهم في المذهب معها ــ كما استغلوا ثورات القرامطة على الفاطميين .

---

(١١) انظر زامباور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .

(١٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مجلد ٤ ، ص ٢٨٤ .

(١٣) زامباور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٦٠ .

والى القارىء هذا الجدول الذي يوضح شجرة نسب زعماء بني الجراح الذين ورد ذكرهم في هذا البحث .

١ ــ حسان بن الجراح

٢ ــ مفرج بن الجراح

علي ــ ٣ ــ حسان ــ محمود

علي ← حازم ← ربيعة ← أبو عمران الفضل

محمود ← حميد

واستغل بنو الجراح ايضا فترات الضعف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية ، وخاصة عقب وفاة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وكذلك بعد وفاة والي الشام انوشتكين الدزبري •

غير أن علاقتهم بالفاطميين لم تكن تتسم على الدوام بالعداء ، فقد وضعوا أنفسهم في بعض الاحيان في خدمة الفاطميين وناصروهم على أعدائهم •ولهذا تأرجحت علاقة بني الجراح مع الفاطميين بين العصيان والطاعة•

وكانت غايتهم من كل ذلك السيطرة على فلسطين والحصول على أكبر قدر ممكن من المال ، فوضعوا أنفسهم في خدمة من يدفع المال لهم، كما أن سيطرتهم على فلسطين اتسمت بسوء السيرة والنهب والسلب • فهاجموا قوافل الحجاج وفرضوا عليها الاتاوات ، كما هاجموا المدن وأوقعوا فيها معاول السلب والنهب • وفي سبيل تحقيق هذا الهدف تعاونوا مع القوى الاخرى المناوئة للفاطميين في بلاد الشام • بل لم يتورعوا عن الالتجاء الى البيزنطيين كما حدث عندما التجأ اليهم مفرج ابن دغفل بن الجراح بعد هربه من يلتكين التركي سنة ٣٧١هـ/٩٨١ م ، وكما حدث عندما التجأ ابنه حسان اليهم عقب هزيمته في معركة الاقحوانة سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م •

وكان الفاطميون على الرغم مما كانوا يحققونه من انتصارات عليهم يعملون على مداراتهم والصفح عن زعمائهم أحيانا • ولكنهم أحيانا أخرى كانوا يتخلصون منهم، كما فعل الحاكم بأمر الله مع زعيمهم مفرج بن دغفل بن الجراح في سنة ٤٠٤ هـ/١٠١٣ م ، وكما فعل المستنصر بالله في سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١ م حينما أودع زعماءهم السجن •

هكذا كان طابع العلاقات بين بني الجراح والفاطميين في الفترة الممتدة من سنة ٣٥٨ حتى سنة ٤٣٣ هـ/٩٦٨ حتى ١٠٤١ م • أما بعد ذلك التاريخ فلم نعد نسمع عن بني الجراح شيئا يشد اهتمام المؤرخ ، اذ ضعف أمرهم وتلاشت أحلامهم في السيطرة على فلسطين •

بَنُو كَلْبٍ فِي أَوَاسِطِ الشَّامِ

أ ـ مقدمـة

بنو كلب بطن من قضاعة من القحطانية ، وهم بنو كلب بن وبرة • أما بنو بحدل فبطن من بني كلب بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي من قضاعة • وكانت رئاسة بني كلب في الاسلام لبني بحدل •

وقد سكن بنو كلب غربي نهر الفرات في بادية الشام • ويمكننا أن نقول بناء على ما ذكرته المصادر أن بني كلب كانوا ينزلون في الجاهلية دومة الجندل ، كما نزلوا تبوك وشيزر وحلب وقراها ، وفي تدمر وأطراف الشـام [1] •

ويضيف لامانس أن بني كلب يعتبرون من أنصاف البدو ، وأنهم يملكون واحات متعددة شرقي وجنوبي حوران ، وبصورة خاصة دومة الجندل وتبوك ومناطق أخرى في وادي القرى • وكان تجمّعهم في سورية حول سلمية وتدمر ، كما سكنت أعداد منهم بعض قرى غوطة دمشق[2] •

---

(١) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٣ ، صفحة وحاشية ٩٩١ •
— محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٦٧ •

(٢) Encyc of Isl : Article « KALB B'WABARA » Vol. II., P. II, p. 688.
— ويضيف عمر رضا كحالة (المرجع السابق والصفحة) : ان أوديتهم هي قراقر ومن مياهم عراعر ، الاجداد ، نهيا ، النوير ، وخالّه ببادية الشـام •
— ويذكر وصفي زكريا (المرجع السابـق ، جـزء ١ ، ص ٧٣) ان بنـي قضاعة هم مؤلفون من قبائل شتى بينها بهراء وتنوخ ، وقد نزلوا ديار الشام الشمالية منذ عهد قديم • ومنهم بنو عذرة وبنو كلب وكانـوا ينزلون في بادية الشـام •

هذا وكان بنو كلب في الجاهلية وثنيين اتخذوا لانفسهم صنما يدعى ودا أقاموه في دومة الجندل . وعندما انتشرت النصرانية ، اعتنقها معظمهم لانهم كانوا يقيمون في بلاد الشام في مجتمع يدين بالنصرانية[٣].

ويقال أن الرسول ندب عبد الرحمن بن عوف في سنة ست هجرية الى دومة الجندل ــ وكان فيها بنو كلب ــ ليدعوهم الى الاسلام . وقال له : ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم ، فدعاهم الى الاسلام ، فأسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي رئيسهم ــ وقد كان نصرانيا ــ وباسلامه أسلم أناس كثيرون من قومه ، ومن لم يسلم دفع الجزية [٤] .

وعندما بدأت الفتوحات الاسلامية ، وجاءت جيوش العرب المسلمين لفتح الشام ، عمل هرقل على استمالة العرب في الشام من تنوخ وكلب وغيرهم ، فساعدوه . ولكن ما أن علم هؤلاء بأن المسلمين فتحوا فلسطين والاردن ، ووصلوا الى البثنية ، وأن أبا عبيده بن الجراح وصل الى ضواحي حلب ، وأصبح قريبا من جموع العرب التي كانت تحارب مع الروم ، حتى أرسل هؤلاء الى خالد بن الوليد يستعطفونه ، ويبدون له أنهم انما ذهبوا مع البيزنطيين مرغمين ، ودون ارادتهم . ولم يكن من رأيهم قتال المسلمين ، فاستجاب خالد لندائهم ، وقبل منهم ما عرضوا عليه وتركهم [٥] .

---

(٣) Encyc of Isl : Article « KALB B'WABARA » Vol. II., P. 11, p 689.

ــ عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٩٩٢ .

(٤) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

راجع نص الكتاب الذي ارسله الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لاهل دومة الجندل في نفس المرجع السابق والصفحة .

(٥) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

وبعد قيام الدولة الاموية ، رأى معاوية بن أبي سفيان أن يقوي صلاته بالقبائل العربية في الشام وخاصة بنو كلب ، فتـزوج أمرأة منهـم هي ميسون بنت بحدل الكلبية وهي أم ابنه يزيد • فاعتبر بنو كلب هـذا الزواج حلفا سياسيا لانهم اخوال ولي العهـد ، وبالتالي حمـاة طبيعيين له [٦] • وكان الامويون قد تقربوا من بني كلب قبل قيام دولتهم ، وذلك بزواج الخليفة عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة بن الاحوص الكلبي وكان في السماوة [٧] • ولم يكن هـذا فحسب بل إن معاويـة بن أبي سفيان أوصى ابنـه يزيد بهم • وقال لـه (أوصيك بأهل الشام فانهم منك وأنت منهم ، فمن قدم عليك منهم فأكرمه ومن غا بفاطلع على خبره)[٨] •

لم يكن زواج معاوية بن أبي سفيان من هذه القبيلة هو السبب الوحيد في قوتها في تلك الفترة ، اذ أن استقرار هذه القبيلة في مناطق مـرور القوافل التجارية في تدمر ودومة الجندل جعلها تستفيد كثيرا من هـذه الحركة التجارية التي نشطت في هذه المنطقة في القرن الاول للاسلام •

---

(٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٧٩ •

— MUIR : The Caliphate , its Rise, Decline & Fall , Beirut Khayats 1963 p. 320 — Encyc of Isl : Article « KALB B'WABARA » , Vol. II., P. II, p. 689

— عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، عصر الخلفاء الامويين ، طبعة مكتبة الانجلو المصرية ، جزء ٢ ، ص ٩٤ •

(٧) البلاذري : أنساب الاشراف ، طبعة بيت المقدس ، جزء ٥ ، ص ١١ — ١٢ •

— والسماوة هي الارض المستوية التي لا حجر بها ، وهي البادية بين الكوفة والشام والتي تسمى اليوم ببادية الشام •

— انظر محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٦٤ •

(٨) ابو مخنف : مقتل الحسين عليه السلام ، طبعة ١٣٦١ ، نشر محمد الشيرازي ، ص ٤ •

وبذلك ورث بنو كلب ما كان للغساسنة في هذه الاراضي من مكانة تجارية وموقع هام [٩] .

ونتيجة لهذا التقارب الذي تم بين معاوية والامويين عامة وبني كلب فقد حقدت عليهم القبائل القيسية . فتأججت نار العصبية بين قيس وكلب ، وتمثل ذلك في معركة مرج راهط التي كانت وكأنها نزاع بين حزبين سياسيين ، القيسية متمثلة في شخص الضحاك بن قيس الفهري ، والكلبية متمثلة في شخص حسان بن بحدل الكلبي خال يزيد [١٠] .

ويعتقد البعض أن النزاع بين قيس وكلب والذي توجته معركة مرج راهط لا يعدو أن يكون احياء للنزاع الذي كان في الجاهلية بينهما ، وهذا الاعتقاد غير صحيح ، لاننا لا نجد له ذكرا في أخبار الجاهلية ، ولا نسمع عن نزاع بين قيس وكلب قبل فتح بلاد الشام وهجرة القبائل القيسية إليها . وكل ما في الامر ان اصهار معاوية الى بني كلب قوى من شوكتهم وزاد من نفوذهم ، وأدى بالتالي الى نقمة القيسيين عليهم . ولما مات يزيد وظهرت دعوة عبد الله بن الزبير انضم القيسيون إليه نكاية ببني كلب ، وبهذا برزت قضية العصبية القبلية بينهما لاول مرة على مسرح الحوادث . وكان النصر في معركة مرج راهط ـ كما ذكرنا ـ للعرب الكلبيين [١١] . وقد استمر النزاع والصراع بين هاتين

---

(٩) Encyc of Isl : Article « KALB B'WABARA » Vol. II, P. II, p. 689.

ـ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي : جزء ٢ ، ص ٩٢

(١٠) محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار (١٣ جزءا) جزء ٨ « العروبة الصريحة في الاسلام تحت راية الخلفاء الامويين » ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ ، المكتبة المصرية بيروت ، ص ٥١٣ .

(١١) محمد عزة دروزة : المرجع السابق ، جزء ٨ ، ص ٥١٣

العصبيتين القبيلتين أو ما يسمى بالحزبين السياسيين الكبيرين طوال العصر الاموي [١٢] .

أما بعد سقوط خلافة بني أمية في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وقيام الخلافة العباسية مكانها ، فقد ضعفت القبائل العربية في الشام عامة ، وبنو كلب خاصة . ذلك أنه بينما اعتمد الامويون على العرب نجد أن العباسيين أهملوا العرب شيئا فشيئا واعتمدوا كلية على العناصر الاسلامية الاخرى من فرس وترك [١٣] . وقد سأل أحد أهل الشام الخليفة المأمون أن ينظر اليهم كما نظر لعجم أهل خراسان ، فرد عليه المأمون قائلا : (أكثرت علي يا أخا أهل الشام . والله ما أنزلت قيسا من ظهور الخيل الا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد . وأما اليمن فوالله ما أحببتها وماأحبتني قط . وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر ، ولم يخرج اثنان إلا وخرج أحدهما شاريا . أغرب فعل الله بك) [١٤] .

وهكذا سقطت على عهد العباسيين قيادات العرب ، وزالت رئاستهم وذهبت مراتبهم . ومن هؤلاء بنو كلب الذين زال عنهم ما كان

---

(١٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الاولى ١٣٠٣ ، جزء ٢ ، ص ٧٦ ــ ٧٧ .

ــ محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

ــ نبيه عاقل : محاضرات لم تطبع عن تاريخ بني أمية ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ ، ص ٣٥ .

(١٣) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ ، ص ١٩ .

(١٤) الطبري : تاريخ الامم والملوك ، الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية المصرية الجزء العاشر ، ص ٩٢ .

لهم من نفوذ زمن الامويين . ومن ثم أخذت القبائل العربية تنضم الى الحركات التي كانت تقوم في وجه العباسيين . فأما بنو كلب فقد انضموا الى غانم القرمطي ، الذي خرج في أيام الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) وقوى أمر القرمطي بهم ؛ فوجه الخليفة المقتدر إليهم الحسين بن حمدان بن حمدون فحاربهم (١٥) .

لم يسند العباسيون الى بني كلب من الوظائف إلا خفارة الدروب ، وحراسة طرق القوافل في الصحراء ، حيث كانت منطقة نفوذهم . غير أن بني كلب أخذوا يعملون على الكيد للسلطة الحاكمة ، فأفسدوا في البلاد، وعاثوا في أعمال حلب . فأرسل اليهم الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م الحسين بن حمدان ليقاتلهم ، واستطاعوا أن يهزموه بمساعدة أعراب نمر وأسد (١٦) .

هذا وقد قام أعراب بني كلب بدور كبير الى جانب سيف الدولة الحمداني ، فقاتلوا الى جانبه بعد أن جمع جموعه في حمص والتقى بعساكر الاخشيد بمرج عذراء على بعد ساعتين من دمشق . غير أنه لم يقدر لسيف الدولة ، وأعوانه من القبائل العربية وخاصة بني كلب الانتصار في هذه المعركة (١٧) .

---

(١٥) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(١٦) بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

- محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(١٧) بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

ب ـ علاقة بني كلب بالفاطميين

غير ان بني كلب ما لبثوا أن استعادوا قوتهم ومكانتهم الاولى التي كانت لهم زمن الامويين بعد الفتح الفاطمي لبلاد الشام واصبحت الدولة الفاطمية تحسب لهم حسابا في كل خطوة تخطوها ، خوفا من وقوفهم الى جانب أعدائها . هذا ويرجع ظهور قوتهم مرة أخرى في بلاد الشام مع بدء النفوذ الفاطمي الى نفس العوامل التي سبق أن سقناها من قبل في تفسير ظهور بني الجراح في هذه الفترة[1] .

أما ما ذكرته المصادر عن أسماء رؤساء هذه القبيلة في فترة السيادة الفاطمية على بلاد الشام فهم :

١ ــ سنان بن عليان الكلبي[2] الذي قاتل الفاطميين مع منجوتكين ثم انحاز اليهم بعد أن أغروه بالمال في سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م . ولكنه عاد فانقلب عليهم وعقد حلفا مع حسان بن مفرج بن الجراح ، وصالح بن مرداس لاقتسام بلاد الشام في سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م .

٢ ــ رافع بن أبي الليل بن عليان الكلبي[3] الذي دخل في طاعة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي ، وقاتل حلفاء عمه سنان الذي سبق ذكره في معركة الاقحوانة الى جانب أنوشتكين الدزبري ، ثم ساعده في قتال

---

(١) انظر قبلا : ص ٨٧ ــ ٨٩
(٢) انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .
ــ الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .
(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، حاشية صفحة ٢٣١ .

نصر بن مرداس في حلب .

٣ ــ مسمار بن سنان الكلبي[٤] الذي وقف مع أهالي دمشق ضد بدر الجمالي سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م .

٤ ــ حازم بن نبهان القرمطي أمير بني كلب[٥] . وكان له نفس دور مسمار في سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م .

٥ ــ بدر بن حازم الكلبي[٦] الذي ساعد اتسز التركي في حصار القاهرة ، ثم تركه بعد أن أغراه الفاطميون بالاموال .

٦ ــ حسان بن مسمار الكلبي[٧] الذي بنى قلعة صرخد في سنة ٤٦٦ هـ/١٠٧٣ م .

---

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٦ ــ ٩٧ .

(٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٧ ، يذكر نقلا عن سبط بن الجوزي في مرآة الزمان . أن حازم بن نبهان القرمطي هو امير بني كلب .

ــ ويفهم مما أورده المقريزي (اتعاظ الحنفا) ، في نفس الطبعة ص ١٧٥ ــ ١٧٦) ــ أن بعض بني كلب كانوا قرامطة .

ــ هذا ويذكر محمد عبد الفتاح عليان (قرامطة العراق ــ رسالة ماجستير لم تطبع ورقة ٨١) ان زكروية وأهل بيته لم يجدوا أرضا صالحة لنشر دعوة القرامطة غير بادية السماوة وبلاد الشام . وكان أعراب تلك البادية ومواليهم يقومون بنقل المتاجر على ابلهم فيما بين الكوفة ودمشق . ولهذا فان بعض بني كلب الذين يسكنون بادية السماوة اعتنقوا مذهب القرامطة . وقد يكون منهم والد حازم هذا يكون منهم ، وانه لقب بسبب ذلك بالقرمطي .

(٦) ابن القلانسي المصدر السابق ، حاشية ص ١٠٩ ــ ١١٠ .

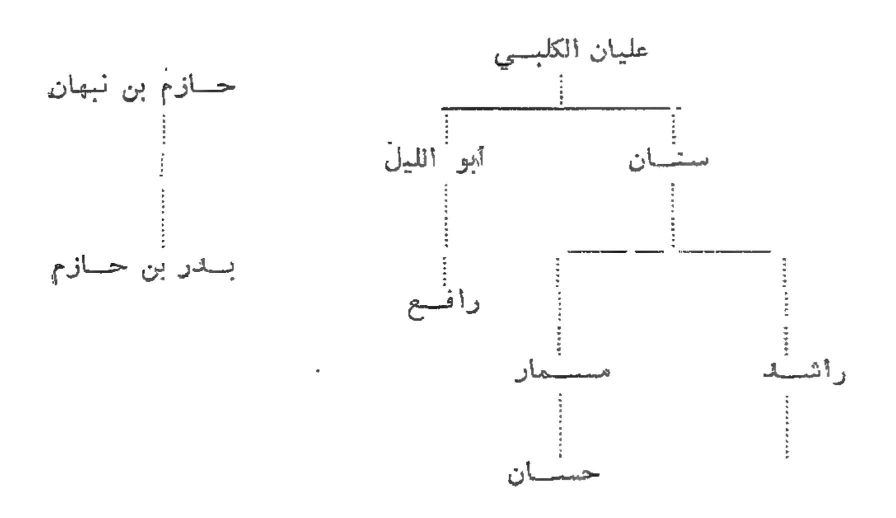
(٧) الحافظ الذهبي : دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٠١ .

ــ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٩٥ .

٧ ــ راشد بن سنان الكلبي[٨] الذي ساعد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في حرب البيزنطيين •

وبعد هذا لم نعد نسمع شيئا عن بني كلب ، ذلك أن بدرا الجمالي استطاع أن يضعف من شوكتهم بعد أن نجح في السيطرة على مقاليد الامور في الدولة الفاطمية •

وهكذا يمكننا أن نحدد الفترة التي برز فيها بنو كلب كقوة في بلاد الشام في الفترة الفاطمية بما يقارب مائة سنة ، أي منذ سنة ٣٧٠ حتى ٤٧٠ هـ/٩٨٠ ــ ١٠٧٧ م • كما يمكننا أن نضع شجرة نسب من برز من زعمائهم في هذه الفترة على النحو التالي :



(٨) العيني : المصدر السابق ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ورقة ٩٨ •

هذا وقد بدأت علاقة بني كلب بالفاطميين على شكل عدائي أثناء رئاسة أميرهم سنان بن عليان الكلبي . ولكن ما ان توفي سنان هذا حتى استطاع الفاطميون أيام الظاهر لاعزاز دين الله أن يكسبوهم الى جانبهم. وبقي هؤلاء يقاتلون الى جانب الفاطميين على الرغم من الخلاف المذهبي بينهما . ويرجع هذا ــ شأنهم شأن القبائل البدوية ــ الى غلبة المصالح المادية عليهم . فالرغبة في الحصول على الاموال هي التي جعلتهم يتحولون الى جانب الفاطميين . ولم ينحرفوا عنهم أبدا الا في بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، حين وقفوا ضد بدر الجمالي ، والى جانب أهالي دمشق .

ففي سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨ م اجتمع عدد كبير من بني كلب وانضموا الى بكجور الذي كان واليا على دمشق من قبل الفاطميين . ولكن بكجور لم يحسن التصرف فظلم الاهالي ، وجار جورا عظيما . فأرسل الخليفة الفاطمي العزيز بالله جيشا كبيرا لقتاله واخراجه من دمشق ، وكان هذا الجيش بقيادة منير الخادم . بينما كان بكجور يعتمد على من اجتمع اليه من بني كلب ، لانه لم يكن يثق بوقوف أهالي دمشق الى جانبه ، فأرسل الى ابن عليان العدوي فأتاه بخيوله ورجاله[٩] . وأرسلهم لقتال الجيش الفاطمي ، وكان لقاء الجيشين قرب داريا[١٠] . وعلى الرغم من أن العرب

---

(٩) هكذا وردت ابن عليان العدوي ، وأظن أنه هو نفسه سنان بن عليان الكلبي .

ـ انظر الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

ـ والمقريزي : اتعاظ الحنفا ، نفس الطبعة السابقة ص ١٢٦ .

(١٠) داريا قرية قرب مدينة دمشق . انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

ـ ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه المعركة راجع فيما بعد الباب الثالث ، ص ٢١٠ ــ ٢١٢ .

من بني كلب صدقوا القتال : إلا أن المعركة انتهت بهزيمتهم ، وقتل كثيرين منهم ثم انسحابهم الى داريا ومنها الى مناطقهم بالبادية . وبانهزام الكلبيين اضطر بكجور الى ترك دمشق والذهاب الى الرقة[11] .

هذا وقد وقف سنان بن عليان الكلبي موقفا عدائيا من الدولة الفاطمية عندما انضم الى منجوتكين الذي ثار على الدولة الفاطمية في سنة ٣٨٧ هـ/٩٩٧ م[12] فقد قاتل الى جانبه قرب عسقلان جيش الفاطميين الذي أرسله الخليفة العزيز بأمر الله بقيادة سليمان بن جعفر بن فلاح . ولما كان جيش سليمان يملك من العدة والعدد ما أطمع سنان بن عليان الكلبي وخوفه في نفس الوقت من انتقام الفاطميين اذا ما حلت الهزيمة به وبحليفه[13] ، فقد رأى ان يترك حليفه وخاصة أنه لم يجدمعه من الاموال ما يشبع رغبته . فانحاز الى سليمان بن جعفر بن فلاح ، وأدى ذلك الى ضعف موقف منجوتكين . بينما قوي مركز سليمان ، وانتهى الامر بانتصاره[14] .

ولم يفت بنو كلب أن يستغلوا الفوضى التي شاعت في نهاية عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ/٩٩٦ ـ ١٠٢٠ م) وبداية عهد خليفته الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥ م)[15] فاتفقوا مع القبائل العربية على اقتسام بلاد الشام على أن

---

(١١) الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٢ .
(١٢) ابن ميسر : اخبار مصر ، جزء ٢ ، ص ٥٤
(١٣) راجع فيما سبق « بنو الجراح » ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨
(١٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .
(١٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٣١٩ .
ـ بينما ترد في السيوطي (تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٨) أن وفاة الخليفة الظاهر كانت في سنة ٤٢٨ هـ .

تكون دمشق وما يحيط بها لسنان بن عليان الكلبي[16] .

وتنفيذا لهذا الاتفاق شن سنان بن عليان الكلبي غارات متتالية على دمشق ، ثم حاصرها في سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م[17] . وجرت بينه وبين حكام دمشق من قبل الفاطميين حرب شديدة . ولما لم يتمكن سنان من دخولها لم يكن أمامه سوى أن يعبث بالقرى التي تحيط بها ، فهاجم داريا وضربها وخرب ما حولها . وبقي على هذه الحال حتى سنة ٤١٩ هـ/١٠٢٨ م . ثم مالبث ان توفي سنان ، وبوفاته تخلص الفاطميون من أطماعه في السيطرة على دمشق وعلى أواسط بلاد الشام عامة[18] . وبوفاة سنان أيضا انتهت فترة عداء بني الكلب للفاطميين ، فقد دانوا بعده بالطاعة لهم لفترة طويلة امتدت حتى ظهور بدر الجمالي وسيطرته على مقاليد الامور في الدولة الفاطمية[19] . اذ أن رافع بن أبي الليل بن عليان الكلبي دخل في طاعة الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله فاصطنعه وقربه اليه ، وعقد له الامارة على الكلبيين . وأوكل اليه قتال بني الجراح حلفاء عمه بالامس . وسير معه عسكرا بالاضافة الى عساكر الشام التي انضمت اليه . كما استطاع رافع بن أبي الليل الكلبي بجهوده أن يضم اليه جماعة من العرب . وقصد بهؤلاء جميعا قتال حسان بن مفرج بن الجراح الذي كان قد خرب الشام وعاث فيه وأفسد .

ولما لم يكن باستطاعة رافع بن أبي الليل الكلبي بهذه القوات القضاء على ابن الجراح وحليفه صالح بن مرداس ، فقد أرسلت الدولة الفاطمية

---

(١٦) انظر قبلا الفصل الخاص ببني الجراح ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(١٧) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ص ٢١٤ .

(١٨) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

(١٩) WIET : Op. Cit., p. 217

جيشاً كبيراً لقتال هذين الحليفين بالاضافة لجيش رافع ، وكـان الجيش القادم بقيادة أنوشتكين الدزبري • وقاتـل رافـع الكلبي مـع الجيش الفاطمي في معركة الاقحوانة سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م ، وهي المعركة التـي انهزم فيها بنو الجـراح وزعميهم حسان ، بينما قتل صالـح بن مرداس وابنه الاصغر ، وتخلى أصحاب صالح بن مرداس بعد مقتله عن بعلبـك وحمص وصيدا ورفنيه[٢٠] وحصن ابن عكار[٢١] •

وظل أنوشتكين الدزبري يعتمد على الكلبيين وعلى زعيمهم رافع ابن أبي الليل الكلبي أثناء فترة ولايته على بلاد الشام • فقد جعلـه قائداً لقواته التي ذهبت لقتال نصر بن صالح بن مرداس والقضاء عليه ، وكان نصر قد دخل حلب بعد مقتل والده وجعلها تحت حكمه •

وليتمكن أنوشتكين من القضاء على نصر بن صالح المرداسي رأى هو وحلفاؤه من الكلبيين ، قبل البدء بقتال نصر المرداسي أن يؤمنوا جانب البيزنطيين • فأرسل أنوشتكين الدزبري الى الامبراطور البيزنطي يستأذنه في قتال نصر وأخذ حلب منه ، على أن يؤدي للبيزنطيين ما على نصر من الحمل المقرر • فأذن له الامبراطور • وبذلك أمن جانبـه ، وتفرغ لقتـال نصر ، والتقى الفريقان في تل غربي سلمية

وفي هذه المعركة انتصر رافع بـن أبي الليل علـى المرداسيين على الرغم من استبسالهم في القتال • وطعن نصر ووقع أسيراً ثم احتز رأسه

---

(٢٠) رفنية بفتح أوله وثانيه وكسر النون وتشديد الياء : كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر •

— انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، طبعة أولى ١٩٠٦م ، مجلد ٤ ، ص ٢٦٦ •

(٢١) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ •

— عن معركة الاقحوانة انظر قبلا ، ص ١٢٣ — ١٣٣

في منتصف شعبان سنة ٤١١هـ/٢٢ مايو ١٠٣٧م[٢٢] ، وبعد هذا النصر الذي حققه الكلبيون على المرداسيين لصالح الخلافة الفاطمية جاء أنوشتكين الدزبري ليدخل حلب[٢٣] ، وهكذا نجد أنه منذ أن اصطنع الظاهر لاعزاز دين الله رافع بن أبي الليل وعقد له الامارة على الكلبيين ، بقي مخلصا لهم يساعدهم في حروبهم وينفر معهم في القتال ،

وقد اعتمد الفاطميون على هذه القبيلة في حروبهم لثقتهم في اخلاصها دون غيرها من القبائل ، فقد أمر الوزير اليازوري هبة الله الشيرازي عندما خرج من مصر أن يعتمد على العرب الكلبيين في الشام دون سواهم ، وكان قد خرج من مصر بجنود قليلة ليس لهم خبرة في القتال[٢٤] ،

وكان هبة الله ـ كما نعلم ـ مقدما على أمر عظيم جدا ، وهو القضاء على الخلافة العباسية لصالح الفاطميين ، ولم يكن معه جيش كبير يساعده على تحقيق أهدافه ،

ولكن الكلبيين سببوا لهبة الله الشيرازي كثيرا من المتاعب ، فقد اضطر أن ينتظرهم مدة حتى وصلته المعونة المطلوبة منهم وكان عددها نحو ثلاثة آلاف رجل [٢٥] ، كما سببوا له متاعب أخرى حينما ظهرت طبائعهم القبلية ، وعزتهم العربية التي تحتقر كل الاجناس ، ورفضوا أن

---

(٢٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥١ ،

(٢٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية صفحة ٧٥ وهي لمحمد بن مؤيد الملك ،

(٢٤) هبة الله الشيرازي : السيرة المؤيدية ، تحقيق محمد كامل حسين ، ص ١٠٠ ،

(٢٥) فاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ١١٢ ،

يسيروا مع عسكر البساسيري الذي يضم عددا من الترك والكرد[٢٦] • وأوضحوا له أنهم لن يشاركوا في القتال إلا إذا انفصل عسكر العرب وحدهم • واستطاع هبة الله الشيرازي بدهائه وحسن سياسته أن يستميلهم ويسترضيهم ، ويسيرهم للقتال ، وخاصة بعد أن وافق على جعل نفقة الشهر الذي حصلوا عليه منه لمدة عشرين يوما فقط • فوجههم إلى الرحبة ، ثم مضوا بعد ذلك مع بقية جيش البساسيري نحو العراق في سنة ٤٥٠/١٠٥٨م[٢٧] •

ويمكن أن نقول عنهم بصورة عامة أن طبيعتهم البدوية جعلتهم يغترون ببريق المال • فسرعان ما كانوا يتركون نصرة قائد لينضموا الى آخر اذا ما عرض عليهم المال • فقد انحرف العرب الكلبيون الذين ساروا مع رفق الخادم ــ القائد الفاطمي الذي ذهب لقتال ثمال بن صالح بن مرداس ــ عندما أغراهم ثمال وقواده بالمال ، وكانوا سببا في هزيمة رفق الخادم أمام أبواب حلب •

وكانت خطة ثمال التي رسمها للكلبيين بعد اغرائهم بالمال أن يعملوا على الانهزام عند اللقاء الاول معه ، وعلم رفق بالمؤامرة التي حيكت ضده ، فأصبح في حيرة من أمره ، ولم يعد يملك القدرة على مجابهة جيش ثمال بن مرداس • وعلى الرغم من استعطاف رفق الخادم للكلبيين طالبا منهم العودة إليه ، فانهم لم يستجيبوا له حتى اضطر الى التراجع عن أبواب حلب[٢٨] •

---

(٢٦) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ •

(٢٧) فاضل الخالدي : المرجع السابق ، ص ١١٩ •
وعن هذه الاحداث انظر فيما بعد الباب الرابع ، ص ٣٠٨

(٢٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٦ •

ولكن منذ النصف الثاني للقرن الخامس بدأ الكلبيون يتحولون عن الفاطميين ، وينضمون الى اعدائهم اذا اقتضى الامر ذلك ، ويرجع هذا الى الظروف الاقتصادية التي مرت بها الدولة الفاطمية وقتذاك . فقد كانت تعاني في تلك الفترة من الازمة الاقتصادية الكبرى التي عرفت بالشدة العظمى والتي حدثت في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ودامت سبع سنوات (٤٥٧ — ٤٦٥هـ/ ١٠٦٤ — ١٠٧٥)[٢٩] .

وقد شجع ضعف الدولة الفاطمية وسوء أحوالها الاقتصادية أهالي دمشق على الثورة ضد الفاطميين ، ليحصلوا على استقلالهم . فبدأوا معارضة بدر الجمالي الذي عين واليا عليهم في سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م[٣٠] . ورأى أهل دمشق أن يقووا مركزهم ويدعموا قواتهم العسكرية بالاستعانة بقبيلة كلب القريبة منهم ، والتي ادركوا بوادر تمردها على الفاطميين .

أما أسباب ثورتهم المباشرة على بدر الجمالي فتعود الى رغبته في القبض على أبي طاهر بن أبي الجن القاضي — الذي كان محبوبا من أهالي دمشق — لانه كان يعمل على تحريضهم واثارتهم ضده . ولما لم يستطع بدر الجمالي القبض على ابن أبي الجن بسبب فراره ، قبض على خليفته ابن أبي الرضا ، واستولى على أمواله .

وشجع ذلك أهالي دمشق على الاستمرار في الثورة عليه ، وقاموا باغلاق الابواب دونه . وراسلوا مسمار بن سنان الكلبي يستعجلون

---

(٢٩) عن هذه الشدة انظر راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، الطبعة الاولى ، ص ٨٥ .

Encyc of Isl : Article « FATIMIDS » , Vol. II., P. I. , p. 91 —

(٣٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٦ .

ارسال المعونة اليهم ، فأتاهم بجنوده من أبنــاء قبيلته ، وهاجموا مقبـر الوالي الذي كان خارج دمشق واستطاعوادخوله ، فاضطر بدر الجمالي الى الهرب مع أهله الى صيدا[٣١] .

لم يكتف مسمار بن سنان الكلبي بذلك ، بل أراد أن يتبـع بدرا الجمالي ، واستعان في ذلك بحيدرة بن منزو وبعسكر دمشق . فاضطر بدر للرحيل من صيدا الى صور ومنها الــى عكا[٣٢] . وبذلك تهيــأت الظروف لعودة ابن أبي الجن الى دمشق ، فانزعج بدر الجمالي من ذلك وعاد لحصار دمشق ثانية . ولكنه عجــز عن دخولهــا فتركها ورجــع الــى عــكا .

غير أن دمشق لم يقدر لها أن تهنأ بطرد بدر الجمالي لان الخلافات الداخلية بين أهاليها وجنودها ما لبثت أن نشبت . فنادى الجنود بشعار بدر الجمالي الذي سارع فأرسل لهم نائبا عنه . عنــد ذلك اضطر ابــن أبي الجن أن يترك دمشق ويلتجىء للعرب الكلبيين[٣٣] .

لكن الاهالي لم يكونوا راضين عما فعله الجند ، وانزعجوا مــن مجيء نائب بدر الجمالي الى دمشق . فأرسلوا الــى زعماء بني كلب ، مسمار بن سنان وحازم بن نبهان بن القرمطي ، وطلبوا منهما الحضور لتسليمهما دمشق . ولكن مسمارا الكلبي أوضح للاهالي أنه لا يستطيع دخول دمشق بوضعها القائم ، فقال لهم : (لا يمكنني الدخول الى البلد وتملكه ، والعسكر جميعه فيه ، المغاربة والمشارقة ويجب أن يخالفــوا

---

(٣١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٦ .

(٣٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٦ ــ ٩٧ .

(٣٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٧ .

بينهم ويخرجوا المشارقة [٣٤]) .

واندلعت على اثر ذلك ثورة عارمة بين أهالي دمشق وبين جنود الفاطميين ، والقيت النار بين المنازل فاحترق كثير منها ، ونشبت النار في المسجد الاموي بدمشق وأتت عليه كله سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م [٣٥] .

عندما رأى أهالي دمشق ما حل بالمسجد الاموي انزعجوا لهذا الامر وتركوا القتال محاولين اطفاء النار وتخليص المسجد من الدمار فاستغل جنود الفاطميين الفرصة ونهبوا دورهم وأموالهم وسيطروا على دمشق ، بينما ضعف الاهالي أمامهم .

وقد خاف مسمار بن سنان الكلبي أن تفوته الفرصة التي عرض فيها أهالي دمشق تسليمه المدينة ، فرأى أن يبادر بنجدتهم ليقوي مركزهم أمام الفاطميين ، فأرسل اليهم واليا من قبله ، ثم راسلهم ثانية طالبا منهم الثبات في المقاومة ، وأن يعملوا على اخراج جنود الفاطميين ، ومنّاهم بمعونته .

وما أن سمع أهالي دمشق بوعود مسمار بن سنان الكلبي حتى قويت عزيمتهم واشتدت ، وثاروا على السلطة على أمل وصول المعونة اليهم . ولكن المعونة تأخرت، فضعف الاهالي عن مقاومة الجندالفاطمي ، ولم يستطيعوا الصمود طويلا أمام المغاربة فانهزموا ، وبذلك سيطر الجند الفاطمي على البلد ، وقاموا باحراقه ونهب دوره ، وعادوا ثانية للمناداة لبدر الجمالي .

وعندما علم مسمار بضعف أهالي دمشق أمام جنود الفاطميينأسرع

---

(٣٤) أظن أنه يقصد بهم جنود دمشق من الاحداث ـ انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٧ .

(٣٥) أبو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٩٥ .

اليهم منجدا ومحاولا دعمهم ومساعدتهم على أعدائهم ، فوجدهم قد غلبوا على أمرهم[٣٦] . ولا ندري ما هي الاسباب التي جعلت مسمارا يتأخر في وصوله بالمعونة لاهالي دمشق على الرغم من وعوده المتكررة بارسال الامدادات لهم ، وعلى الرغم من أن الاهالي كانوا يعملون جادين على تسليم دمشق له .

وأدرك جنود الفاطميين أن الثورة ستستمر طالما استمر مسمار الكلبي في تقديم المعونة لاهالي دمشق ، ووجدوا أن خير ما يفعلوه لينفردوا بأهل دمشق هو استمالة أمير الكلبيين بالاموال . فراسلوه وطلبوا منه أن يمكنهم من المقام في دمشق ، على أن يعطوه مائة ألف دينار ، فرضي بذلك .

ولم يكن جنود الفاطميين صادقين في وعودهم لمسمار الكلبي ، بل كانت كل غايتهم استغلال الوقت لتثبيت أقدامهم والسيطرة على دمشق . إذ أنهم لما شعروا بقوة مركزهم لم يعطوا مسمارا ما وعدوه به على الرغم من الحاحه في طلب المال وانتظاره عدة أيام على أمل أن يتحقق وعدهم . ثم أدرك أخيرا أنهم غرروا به بعد أن قوي مركزهم ، وأنه أضعف من أن يقاتلهم — وخاصة بعد استكانة أهالي دمشق أمامهم — فترك المدينة وسار الى سواده في بادية الشام .

وعلى هذا الشكل استقر جنود الفاطميين في دمشق بعد هزيمتهم للاهالي وللكلبيين الذين حاولوا مساعدتهم . ثم اتجهوا الى نهب المدينة ، وقدر ما نهبوه منها بخمسمائة ألف دينار . كما أنهم عملوا على التخلص من أحداث دمشق فقتلوا منهم سبعين حدثا ، وبذلك تمت لهم السيطرة

---

(٣٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٩٧ وهي لسبط بن الجوزي في مرآة الزمان .

على دمشق[٣٧] .

ولم يهدأ الكلبيون بعد هذا الفشل ، بل إنهم ازدادوا حقدا على الفاطميين واستمروا في الكيد لهم . فقد انضم بدر بن حازم الكلبي على رأس ألفي فارس من فرسان قبيلته الى اتسز التركماني[٣٨] الذي استولى على دمشق واستخلصها من الفاطميين نهائيا سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م[٣٩] . وأقام بها الدعوة لبني العباس . ثم أراد أن يستولي على القاهرة ويقضي على الخلافة الفاطمية[٤٠] . وبلغ عدد جيوش اتسز التي تقدم بها نحو مصر بما فيهم الكلبيين ما يزيد على ٣٠ ألف ما بين فارس وراجل[٤١] . وما أن وصل اتسز بجحافله الى الدلتا ، وأصبح على مقربة من أبواب القاهرة ، والدبادب والبوقات بين يديه ، حتى رأى الفاطميون أنه ليس لهم طاقة بمواجهة هذه القوات الفتية .

لهذا قامت خطة الفاطميين بقيادة بدر الجمالي على استعمال السياسة والدبلوماسية وسلاح المال ليفرقوا بها صفوف أتسز . فراسلوا بدر بن حازم الكلبي واستمالوه بالاموال ، على أن يعمل على مساعدتهم

---

(٣٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٣٨) اتسز بن أوق الخوارزمي التركي ، ولي دمشق بعد حصارها مرات ، وأقام بها الدعوة لبني العباس . وقد توفي سنة ٤٧١هـ .

— انظر صلاح الدين الصفدي : أمراء دمشق في الاسلام ، ص ٤ .

— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٣٩) ابن عساكر : التاريخ الكبير ، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق (١٩ جزءا) تحت رقم ٣٣٦٦ ، جزء ٢ ، ورقة ٣٠٢ .

(٤٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٨ .

— ابن عساكر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ورقة ٣٠٢ .

(٤١) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥ .

ويتسبب في هزيمة اتسز ، فوافق على ذلك . واتفق الطرفان على أن يكمن بدر بن حازم الكلبي في ألفي فارس خلف جيش اتسز ، ثم يخرج من ورائهم ليأخذ البغال المحملة ويضرب النار في عتادهم . ولما نشب القتال نفذ بنو كلب ما تم الاتفاق عليه ، بينما اندفع الفاطميون الى ميمنة جيش اتسز وضربوها . ووقع الترك بذلك بين نارين ، وفر اتسز منهزما ، وقتل من كان حواله . ثم تتبعهم العرب أسرا وقتلا ، وغنموا منهم غنائم كثيرة لاتقدر(٤٢) .

هذا ولم يكن رؤساء بني كلب على اتفاق مع الفاطميين في الغدر باتسز ، فبينما نجد بدر بن حازم الكلبي ينحاز الى جانب الفاطميين في قتالهم مع اتسز التركماني نرى مسمار بن سنان الكلبي ـ الذي كان اتسز قد استخلفه في مائتي فارس من العرب في دمشق ـ يضرب المضارب ظاهر دمشق لينزل بها أتسز بعد عودته منهزما مع بضعة عشر شخصا من جنوده(٤٣) .

ويبدو أن الكلبيين لم يتحرفوا كلية عن الفاطميين على الرغم من تلك الأحداث بل ظلوا على طاعتهم وفي خدمتهم حتى سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣ م . يدل ذلك على القلعة التي بناها حسان بن مسمار الكلبي في صلخد(٤٤) . اذ كتب على بابها (أمر بعمارة هذا الحصن المبارك الامير

(٤٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ١١٠ ، وهي لسبط بن الجوزي .

ـ كان فيما غنمة الفاطميون بقيادة بدر الجمالي ثلاثة آلاف حصان وعشرة آلاف صبي وجارية . أما عن الاموال والثياب فمالا يحصى .

(٤٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ١١٠ وهي لسبط بن الجوزي .

(٤٤) الذهبي : دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٠١ .

ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٩٥ .

الاجل ، مقدم العرب ، عز الدين ، فخر الدولة ، عدة أمير المؤمنين[٤٥]) .

ويشير Van Berchem في تعليقه على هذا النقش الخاص بقلعة صلخد والمؤرخ في سنة ٤٦٦هـ أن المقصود بأمير المؤمنين هو الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[٤٦] . وقد أشار سبط بن الجوزي ــ الذي أورد مضمون هذا النقش ــ أن حسانا كان قد دخل في طاعته[٤٧] .

كما استجاب راشد بن سنان بن عليان الكلبي عندما استصرخه المستنصر بالله ليساعده في قتال البيزنطيين ، بعد أن منعت الامبراطورة تيودورا ــ أثناء الشدة ــ ارسال معونة إلى مصر ، مخالفة بذلك شروط الهدنة التي كانت قد عقدت بينهما[٤٨] . ومن المعروف أن الخليفة المستنصر الفاطمي ، كان قد راسل الامبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع ، اثر المجاعة التي حلت بمصر سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٣م يطلب منه أن يمده بأربعة آلاف أردب من القمح . فأظهر الامبراطور استعداده لاجابة هذا الطلب ، لكنه لم يلبث أن توفي ، وخلفته الامبراطورة تيودورا . فاشترطت لتقديم المساعدة ، أن يمدها المستنصر بالجنود إذا اعتدى على بلادها أي معتد . ولما رفض المستنصر هذا الشرط ، حالت الامبراطورة تيودورا دون ارسال الامدادات الى مصر .

هذا ويبدو من هذا العرض لطبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الكلبيين والفاطميين أن الكلبيين كانوا يسيرون وفق ما تمليه عليهم مصالحهم الخاصة ، ــ وخاصة المادية منها ــ وإن كانوا في ولائهم

---

(٤٥) COMBE, SAUVAGET et WIET : Répertoire Chronologique D'Epigraphie Arabe, T. VII, No. 2704, p. 191 — 192

(٤٦) VAN BERCHEM : C. I. A., Egypte, Ire Partie, p. 641, Note 1,

(٤٧) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، مخطوطة رقم ٥٥١ تاريخ ، دار الكتب ، جزء ١٢ ، مجلد ٢ ، ورقة ١٤٨ .

للفاطميين أصدق من بقية القبائل • ولهذا استطاعت الدولة الفاطمية الاعتماد عليهم كلية في تهدئة الثورات ، وأحيانا في قمع حركات القبائل الشامية ، وخاصة في عهد رافع بن أبي الليل بن عليان الكلبي الذي اعترف به الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أميرا على قبيلته بعد أن دخل في طاعته • فقد ساعد رافع بن أبي الليل الجيوش الفاطمية في معركة الاقحوانة ، وقاد قوات الفاطميين لقتال نصر بن صالح بن مرداس سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م • كما ساعد بنو كلب البساسيري في ثورته على العباسيين عندما طلب منهم ذلك داعي الفاطميين هبة الله الشيرازي •

ومع ذلك فكثيرا ما وقفوا مع أعداء الدولة ، أو غيروا موقفهم منها من أجل المال أو غيره • ومن هذه المواقف العدائية للفاطميين مساعدة مسمار بن سنان الكلبي أهالي دمشق في ثورتهم على الفاطميين ، ومناصرة اتسز في حروبه لهم •



الباب الثالث

موقف أمراء العرب في شمال الشام من الفاطميين

١ ــ الحمدانيون في حلب والموصل :

آ ــ استعراض الظروف التي أدت الى قيام دولتهم ٠

ب ــ علاقات الفاطميين مع الحمدانيين عامة ٠

جـ ــ علاقات الفاطميين مع الحمدانيين في الموصل في عهد :

* ناصر الدولة ٠
* أبي تغلب ٠

د ــ علاقات الفاطميين مع الحمدانيين في حلب في عهد :

* سيف الدولة ٠
* سعد الدولة أبي المعالي ٠
* بكجور وسعد الدولة ٠
* سعيد الدولة أبي الفضائل ٠
* المولى لؤلؤ وابنه مرتضى الدولة ٠

٢ ـ المرداسيون في حلب :

آ ـ نشأة الامارة المرداسية في حلب

ب ـ العلاقات بين الفاطميين والمرداسيين في عهد :

* صالح بن مرداس •
* نصر بن صالح •
* ثمال بن صالح •
* عطية بن صالح ومحمود بن نصر •

الحمدانيون في حلب والموصل

استعراض الظروف التي أدت إلى قيام دولتهم

الحمدانيون من العرب العدنانية ، وهم بطن من تغلب بن وائل[١]. وكانت تغلب تقيم في بادية الشام . فلما ضاقت البادية بالقبائل التي نزلت بها ، اضطرت تغلب الى أن تتركها وتنزح الى ديار ربيعة[٢] بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم هذه بديار ربيعة . بينما نزل بنو بكر في شماليها في المنطقة التي تعرف باسم ديار بكر[٣] .

وقد اعتنق بنو تغلب النصرانية، وغلبت عليهم لمجاورتهم للروم[٤].

---

(١) كان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار في الكثرة والعدد . وكانت مواطنهم في الجزيرة بديار ربيعة .
انظر ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .
ــ القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .

(٢) وصفي زكريا : عشائر الشام ، جزء ١ ، ص ٨١ .

(٣) كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها ، وكان هذا الاقليم ينقسم الى ديار ثلاث ، وهي ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التي نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام، وكان يحكمه الساسانيون ، فعرف كل من هذه الديار بقبيلته ، وكانت الموصل على دجلة ، أجل مدن ديار ربيعة ، والرقة على الفرات قاعدة ديار مضر ، وآمد في أعالي دجلة أكبر مدن ديار بكر .
انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد مطبعة الرابطة بغداد ١٩٤٥ ، ص ١١٤ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٠٣ .
ــ فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٩٣ .

وكانت قبيلة تغلب النصرانية تأخذخمورها من منطقة الاندرين[٥] ، وهي في براري حلب ، وقد أشار الى ذلك شاعرهم عمرو بن كلثوم في مطلع معلقتــه المشهورة :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الاندرينــا

وعلى الرغم من غلبة النصرانية على بني تغلب ، فان بعض رجــال القبيلة اعتنقوا الاسلام في حياة الرسول[٦] • وممن اعتنــق الاســلام منهــم في تلك الفترة ، شاعرهم كعب بن جعيل[٧] • ولكن ذلك لم يتعد بعض الافراد ، اذ ظلت غالبية بني تغلب على دين النصرانية ، ولذلــك حاربوا في صف البيزنطيين سنة ١٢ هـ/٦٣٣ م • ولكن قبيلة تغلب مــا لبثت أن تحمست لقومها العرب ، وحاربت معهم ، وشاركتهم في فتــح العراق ــ قبل أن يفتح المسلمون الجزيرة ــ على الرغم من أنهم كانــوا نصارى لم يسلموا بعد فقد انضم عدد منهم تحت راية المثنى بن حارثــة الشيباني سنة ١٣ هـ/٦٣٤ م لمقاتلة الفرس • كمــا انضموا الــى جيش سعد بن أبي وقاص سنة ١٦ هـ/٦٣٧ م ، وحاربوا معه في تكريت •

ولما فتح المسلمون الجزيرة الفراتيــة سنة ١٨ هـ/٦٣٩ م ، زمــن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان قائد الجيش أبــو الوليد بن عقبة يرى اكراه التغلبيين على الاسلام • ولكنه رأى أن يكتب الى عمر

---

(٥) قرية الى جنوب حلب تبعد عنها ركوب يوم على ظهر الفرس ، تقــع على حافة الصحراء ، والمنطقــة التي خلفها غــير مسكونــة ، وهــي الآن خرائب •

— LE STRANGE : Op. Cit., p. 394

(٦) النويري : نهاية الارب في فنــون الادب ، طبعــة دار الكتب ١٩٥٥ ، جزء ١٨ ، ص ٧٢ •

(٧) فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٩٣ •

ابن الخطاب يستشيره في هذا الامر ، فأشار عليه عمر بن الخطاب ان الاجبار يقتصر على أهل الجزيرة العربية ، لانه لا يقبل منهم فيها الا الاسلام ، ويبين اله ما يجب عليه اتباعه معهم . فدان بالاسلام من دان منهم طوعا ، أما من بقي منهم على النصرانية فقد أبى أن يعطي الجزية حمية وأنفة . ورضي أن يعطي الصدقة مضاعفة ، ثم دخلوا كلهم مع الزمن في الاسلام[٨] .

والجدير بالذكر أن قبيلة تغلب كانت مشايعة لخلفاء بني أمية . وهذا ما نلمسه في شعر شعرائهم المشهورين في العصر الاموي ، مثل الاخطل والقطامي . ومما يؤيد ذلك أيضا مشاركتهم في حروب الدولة الاموية ، مثال ذلك انضمامهم سنة ٧٧ هـ/٦٩٦م الى الحجاج بن يوسف الثقفي في قتاله لشبيب[٩] .

وفي أول العصر العباسي ضعفت قبيلة تغلب ، شأنها في ذلك شأن بقية القبائل العربية . وكان ذلك نتيجة للسياسة التي كانت تتبعها الدولة العباسية مع العناصر العربية . ولكنهم ما لبثوا أن نهضوا عندما لمسوا الضعف الذي تمر به الدولة العباسية في عصرها الثاني ، وخاصة بعد أن شاهدوا نشأة عدة دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية ، ورأوا أنهم لايقلون شأنا عن أصحاب هذه الدويلات المستقلة . كما أن الظروف التي كانت تمر بها الجزيرة الفراتية كانت تشجعهم على القيام بهذا الدور . اذ كانت هذه المنطقة تفتقر الى سلطة مركزية قوية تستطيع أن تواجه الدولة البيزنطية التي مرت في ذلك الوقت بفترة من فترات الاحياء التي كانت

(٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .
— القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .
— عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٢٢ .
(٩) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

مر بها من وقت لآخر طوال حياتها الطويلة . ومن ثم كان قيام الدولة الحمدانية ـ كدولة حاجزة ـ في منطقة الجزيرة الفراتية ضرورة استدعاها ضعف الدولة العباسية في عصرها الثاني ، وعجزها عن حماية هذه المنطقة من الخطر البيزنطي .

ومن ذلك يتضح أن ظهور الحمدانيين نابعا من طبيعة المنطقة التي نشأوا فيها وحاجتها الى الدفاع الناجح في وقت انتعشت فيه الامبراطورية البيزنطية في عهد الاسرة المقدونيه ، منذ النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ، ونشطت لمهاجمة العالم الاسلامي واسترداد بلاد الشام ، أو على الاقل تدمير القوة الاسلامية في الثغور والحد من نشاطها[١٠] . فقد أصبح البيزنطيون من القوة بمكان ، ورجحت كفتهم في ميدان العمليات العسكرية ، بينما كانت كفة المسلمين تتأرجح . وكانت الخلافة العباسية تسودها الاضطرابات الداخلية . فقد تسلم باسيل المقدوني العرش في سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٧م . ونهضت هذه الاسرة وبرزت في قتال الحمدانين[١١] خاصة في عهد نقفور فوكاس (٣٥٢ ـ ٣٥٩ هـ/٩٦٣ ـ ٩٦٩م) وخلفه يوحنا تزيمكس حتى أن المنطقة الساحلية ، ومنطقة الفرات والجزيرة ، أصبحت خاضعة للسيادة البيزنطية[١٢] .

كما وأن العنصر العربي كان قد انتعش بعد ضعف العباسيين في العصر الثاني . وكان بنو حمدان عربا خلصا فيهم القوة والمنعة والعصبية. ولما وجدوا الامارات الاعجمية تنتشر في أطراف الدولة العباسية المتهاوية ،

---

(١٠) حسن أحمد محمود ، وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، الطبعة الاولى ١٩٦٦ ، ص ٤٤٢ .

(١١) ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٤ .

(١٢)
— WIET : Op. Cit., p. 191
— COMBRIDGE MEDIAEVAL HISTORY, Vol. IV, p. 69

وأدركوا تفككها وظهور الدويلات المختلفة في كافة الاطراف وتغلب عمال الاطراف على الخلافة العباسية • حتـى في المناطق التـي بقيت خاضعـة للخليفة العباسي ، رأوا أن يستغلوا هذه الظروف ، وخاصة حين لمسوا في أنفسهم القدرة الكافية لتأسيس امارة لهم • وبدأ ذلـك بقيام حمـدون الحمداني بدور هام في الحوادث السياسية التي وقعت في الموصـل سنة ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م • ولكنه اضطر الى الفرار لخلاف نشب بينه وبين الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ/٨٩٤ م من أجل قلعة ماردين • غير أن هذا الخلاف لم يلبث أن زال • ومنذ ذلك الوقت بدأت شهـرة الحمدانيين ، فاشتهر الحسين بن حمدان في حروبه مع القرامطة • ولكن خلافا حدث بينه وبين الخليفة العباسي المقتدر بالله الذي أمر بسجنه • وقد ظل الحسين بـن حمدان سجينا حتى أدركته الوفاة في سنة ٣٠٦ هـ/٩١٨ م[١٣] •

ولما تولى الخليفة العباسي المكتفي بالله مقاليد الحكم عين أبا الهيجاء الحمداني[١٤] على الموصل سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٥ م[١٥] ، فأحسن السيرة في أهلها • وأمنت البلاد في عهده واستقامت[١٦] • وكان يساعده في حكمها ابنه الحسن ابتداء من سنة ٣٠٨ هـ/٩٢٠ م • وتمكـن الحسن من بسط سيطرته على الجزيرة كلها وشمالي سورية[١٧] أي ما يسمى ديار بكـر وديار ربيعة ، واحتفظ بنفوذه فيها الـى أن مات سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م ،

---

(١٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، جزء ٣ ، ص ١١٥ •

(١٤) هو ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي •
انظر : العمري : المصدر السابق ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ٧٨ •
— زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، جزء ٢ ، ص ٢٠٥ •

(١٥) Encyc of Isl : Article «HAMADANIS», Vol II., P. I, p. 247

(١٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١١ •
— مصطفى الشكعة : الشعر في ظل بني حمدان ، ص ٣٨ •

(١٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، جزء ٢ ، ص ٨٨ •

عدا فترة لاتزيد على سنتين تبدأ من سنة ٣١٨ هـ حين عزل عنها[١٨] .

وفي سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م اضطر الخليفة العباسي المتقي لله (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ/٩٤٠ — ٩٤٤ م) الى الفرار الى الموصل مع أمير الامراء ابن رائق تحت ضغط الظروف السياسية في بغداد . وقد استغل الحسن بن حمدان الفرصة وقتل ابن رائق ، ثم ذهب مع الخليفة العباسي الى بغداد، حيث منحه هناك منصب أمرة الامراء ، وخلع عليه لقب ناصر الدولة وعلى أخيه لقب سيف الدولة[١٩] .

ويمكننا أن نقول أن ناصر الدولة الحمداني ، وأخيه سيف الدولة ، قد استغلا الظروف السياسية التي كانت تمر بها الدولة العباسية ايما استغلال . فقد اتفق ناصر الدولة مع العباسيين في سنة ٣٣٢ هـ/٩٤٣ م على أن تكون البلاد من مدينة الموصل الى الشام ملكا له . وعلى الرغم من وقوع حلب في منطقته حسب هذا الاتفاق فانها بقيت تابعة للاخشيد وعليها أبو الفتح الكلابي حتى سنة ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م[٢٠] .

هذا وقد كان سيف الدولة يطمح في ولاية مستقلة يحكمها ، وصرح بذلك لاخيه ناصر الدولة ، فقال له الشام أمامك وما فيه أحد يمنعك[٢١] . وبدأ سيف الدولة يعمل على استغلال الظروف التي كانت تمر بها حلب . فقد

---

(١٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠٨ .

(١٩) الصولي : أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، نشرج هيورت ، د.ن ، مطبعة الصاوي ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ورقة ٤٤ .

— السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٨ .

— Encyc of Isl : Article « HALAB » , Vol. II., P. I., p. 230

(٢٠) هو ابو الفتح عثمان بن سعيد بن العباس بن الوليد الكلابي .
انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ص ١١١ .

(٢١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١١١ .

— سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، ص ٣٤٩ .

راسله الكلابيون ووعدوه بتسليم حلب اليه • ورأى سيف الدولة بثاقب بصره أن يستغل الخلاف القائم بين الكلابيين ، وضعف مقاومة واليها أبي الفتح ، فسار الى حلب ودخلها يوم الاثنين الثامن من ربيــع الاول سنة ٣٣٣ هـ/٣٠ اكتوبر ٩٤٤ م[٢٢] • وبدخول سيف الدولة حلب ، وقـــع الحمدانيون في عداء مع الاخشيد ، ونشبت عدة حروب بينهما[٢٣] أسفرت عن عقد اتفاق بين الطرفين على أن تبقى حلب وحمص وانطاكيـــة لسيف الـــدولة[٢٤] •

لقد كانت دولة بني حمدان في حلب مستقلة استقلالا تاما عن الدولة العباسية ، ما عدا الخطبة • وكانت الدولة العباسية راضية منهم بذلك ، لأن الحمدانيين في حلب كانوا قد كفوها مؤونة القتــال ضــد البيزنطيين وحملوا عنها لواء الدفاع عن الثغور ، واستطاعوا أن يجنبوا بلاد الشام كارثة الاحتلال البيزنطي • وقد وضح سيف الدولة موقفه من البيزنطيين في كتابه الذي وجهه الى أهالي دمشق[٢٥] • غير أن أمــراء الحمدانيين لــم يقدر لهم أن يقفوا جميعا هذا الموقف الدفاعي الصلب ضــد البيزنطيين ، وذلك لما حل بهم من ضعف بعد وفــاة سيف الدولة • حتــى أن المنطقة الساحلية ومنطقة الفرات والجزيرة خضعت في تلك الفترة للبيزنطيين[٢٦] •

---

(٢٢) ابن ظافر الازدي : مخطوطة الدول المنقطعة ، ورقة ٤ .

(٢٣) رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، ص ٤٠٣ ــ ٤٠٤ .

(٢٤) انظر فيما سبق ، مقدمة الباب الاول ، ص ٢٤ ــ ٢٦

(٢٥) عن كتاب سيف الدولة الى أهالي دمشـــق ، انظر فيصل جـري السامر ، المرجع السابق ، ص ١٠١ .

— WIET : Op. Cit., p. 191

(٢٦) WIET : Op. Cit., p. 191

ويمكن القول أن غارة نقفور فوكاس على حلب وشمال سورية في سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م حددت بداية نهاية تاريخ الحمدانيين الذي لا يعدو أن يكون في الفترة التالية صراعا ضد البيزنطيين ، وضد القبائل العربية ، وضد الفاطميين(٢٧) .

وعلى الرغم من ضعف الحمدانيين في هذه الفترة الأخيرة من حكمهم فقد تصدوا لرد محاولات الفاطميين المتتالية احتلال مدينة حلب . وفي هذا الصراع بينهم وبين الفاطميين لم يجدوا مفرا من الاستنجاد بالبيزنطيين ، كما حدث في أيام أبي المعالي سعد الدولة ، وفي عهد خلفه(٢٨) .

أما بنو حمدان في الموصل فقد كانوا خاضعين للعباسيين يدفعـون اليهم جزية سنوية . وكلما قصر هؤلاء في دفعها تعرضوا لغارات البويهيين ، كما حدث في عهد معز الدولة البويهي الـذي قصد ناصر الـدولة سـنة ٣٣٧ هـ/٩٤٨ م ، وقاتله الى ان استقر الصلح بينهما على أن يؤدي ناصر الدولة عن الموصل وديار الجزيرة كلهـا والشام كـل سنـة ثمانية آلاف درهـم(٢٩) .

---

(٢٧) SAUVAGET : Alep., Paris 1941, p. 88

(٢٨) LANE POOLE : Egypt in the Middle Ages., p. 159

(٢٩) بيبرس الدوادار : مخطوطة زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، مجلد ٦ ، ورقـة ١٧٥ .

علاقات الفاطميين مع الحمدانيين عامة

إن علاقات الحمدانيين بالفاطميين كانت أصلا علاقات عداء ، على الرغم من أن الحمدانيين قد غلب عليهم التشيع[1] . ولكن هذا لم يمنع من قيام علاقات ودية بين أمرائهم بالموصل وحلب من جهة والفاطميين من جهة أخرى من وقت لآخر . وسيبرز ذلك بشكل واضح حين بحث العلاقات بين الطرفين .

ويمهنا قبل أن نبدأ معالجة العلاقات بين الحمدانيين والفاطميين أن نستعرض الدلائل التي تثبت صحة ما يقال عن تشيع الحمدانيين . وهذه الدلائل هي : —

١ — ان من آثارهم التي وصلت الينا درهم لناصر الدولة الحمداني كتب على أحد وجهيه :

لا إله إلا الله

المطيع لله

ناصر الدولة

---

(١) القرماني : اخبار الدول وآثار الاول ، طبعة بغداد ١٢٨٢ ، ص ٢٦٧

وعلى الوجه الآخر[2]

محمد

رسـول الله

علـي ولـي

اللـه

وفي سنة ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م عندما زوج سيف الدولة ابنته ست الناس لابي تغلب الحمداني ، وزوج ابنيه أبا المكارم وأبا المعالي بابنتي ناصر الدولة ضرب لهذا الحادث دنانير كتب على أحد وجهيها :

لا إلـه إلا الله

محمـد رسول الله

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

فاطمـة الزهـراء

الحسن والحسين

جبريل عليهم السلام

وعلى الوجه الآخر[3]

أمـير المؤمنين

المطيع لله

الامـيران الفاضلان

ناصر الدولة وسيف الدولـة

الامـيران أبو تغلب وأبو المكارم

---

(٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، ص ٧٤ .

(٣) ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ، ورقة ٩ .

٢ ـ أن سيف الدولة عثر في حلب على قبر للمحسن بن علي بن الحسين فابتنى له مشهدا وكتب عليه (عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء لوجه الله وقربة اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الامير الاجل سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان)[٤] .

٣ ـ ان تشيع الحمدانيين يظهر واضحا من القصيدة التي بكى فيها أبو فراس[٥] مقتل الحسين . ففي هذه القصيدة يقول :

تبا لقوم تابعوا أهواءهم ... فيما يسوءهم غدا عقباه
أتراهم لم يسمعوا ما خصه ... منه النبي من المقال أباه ؟
إذ قال يوم « غدير خم » معلنا ... من كنت مولاه فهذا مولاه
هذي وصيته إليكم فافهموا ... يا من يقول بأن ما أوصاه
أظننتم أن تقتلوا أولاده ... ويظلكم يوم الهدى بسواه
أهوى الذي يهوى النبي وآله ... أبدا وأثنا كل من يثناه[٦]

---

(٤) CANARD : Op. Cit., p. 656 — 657
— SAUVAGET : Les Perles Chaisies » — D'Ibn Ach — Chihna, Tom I., Beyrouth 1933, p. 85 — 88

(٥) برع ابو فراس الحمداني في كل فضل ، كان خلقه فاضلا مع حس باطني وفروسية تامة وشجاعة كاملة وكرم ، لانه نشأ في تربية سيف الدولة ، وأخذ اخلاقه وتأدب بآدابه مع ملاحة خط وترسل وشعر في غاية الجودة ، وديوانه كبير ، الا أنه قبيل موته اختاره فنفى منه شيئا كثيرا ونسخه في نسخة تداولها الناس ، ومات وما بلغ الاربعين قتلا ، وقد قتله قرعوية .

— انظر التنوخي : جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، جزء ١ ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٦) ديوان ابي فراس الحمداني : جمعه ونشره وعلق حواشيه ووضع فهارسه سامي الدهان ، مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٣هـ جزء ٣ ، ص ٤٢٢ — ٤٢٤ .

وفي قصيدة أخرى قال :

شافعي « أحمد » النبي ومـولا ي علي و«البنت» والسبطان
و «علي» و «باقر العلم » والصا دق ثم «الامين» ذو التبيان
و «علي» و «محمد بن علي» و «علي» والعسكري الداني
والامام «المهدي»في يوم لايد فع الا غفـران ذي الغفران[٧]

وأنشد متوسلا الى الله تعالى بآل الرسول صلى الله عليه وسلم :

لست أرجو النجاة من كل ما أخ شاه الا بـ «أحمد» و « علي »
وبنت الرسول «فاطمة» الطهـ ر و « سبطية » والامام « علـي »
والتقي النقي باقر علـم الـــ ـلـه فينا محمـد بـن علـي
وابنه «جعفر» و«موسى»ومولا نا « علي » أكـرم به مـن علي
و «أبي جعفر »سمي رسول الـ ـله ثم ابنه الـزكي « علـي »
فيهـم ارتجـى بلـوغ الاماني يوم عرضي علـى مليك علي[٨]

٤ ــ ان الرخامة التي كانت مثبتة علـى المئذنة المعـروفة بالمئـذنة المكتومة بحمص نقش عليها النقش الآتي[٩] : ــ

١ ــ بسمله سلام على آل حسين

٢ ــ الامير أبو الفوارس بكجور السيفي .

ومما يجدر ذكره هنا أن معظم أهل حلب كانوا على المذهب السني

---

(٧) الديوان السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٥ .
(٨) الديوان السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٢٧ .
(٩) COMBE, SAUVAGET, WIET : Réportoire Chronologique D'Epigraphie Arabe, T. V., (Le Caire 1934) No 1898— 1899, p. 139 — 140 .

حتى سنة ٣٥١ هـ/٩٦٢ م . غير أن التشيع غلب عليهم فيما بعد ، حين هوجمت حلب من قبل البيزنطيين ودخلوها في هذه السنة وقتلوا معظم أهلها . فاضطر سيف الدولة بعد جلاء البيزنطيين عنها الى نقل جماعة من الشيعة اليها . ثم أن السكان بدأوا يسايرون حاكمهم في مذهبه فغلب التشيع على حلب(١٠) .

وعلى الرغم من أن الحمدانيين كان التشيع وحب آل علي يغلب عليهم فقد غلب الطابع العدائي على علاقتهم بالفاطميين وذلك للاسباب الآتية :

١ ـ تشكك كل من الحمدانيين والفاطميين في الآخر ، وهذا يرجع الى أن كلا منهما كان يحاول المحافظة على مكاسبه . الحمدانيون يحافظون على امارتهم من خطر التوسع الفاطمي ، والفاطميون يهدفون الى السيطرة التامة على كل بلاد الشام . وعلى الرغم من أن الحمدانيين تظاهروا برغبتهم في مساعدة الفاطميين وعرضوا عليهم ذلك في كتاب أرسلوه الى جوهر ، الذي أرسله بدوره الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، فان المعز لدين الله لم يقبل هذا العرض لانه كان يعرف نواياهم ولا يرغب في الاعتماد عليهم . وقد كتب الى جوهر كتابا أوضح له فيه موقفه من الحمدانيين ، فقال : (وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة من بني حمدان ، وصلت اليك كتبهم يبذلون الطاعة ، ويعدون بالمسارعة في المسير اليك . فاسمع لما أذكره لك . احذر أن تبتدىء أحدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيبا أو ترغيبا . ومن كتب اليك منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك . ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه . ولا تمكن أحدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف . فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء

---

(١٠) الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، جزء ١ ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

عليها مدار العالم ، وليس لهم فيها نصيب . يتظاهرون بالـدين ، وليس لهم فيه نصيب ويتظاهـرون بالكرم وليس لواحـد منهم كـرم في الله . ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة ... فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم)[11] .

٢ ـ كانت الدولة الحمدانية تعتـرف بالسيادة للخلافـة العباسية وتخشى غضبها لقرب عساكر العباسيين من الحمدانيين . ولم تدفعها غلبة التشيع على أمرائها الى الخضوع للدولة الفاطمية والدعوة لهـا . علـى الرغم من أن الفاطميين كانوا قد فتحوا مصر ، وبدأوا بفتح بـلاد الشام . ويتضح لنا ذلك حين نعلم أن أبا تغلب بن حمدان لم يستجب لنداء القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في اقامة الدعوة الفاطمية في الموصل . فبعـد أن فتح جعفر بن فلاح الرملة ودخل طبرية أرسل الى أبي تغلب بن حمـدان داعيا يقال له أبو طالب التنوخي من أهل الرملة يطلب منه اقامة الدعـوة في الموصل . ويظهر أنه أرسل برفقته كتابا يقول له فيه (اني سائر اليـك فنقيم الدعوة) ، فقال له أبو تغلب وكان بالموصل (هذا مالا يتـم لانا في دهليز بغداد والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم مـن هـذه الديار أمكن ما ذكرتم)[12] . فانصرف الرسول من عنده دون أن يستطيع اقناعه باقامة الدعوة الفاطمية . ولا ندري كيف تصرف جعفر بن فلاح بعد أن علم برفض أبي تغلب لما أبداه من رأي . وكل ما نعرفه أن سوء التفاهم هذا الذي نتج عن اختلاف الآراء بين جعفر بن فلاح وأبي تغلب الحمداني عن تحديد الوقت الافضل لاقامة الدعوة للفاطميين في الموصـل قد أثر في

---

(١١) المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ، ص ١٦٥ .
ـ المقريزي اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلـى للشؤون الاسلاميـة ص ٩٨ ؛
(١٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٨٧ .

زيادة العلاقات العدائية بين الطرفين •

٣ ـ ان الدولة الحمدانية (في منطقة الجزيرة وأعالي الشام) كانت تتمتع بمركز استراتيجي هام بين العباسيين والفاطميين • وهـذه الميـزة الاستراتيجية حرص الحمدانيون على استغلالها للدفاع عن امارتهم • إذ كانوا يعلمون تمام العلم أن الفاطميين إنما يعملون على السيطرة على كل بلاد الشام ، وعلى اقليم الجزيرة ، وهذا هو الذي دفع الحمدانيين الـى مساعدة القوى المناوئة للفاطميين • فبدأوا بمساعـدة القرامطة بزعامـة الحسن الاعصم ، ثم ساعدوا افتكين التركي ، وذلك ليحولوا دون نجاح الفاطميين في تحقيق أهدافهم والقضاء على الامارة الحمدانية ، والاستيلاء على كل اقليم الجزيرة[١٣] •

٤ ـ الصداقة بين الحمدانيين والقرامطة ، فقد كان الحمدانيون على وفاق مع القرامطة • وكانت هناك رسائـل متبادلة بينهما ، وأشهر هـذه الرسائل تلك الرسالة التي حررها القاضي ابن عرافة ونائبه[١٤] • ويظهر أن علاقة أبي تغلب الحمداني بالقرامطة ـ الذين أصبحوا من ألـد أعداء الفاطميين في مصر ـ هي التي منعته مـن اقامة علاقـات مباشـرة مـع الفاطميين[١٥] • وقد بدأت هذه العلاقات الطيبة بين الحمدانيين والقرامطة منذ أيام ناصر الدولة بن حمدان ، وتدعمت في عهد ابنه وخليفته أبي تغلب الذي لم يكتف بتقديم المساعدات للقـرامطة ، وانما قـدم اليهـم أيضا المساعدات العسكرية •

(١٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٤ •
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص١٤٢ •
(١٤) CANARD : Op. Cit., p. 534
(١٥) CANARD : Op. Cit., p. 678

جـ ـ علاقات الفاطميين مع الحمدانيين في الموصل

لم تظهر العلاقات العدائية بين الحمدانيين والفاطميين واضحة الا بعد أن نشب الخلاف بين القرامطة والفاطميين ، واختار الحمدانيون في الموصل جانب القرامطة وفضلوهم على الفاطميين، ومد إليهم ناصر الدولةبن حمدان، ومن بعده ابنه أبو تغلب ، يد المساعدة والمعونة [1] .

فقد أمد الحمدانيون في الموصل الحسن الاعصم ـ زعيم القرامطة ـ بالاموال مساعدة له في حروبه التي سيقوم بها ضد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله [2] . ولم تقتصر مساعدة الحمدانيين للحسن الاعصم على مده بالاموال ، بل أمدوه بالرجال [3] . وكان هذا المدد من الاخشيدية خاصة الذين لجأوا اليهم بعد فتح الشام . كما أبدى رغبته في المسير إليه بنفسه في الرسالة التي بعثها إليه يقول فيها (هذا شيء كنت أريد أن أسير أنا فيه بنفسي ،وأنت تقوم مقامي فيه ، وأنا مقيم في هذا الموضع إلى أن يرد إلي خبرك ، فان احتجت إلى مسيري سرت إليك) ثم نادى في جنوده (من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم إلى الشام فلا حجر عليه ، فليسر مع السيد الحسن بن أحمد فالعسكران واحد) . فخرج إلى عسكر الحسن الاعصم جماعة كبيرة من عسكر أبي تغلب ، وكان فيهم كثير من

---

(1) CANARD : Op. Cit., p. 678

(٢) عن العلاقة بين أبي تغلب والحسن الاعصم انظر الباب الاول ، ص ٥٦ ـ ٥٧

(٣) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

الاخشيدية ، الذين كانوا بمصر وفلسطين . وسر الحسن الاعصم واشتدت عزيمته وقويت شكيمته بذلك [٤] .

وبعد أن حصل الحسن الاعصم على هذه المعونة سار بها نحو دمشق فلما قاربها خرج إليه جعفر بن فلاح قائد الفاطميين ، مستهينا بأمره ولم يعد للامر عدته ، فانهزم هزيمة قاسية . وملك القرامطة دمشق . ثم ساروا منها الى الرملة فملكوها ايضا .

لهذا لم ينس الفاطميون لابي تغلب موقفه هذا ومساعدته لاعدائهم ، وعمله على اضعاف نفوذهم في بلاد الشام . فانتقموا منه حينما سنحت لهم الفرصة ، فكانت نهاية حياته على يدهم في فلسطين .

وقد سنحت هذه الفرصة عندما وقع الخلاف بين أبي تغلب وعضد الدولة البويهي بسبب مساعدة أبي تغلب لابن عم عضد الدولة الذي كان ينافسه ، فحقد عليه عضد الدولة . وسار نحو الموصل وملكها في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٣٦٨هـ/٣٠ يونيو ٩٧٩ م . وظن أبو تغلب أن عضد الدولة ـ كما كان يفعل مع غيره ـ يحتل المنطقة لفترة وجيزة ، ثم يجنح الى الصلح فيعود أبو تغلب الى الموصل . إلا أن عضد الدولة كان قد حسب للامور حسابها ، وقرر أن يبقى حتى يقبض على أبي تغلب .

وعلى هذا النحو لم يبق أمام أبي تغلب الا مراوغة عضد الدولة ، فتقدم إليه بطلب ضمان الموصل له ، ولكن عضد الدولة صرح له أن هذه البلاد أحب إليه من العراق . ولما عرف أبو تغلب أنه لا حيلة له في ذلك خاف على نفسه فالتجأ الى الفاطميين في بلاد الشام [٥] .

---

(٤) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ١٨٧ .
(٥) مسكوية : المصدر السابق : ص ٤٠١ .
ـ أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٢٦ .

هذا ويمكننا ان نستخلص من التجاء أبي تغلب الى الفاطميين — والعلاقة بينه وبينهم على ما أوضحنا من قبل — أنه لم يكن على وفاق مع ابن أخيه في حلب ويتضح لنا ذلك مما أورده مسكويه [٦] . إذ ذكر أن أبا تغلب بعد أن وصل إلى الرحبة ، علم بأن عضد الدولة كان قد كاتب ابن عمه سعد الدولة بن سيف الدولة ، والقبائل الموجودة في البادية مثل بني كلاب وغيرهم ، أن يقفوا في وجهه ويمنعوه من التقدم . ويقبضوا عليه ، مما أدى الى ارتباكه في المسير ، واضطر الى التوغل في البراري خوفا بعد أن خاب أمله في الالتجاء إلى ابن عمه . وأصابه نتيجة لذلك مشقة عظيمة ، حتى وصل الى دمشق .

وما أن وصل إلى دمشق حتى اعترضته مشاكل أخرى ، إذ كان قسام الحارثي [٧] مستوليا عليها [٨] . وكان أبو تغلب يطمع في أن يوليه الخليفة العزيز بالله أمورها . فكتب أبو تغلب الى العزيز بالله طالبا منه ولاية دمشق ، ولكن العزيز بالله طلب منه الحضور الى القاهرة لينفذ له رغبته . ولما كان أبو تغلب لا يثق بالعزيز بعد مواقفه العدائية للفاطميين مع القرامطة وافتكين ، ويخشى أن يغدر به فلم يحضر إليه [٩] .

---

(٦) مسكوية : المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٧) عن قسام الحارثي — انظر فيما سبق الباب الثاني . ص ٩٩ حاشية ٣٧

(٨) مسكوية : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٤٠١ .

— يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٠٢ .

— ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص ١٥ .

(٩) مسكوية : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٠١ .

— بينما يذكر الدواداري (المصدر السابق ، ص ١٩١) بأنه ورد اليه جواب كتابه الى العزيز بما يحب ، بينما كتب العزيز الى قسام أن يمنع ابا تغلب من البلد .

وسار أبو تغلب حتى وصل دمشق ، ولما أراد دخولها منعه قسام من ذلك . ويبدو أن قساما كان يعمل برأي الخليفة الفاطمي العزيز بالله . فارتأى أبو تغلب أن يطلب من عامل الخراج في دمشق أن يمكن أصحابه من شراء ما يحتاجون إليه من أسواق دمشق ، فاذن لهم قسام بذلك ، ودخل أصحاب أبي تغلب الى دمشق يشترون ما يحتاجون إليه من أسواقها . وكان أبو تغلب يأمل أن يتغير موقف العزيز بالله تجاهه خلال تلك الفترة . ولكن قساما لمس ذلك منه ، ووقف منه موقف الحذر ، لا سيما وأن الوشاة ، وشوا إليه بذلك [١٠] .

وصدق حدس قسام اذ أن رجلا من الاعاجم من أصحاب أبي تغلب ـ الذين دخلوا الى دمشق ـ وكان نشوانا جرد سيفه وقال : (الى كم يكون هذا العيار) . فغضب قسام من هذا ، وخاف أن يكون لابي تغلب يد في هذا الامر ، وأنه إنما يعمل على ادخال جنوده إلى دمشق للابتياع حتى يستولي عليها . فساءت العلاقة بينهما وأمر قسام رجاله بأن يقبضوا على كل من يدخل المدينة من أصحاب أبي تغلب . فقبضوا على سبعين منهم قتل بعضهم . وفر باقي أصحابه وهم عراة أخذت منهم ثيابهم ودوابهم ، ولم يستطع أبو تغلب أن ينتقم لجنوده من قسام [١١] .

وعلى ما يبدو أن قساما كان يتصرف برأي الخليفة العزيز بالله ، وكان يرسل إليه كل ما يجري بينه وبين أبي تغلب . فقد أرسل قسام عقب هذه الحادثة إلى الخليفة العزيز بالله يوضح له أن أبا تغلب حاصر البلد ، ومد يده في الاعمال ، وأظهر أنه في حالة حرب معه [١٢] .

---

(١٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢١ .
(١١) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٢ .
(١٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

وكان عند أبي تغلب شيء من الامل في عطف العزيز بالله ، فكتب إليه بما حدث له مع قسام موضحا له فعله بجنوده داخل دمشق . فلما قرأ ابن كلس كتاب أبي تغلب هذا ، أطلع الخليفة العزيز بالله عليه ، وقال له : (إن هذا الرجل إن تمكن عظم شره ، والصواب أن نعمل في هلاكه) . فما كان من ابن كلس الا أن أيد قساما في موقفه من أبي تغلب وحرضه عليه ، وأشار على قسام في العمل على منع أبي تغلب من دخول دمشق ، محذرا إياه وموضحا أن أبا تغلب إن تمكن من دخول دمشق ، فسيعمل على التخلص منه وأخذها .

وبعد أن رأى أبو تغلب أنه لم ينجح في مساعيه ، اضطر إلى الرحيل إلى طبرية [١٣] ، واجتمع فيها بقائد الفاطميين المسمى الفضل بن صالح . وكان الفضل قد جاء في عسكر كثير للتخلص من أبي تغلب والعمل في هلاكه ، ورأى أن يتعاون مع مفرج بن دغفل بن الجراح لتحقيق ذلك ، فأعطاه سجلا بولاية الرملة . وحرضه على أبي تغلب قائلا له : (إن هذا أبا تغلب يريد أن يسير إلى الرملة فيأخذها بسيفه وأنا معين لك عليه) [١٤] .

ولم يظهر الفضل بن صالح نواياه أمام أبي تغلب بل ادعى أمامه أنه جاء لاسترجاع دمشق من قسام الحارثي . والحقيقة أن حكومة القاهرة لم تكن مهتمة بقسام بقدر اهتمامها بأبي تغلب ، ولكن الفضل بن صالح رأى أن يعمل على تحييد أبي تغلب ، ويتقي خطر انضمامه إلى قسام ، ويكسبه إلى جانبه . وطمأنه بأن العزيز سينفذ له كل ما طلب . وفي نفس الوقت

---

١٣ — WIET : Op. Cit., p. 192

(١٤) الدواداري : الدرة المضيئة ، ص ١٩٣ .

استغل عداء حصل بين أبي تغلب وبين مفرج بن دغفل بن جراح زعيم بني طيء ، فعرض على أبي تغلب ولاية الرملة (١٥) .

ولما أطمأن أبو تغلب الى الفضل طلب منه أن يرافقه الى دمشق ، لكن الفضل رفض هذا العرض محتجا بالفتنة التي جرت بين أصحاب أبي تغلب وأصحاب قسام الحارثي . وأوضح له أن غايته أخذ دمشق سلما من قسام ، وأن الاخير إذا رأى أبا تغلب منه لن يسلم له دمشق دون قتال (١٦) .

أما مفرج بن دغفل بن الجراح فكان قد استولى على الرملة . وسيطر على فلسطين . وتمكن في المنطقة . وأراد أن يسير الى أحياء بني عقيل في الشام ليخرجها منها ، فاجتمع بنو عقيل الى أبي تغلب وطلبوا منه المساعدة والنصرة ، بينما راسله مفرج بن دغفل محذراً إياه من نصرتهم . فارتأى أبو تغلب أن يتوسط بين الطرفين المتنازعين ، ويسأل العزيز الحكم فيهما ، فرضي الطرفان بذلك (١٧) .

ويظهر أن أبا تغلب كان يثق في مساعدة الفضل الذي أقنعه بأن ولاية الرملة ستكون له ، وأخرج له بذلك سجلا . ووعده بالمساعدة اذا وقعت الحرب بينه وبين آل الجراح (١٨) .

---

(١٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٩٢ ــ الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٣ وانظر فيماسبق ، ص ١٠٠ ــ ١٠١

WIET : Op. Cit., p. 194

ــ يقال أن أبا تغلب كان يرفض في أول الامر ان يجلس مع الفضل على سرير واحد لانه يهوديا ثم اسلم ، وكان حديث العهد بالاسلام .

(١٦) مسكوية : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٤٠٢ .

راجع الباب الثاني « آل الجراح » ، ص ٩٩ ــ ١٠١

(١٧) مسكوية : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٤٠٢ .

(١٨) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

ويبدو أن أبا تغلب لم يكن رجلا سياسيا حاذقا ، فصدق مزاعم القائد الفاطمي الفضل بن صالح ، ووثق من أنه سيقدم له المساعدات التي وعده بها إذا ما نشبت حرب بينه وبين ابن الجراح .وفي نفس الوقت كان الفضل يحيك مع مفرج بن دغفل بن الجراح مؤامره للتخلص من أبي تغلب وأطماعه .

وأراد أبو تغلب أن يستغل هذه الفرصة ، فنزل بجوار بني عقيل مدعيا أنه قام بذلك ليكون مانعا لهم عن المسير والابتداء بالحرب . وانضم إليه بنو عقيل بقيادة شبل بن معروف العقيلي ، وزود أبو تغلب جنوده من الاهراء التي كانت بجوار حوران والبثنية [19] ، ومن ثم فانه سار من طبرية الى الرملة في المحرم من سنة ٣٦٩هـ/أغسطس ٩٧٩م [20] ، فهرب ابن الجراح منها ، ولكنه ما لبث أن عاود القتال ثانية ، واشتدت الحرب بينهما . وقد كان كل من الطرفين المتنازعين في انتظار معونة الفضل [21] .

وتنفيذا للخطة المرسومة تظاهر جماعة من جنود الفاطميين بالانضمام إلى صفوف أبي تغلب ، فاطمأن بذلك وظن ــ عندما رأى الفضل بن صالح ينضم لخصمه ابن الجراح ــ أن ذلك تتمة للخطة ، ولم يكترث بذلك . ولكن ظنه خاب حين شعر بأن ذلك كان مكيدة مدبرة ، وأن جيش الفضل بدأ يضرب قواته [22] . وعندما رأى بنو عقيل كثرة الجمع فروا ، ولم يبق مع أبي تغلب إلا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه [23] . فلم

---

(١٩) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
(٢٠) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ص ٣٣٢ .
(٢١) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
(٢٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
(٢٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جزء ٧ ، ص ٩٨ .
ــ سبط بن الجوزي : المصدرالسابق ، حوادث سنة ٦٣٩ ، ورقة ١٠٤

يستطع الصمود طويلا ، ومن ثم فقد انهزم وأخذ أسيرا الى مفرج بن دغفل ابن الجراح .

وكان الفضل بن صالح يريد أن يأخذ أبا تغلب أسيرا الى العزيز بالله يسلمه له في مصر . ولكن مفرج بن دغفل كان يخاف حلم العزيز وخشي أن يصطنعه كما فعل بافتكين ويجعله عنده ، فرأى أن يقتله ويتخلص منه[٢٤] قبل أن يتمكن الفضل من أخـذه . فقتله في مدينة الرملة سـنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م [٢٥] . وقد لامه الفضل على ذلك واكتفى بأخذ رأسـه وحمله الى مصر للعزيز الفاطمي .

وهكذا يمكننا أن نقول أن أبا تغلب قد نال جزاء مساعدته للقرامطة ووقوفه ضد الدولة الفاطمية .

---

(٢٤) أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ص ١٢٧
(٢٥) محمد كرد علي : خطط الشام ، ص ٢٣٤ .

د ـ علاقات الفاطميين مع الحمدانيين في حلب

ـ في عهد سيف الدولة :

اتسمت العلاقات بين الفاطميين والحمدانيين في عهد سيف الدولة بالعداء ، فقد كان سيف الدولة يخشى ازدياد نفوذ الفاطميين السياسي ومحاولاتهم المستمرة للسيطرة على مصر ، وأطماعهم التي تتعدى مصر الى بلاد الشام ، لان في ذلك تهديدا لسلطانه .

وقد أوجد ذلك نوعا من التقارب بينه وبين القرامطة ، الذين طلبوا منه أن يهديهم حديدا لاستعماله في صنع الاسلحة فأرسل اليهم كميات كثيرة منه . وقد أرسل لهم الحديد عن طريق نهر الفرات ، ثم حمل برا الى هجر[1] .

ومما يؤكد وجود هذا العداء بين الطرفين في أيام سيف الدولة الحمداني . ما تذكره المصادر العربية من أن المعز لدين الله الفاطمي ، وجه اللوم الى سيف الدولة الحمداني لتخاذله أمام البيزنطيين وانهزامه بعد أن ترك مدينته حلب مفتوحة أمام نقفور فوكاس الذي غزا الشام في سنة ٣٥١ هـ/٩٦٢ م[2] . وقد قام نقفور فوكاس بأعمال وحشية في حلب ، وجعل هذه المدينة الزاهرة حطاما الى وقت طويل لشدة ما فعله فيها من

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٤ .
ـ فيصل جريء السامر : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
(٢) ابو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٠٩ .

تدمير واحراق ونهب ، حتى أنه قتل معظم سكانها أو أخذهم أسرى[٣] .

ولا يمكننا ان نطيل في علاقة سيف الدولة بالفاطميين ، لان سيف الدولة توفى سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م[٤] ، أي قبل الفتح الفاطمي لمصر والشام، ولذلك لم تتضح علاقته معهم على وجه الدقة . هذا ومن جهة أخرى فان الفترة الحاسمة في تاريخ العلاقات بين الحمدانيين والفاطميين تقع فيما بين سنتي ٣٥٩ و ٤٠٦هـ/٩٦٩ـ١٠١٥ م ،وعلى وجه التخصيص بعد وفاة المعز لدين الله الفاطمي ، وتولي العزيز بالله الخلافة[٥] .

---

(٣) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ١٢٩ .
(٤) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨٠٧ .
ـ العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٠٨ .
ـ أما القرماني (أخبار الدول وآثار الاول) ص ٢٦٦ ، وأبو الفداء : (مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١١٣) فيذكر أن سيف الدولة توفى سنة ٣٥٧هـ) .
(٥) CANARD : Op. Cit., p. 679

ــ في عهد سعد الدولة أبي المعالي :

توفى سيف الدولة الحمداني في صفر سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م ، وخلفه ابنه سعد الدولة أبو المعالي الذي بدأ الضعف في عهده يدب في جسد الدولة الحمدانية بحلب . فلم يكن حكمه مستقرا ، إذ واجهته صعوبات كثيرة في سبيل توطيد سلطته في حلب[١] . وكانت الاضطرابات والمنازعات الداخلية تذر قرنها في البلاد بسبب طمع موالي سيف الدولة في أملاكه .

فقد عصاه جند حلب بقيادة المولى قرعويه في سنة ٣٥٧هـ/٩٦٧م ، الذي عمل على كسب ثقة الاهالي والجند . وجدد القلعة وحصنها وعمر أسوار المدينة وقواها . وبعد أن ضمن ولاء الاهالي والجند له ، بدأ في العمل على التخلص من سعد الدولة واخراجه من حلب مستغلا حصار البيزنطيين لها في محرم سنة ٣٥٨ هـ / ديسمبر ٩٦٨م[٢] . فنصحه بالخروج من حلب خشية سقوطه في أيدي البيزنطيين [٣] .

وما أن خرج سعد الدولة من حلب حتى قطع قرعويه الدعاء له واستبد بأمورها وبدأت منذ هذه اللحظة فترة مضطربة في تاريخ حلب . ويكفي لابراز مدى اضطراب تاريخ حلب في هذه الفترة أنها كانت تتأرجح في ولائها بين البيزنطيين والعباسيين والفاطميين . ولهذا اختلف المؤرخون

---

(١) محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق،ص٧٧ .

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٦١ .

(٣) CANARD : Op. Cit., p. 674

ولكنه يذكر خروج سعد الدولة من حلب سنة ٣٥٧هـ والصحيح ما جاء في المتن .

في تحديد مدة ولاء الحمدانيين بحلب لكل قوة من هذه القوى ، إذ أنهم كثيرا ما كانوا يسيرون على الولاء المزدوج . فتارة كان ولاؤهم للعباسيين والفاطميين[٤] وتارة، أخرى كان ولاؤهم للبيزنطيين . كما حدث منذ سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م مع احتفاظهم في نفس الوقت بولائهم لاحدى القوتين الاسلاميتين ، فاطميين كانوا أم عباسيين . حسب طبيعة الاحوال .

ويقال أنه في سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م تم الصلح بين قرعوية وسعد الدولة وأنهما اتجها نحو الخلافة الفاطمية ، وخطبا في المناطق التابعة لهما للخليفة المعز لدين الله [٥] . وأرسل جوهر اليها مقابل ذلك الاموال والخلع من مصر [٦] . وهذا يعني أن بني حمدان في هذه الفترة أسرعوا في نزع أيديهم من العباسيين ووضعوها في أيدي الفاطميين . وعلى الرغم من هذا الصلح بين قرعويه وسعد الدولة فان سعد الدولة لم يعد الى حلب ، ولا ندري سببا لذلك . إلا أنه يمكننا القول أنه لم يكن لديه القدرة الكافية على دخولها ، وخاصة وأن قرعويه أصبح مؤيدا في حكم حلب من الدولة البيزنطية .

هذا وعلى الرغم من أن سعد الدولة وقرعويه قد خطبا للمعز منذ سنة ٣٦٠هـ إلا أن الدولة الفاطمية لم تكن تثق بهما . إذ كانت تخشى في هذه الفترة أن يثير هؤلاء قبائل العرب ومنهم آل الجراح ـ برئاسة زعيمهم

---

(٤) CANARD : Op. Cit., p. 680

(٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٠ .

ـ أبن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٥٨ .

ـ اما العيني (المصدر السابق ، مجلد ١٩ ، جزء ٣ ورقة ٢٤٤) وأبو الفداء (مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١١٧) فيذكران أن الخطبة أقيمت سنة ٣٥٩هـ .

(٦) CANARD : Op. Cit., p. 679

مفرج بن دغفل ـ عليها ، وخاصة وأن الدولة الفاطمية كانت تفكـر في الاعتماد عليه وعلى ابنه في إعادة الهدوء إلى بلاد الشام الجنوبية . هذا الى جانب أن الحمدانيين كانوا يغرون القرامطـة بقتـال الفاطميين بـل إنهم طلبوا مساعدات مـن البويهيين ليثوروا ضد الفاطميين وقـد أمـد البويهيون الحمدانيين بمساعدات مادية وعينية [٧] .

ثم أن الامر لم يدم طويلا لقرعويه . فقد استناب في حكم حلب مولاه بكجور ، فقوي هذا واستفحل أمره وقبض على مولاه قرعوية وحبسه في قلعة حلب وأصبح هو المتغلب عليها [٨] منذ سـنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م [٩] . ويظهر أن أبا المعالي تمكن في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م من العودة الى حلب ، وأرسل اليه الخليفة الفاطمي المعز لدين الله مبعوثا من قبله في ربيع الاول من هذه السنة ، الموافق ديسمبر سنة ٩٧٣ م يهنئه بدخول حلب [١٠] .

لكن أبا المعالي لم يستقر في حلب طويلا ، بل اضطر لتركها ثانيـة لبكجور . ويبدو أن أبا المعالي تضايق من بقائه بعيدا عن عاصمة ملكـه ورأى أن يستعين بالخلافة العباسية عسى أن تساعده في ذلك ، فسافر إلى بغداد واستقبله هناك البويهيون أحسن استقبال ، وحضر إليه خادم وسفير

---

(٧) CANARD : Op. Cit., p. 678 — 679 ولمزيد من التفاصيل انظر الباب الثاني (آل الجراح) ص ٧٦ .

(٨) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٦١ .

ـ بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٩) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٦١ .

ـ بينما يذكر SOBRENHEIM
Encyc of Isl : Article « HAMADANIS », Vol. II., P. I., p. 248
أن بكجور تغلب على قرعوية في سنة ٣٦٤هـ .

(١٠) CANARD : Op. Cit., p. 679

من قصر الخلافة العباسية وقدما له خلع الشرف التي خلعت عليه ومنح لقب سعد الدولة • كما أن الخليفة العباسي أقره في الامارة (١١) ، على الرغم من أن أمراء الحمدانيين في حلب لم يكونوا قبل ذلك الوقت في حاجة إلى اقرار الخليفة العباسي لهم في الامارة (١٢) • ويبدو أن الخلافة العباسية لم تقره على الأمرة عن عبث وانما اشترطت عليه مقابل هذا التأييد أن يقف الى جانبها ضد ابن عمه أبي تغلب •

هذا وعلى الرغم من حصول سعدالدولةعلى هذا اللقب ،وعلى اعتراف الخلافة العباسية به ، فانه لم يكن راضيا عنها لانها لم تساعده في العودةالى عاصمة دولته حلب • غير أنه استطاع أن يعود إليها عندما استصرخه من بحلب من أصحاب قرعويه طالبين منه أن يقصدها على أن يساعدوه في تملكها (١٣) • فتوجه إليها من حمص حيث كان يقيم ـ وحاصرها مدة ثم استطاع أن يدخلها ، وأن يستولي في ربيع الثاني سنة ٣٦٧هـ/نوفمبر ٩٧٧م(١٤) على القلعة التي كان بكجور قد تحصن بها • ثم عفا عن بكجور

---

(١١) CANARD : Op. Cit., p. 677

(١٢) محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق، ص٧٥ •

(١٣) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٠١ •
ـ الداوداري : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ •
ـ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ص ٣٠١ •

(١٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ •
بينما يذكر ابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٨٥)والعيني (المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ص ٣٠٠) وابو الفداء (مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٢٣) أن أبا المعالي عاد الى حلب سنة ٣٦٦هـ •
ويذكر SOBRENHEIM : Encyc of Isl : Article « HAMADANIS », Vol. II., P. I., p. 257
انه دخل حلب سنة ٣٦٥ هـ ثم استولى على القلعة سنة ٣٦٧ هـ • ويظهر أن الخلاف بين المؤرخين حول تاريخ دخول سعد الدولة حلب ناشىء عن كونه دخل المدينة أولا ولم تخضع له القلعة الا بعد فترة تقارب سنتين كما يوضح ذلك SOBRRENHEIM

وولاه حمص [١٥] • وفيما يختص بالبيزنطيين فانه اضطر أن يقبل الهدنة التي عقدها قرعويه معهم بعد تعديلها •

وعلى الرغم من أن أبا المعالي سعد الدولة الحمداني لم يكن كأبيه سيف الدولة عقلا وتدبيرا ، وعلى الرغم من ضعف الامارة الحمدانية في عهده ، فقد استطاع أن يقف في بداية الامر في وجه الفاطميين الذين وجهوا اهتمامهم لفتح شمال الشام بعد أن فتحوا جنوبه • فقد كان الحمدانيون يخشون مطامع الدولة الفاطمية ، وكانوا يقفون باستمرار حائلا دون ازدياد نفوذ الفاطميين • وقد بدأ موقف الفاطميين يتحدد من الدولة الحمدانية منذ فترة الفتح الفاطمي لبلاد الشام حين هدد جعفر ابن فلاح الحمدانيين في حلب بالاستيلاء على بلادهم اذا لم يقيموا الدعوة الفاطمية على منابرها ، وقد أثار هذا التهديد سخط الحمدانيين فعملوا على مساعدة الثائرين على الفاطميين [١٦] •

ولم يستطع سعد الدولة الوقوف في وجه الامبراطور البيزنطي تزيمكس عندما قام بحملته على الشام سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م الذي تمكن بحملته هذه أن يقلق الفاطميين بالشام • ومهما يكن من أمر ، فان هذه الغزوة البيزنطية المفاجئة أفهمت المعز لدين الله ومن بعده العزيز بالله ضرورة القضاء على العناصر المقاومة للفاطميين في الشام ، حتى يتمكن من منع عدو الاسلام الاول من العودة إلى هذه المنطقة •

هذا على أن سعد الدولة بعد دخوله الى عاصمة ملكه حلب في سنة

---

(١٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٢ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٨٥ .
— الياس يوسف الديس : المرجع السابق ، ص ٣٩٣ .
(١٦) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٤ .

٣٦٧هـ/٩٧٧م دعا للفاطميين فيها ، وغير الآذان بها وزاد فيه حي على خير العمل ، محمد وعلي خير البشر [١٧] . ولم يكتف بذلك ، بل إنه أعطى مثالا صريحا للولاء المزدوج ، فقد أرسل إلى عضد الدولة البويهي يهنئه بدخوله مدينة السلام وبذل له الطاعة والدعوة [١٨] وأقام الخطبة بحلب للطائع ولعضد الدولة ثم لسعد الدولة [١٩] . وقد عبر عضد الدولة عن رضائه عن ذلك بأن أرسل الى سعد الدولة خلعة [٢٠] .

ويجب أن لا ننسى ونحن في هذا الصدد أن نذكر أن سعد الدولة الحمداني كان قد عمل على مساعدة افتكين التركي الذي كان يقف في وجه النفوذ الفاطمي في الشام . فقد أرسل سعد الدولة بن حمدان إليه غلامه بشارة الخادم في ثلاثمائة رجل من حمص الى جوسيه [٢١] حيث كان يقيم افتكين [٢٢] . وقد اجتمع به في الفترة التي كان فيها افتكين التركي يواجه

---

(١٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٢ ولكنه لا يجزم في التاريخ بل يقول : وانه قيل أيضا في سنة ٣٦٩هـ .
— ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ يذكر أن ذلك حدث سنة ٣٦٩ .

(١٨) النويري : مخطوطة ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥١

(١٩) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٣٢٧ .
— اما يحيى بن سعيد الانطاكي (المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٩) فيذكر تاريخ الخطبة في شعبان سنة ٣٦٨هـ . وبما أن عضد الدولة دخل بغداد في سنة ٣٦٧ هـ ، فأرى أن الصحيح ما جاء في المتن .

(٢٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٢ .
— يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جز ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٢١) جوسيه تقع على مسيرة يوم من حمص على طريق دمشق وهي تابعة لحمص وتقع بين جبال سنير وجبال لبنان .
LE STRANGE : Op. Cit., p. 427

(٢٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ص ٢١٩ .

جنود ظالم بن موهوب العقيلي ، وقد أراد بشارة الخادم بأمر مــولاه أن يدعم موقف افتكين فكتب الى ظالم بن موهوب طالبــا منه عدم دخــول الاراضي التابعة للحمدانيين وعدم افسادها . ولم يتأخر ظالم عن الرد عــن تلك الرسالة موضحا أنه انما جاء لقتال افتكين التركي وابعــاده . ولكن بشارة الخادم لم يقتنع بذلك بل أجابه (هذا رجل في عملنا وإلينا قصــد ونحن ما نتخلى عنه) [٢٣] ، مما اضطر ظالم بن موهوب العقيلي الى تركه والعودة الى بعلبك .

هذا وقد أرسل سعد الدولة الى افتكين هدايا ، فســار إليه افتكين فأكرمه غاية الاكرام ، فسأله افتكين أن يوليه كفر طاب ويكون تبعا له [٢٤]، فوافق سعد الدولة . ولكنه في نفس الفترة ورد الى افتكين وفد أهالــي دمشق يطلبون منه المسير إليهم ، ففضل دمشق عن المناطق التي أخذها من سعد الدولة ، ومن أجل ذلك فقد بعث إلى ابن حمدان يقول له (إني نظرت في الذي وليتني فاذا هو لا يقوم بمن معي من الغلمان وإني أريد أن أرجع الى بغداد فقال : افعل ماتراه) فسار افتكين وكأنه يريد أن يأخــذ طريق البرية الى بغداد وأخذ نحو دمشق [٢٥] .

مما سبق يتضح لنــا أن سعد الدولة كــان يقف ازاء البيزنطيين أو

---

(٢٣) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .
(٢٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى ، ص ٢١٩ .
ـ أما الدواداري (المصدر السابق ، ص ١٦٨) فيذكر نفس الحوادث ولكنه ينسب ذلك الى أبي تغلب بن حمدان .
(٢٥) المقريزي : المصدر السابق ، نفس الطبعة ، ص ٢٢٠ .

الفاطميين أو العباسيين الموقف الذي تقتضيه مصلحته ومصلحة إمارتــه . فكان تارة يهادن البيزنطيين وتارة يدعــو للفاطميين أو للعباسيين حســبما تقتضيه الظروف.ولا شك أن هذا الولاء المزدوج أو المتأرجح بين الفاطميين والعباسيين هو الذي دفع الفاطميين الى التفكــير في القضاء على امــارة الحمدانيين بحلب [٣٦] ، إلى جانب أسباب أخرى متعددة.وهذا مماجعل العلاقات بينهما تأخذ طابعا عسكريا .

---

(٣٦) CANARD : Op. Cit., p. 679

- في عهد بكجور وسعد الدولة

سيطر بكجور على حلب نحوا من خمس أو ست سنوات [1] . إلى أن بدأ سعد الدولة الحمداني العمل على استعادتها . فحاصرها لمدة أربعة أشهر تحصن خلالها بكجور في القلعة ، ثم اتفق الطرفان على أن ينزل بكجور من القلعة ويوليه سعد الدولة حمص . وتنفيذا لذلك فقد أخلى بكجور القلعة ، ووفى له سعد الدولة بالعهد وولاه حمص [2] ، وكان دخوله القلعة في ربيع الثاني سنة ٣٦٧هـ .

وسار بكجور في حمص سيرة حسنة ، فقد اهتم بها وعمرها وأصلح مرافقها ، وعمل على حفظ الطرق وصيانتها [3] . كما أنه أحسن معاملة أهلها . ولم يكتف بذلك بل انه كان يمد دمشق بالغلات حين لمس اشتداد الغلاء فيها مما أدى إلى تحسن أحوالها [4] . وليس هذا فحسب بل ان بكجور خطب للفاطميين في منطقة حمص ، وكان يريد بذلك أن يتقرب من الدولة الفاطمية ، ويظهر نفسه أمام الخليفة العزيز بالله بمظهر المصلح . وكان

---

(١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٨ .
- الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠١ .
- العمري : المصدر السابق ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٢١ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
- محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

(٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٨ .

يطمع من وراء ذلك أن يحصل على ولاية دمشق ، وخاصة وأنه كان يتوقع صداما قريبا مع سعد الدولة الحمداني •

وبالاضافة الى ذلك فان بكجور كان يكاتب العزيز بالله وتصله أجوبة على كتبه [٥] • وقد عمل بتصرفه هذا على اكتساب ثقة الفاطميين والخليفة العزيز بالله بالذات • هذا وكان بكجور يتطلع الى الاستيلاء على حلب ، فما أن وقع خلاف بينه وبين سعد الدولة حتى تقدم بكجور بكتاب الى العزيز بالله ، يطلب فيه معونة عسكرية ليأخذ له حلب [٦] •

ولا شك أن هذه الفكرة وجدت هوى في نفس العزيز بالله الذي أرسل جيشا الى بكجور ليساعده في تنفيذ ما وعد به • وكان هذا أول تدخل عسكري من جانب الفاطميين في شؤون الحمدانيين • وسار بكجور على رأس هذا الجيش مع أنصاره وأعداد كبيرة من بني كلاب حتى نزل حلب •

وفي أثناء حصار بكجور حلب بجيوش الفاطميين سار الامبراطور البيزنطي برداس فوكاس إلى حلب [٧] ، وفي نيته أن يفاجيء الجيوش الفاطمية بمجيئه • فقد كانت حلب في هدنة مع الروم منذ أن عقد حكامها اتفاقية صفر ٣٥٩هـ/ديسمبر ٩٦٩م والتي تمت بين قرعويه ، ونائب الامبراطور البيزنطي • وبمقتضى هذه الهدنة أصبحت حلب خاضعة للنفوذ

---

(٥) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٠١ •
(٦) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ص ٤١٢ •
WIET : Op. Cit., p. 193 — 194
(٧) WIET : Ibid., p. 193 يذكر الاسم PARDAS PHOCAS
— بينما يرد الاسم في يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق • جزء ٢ ، ص ٤٠٧ — ٤١٣ برذس الفقاس •

السياسي البيزنطي [٨] .

ولا يذكر المؤرخون أسباب مجيء الامبراطور البيزنطي برداس فوكاس المفاجيء إلى حلب . ويمكن أن يكون مجيئه لاحدى الاسباب الثلاث الآتية :

١ ـ أن يكون سعد الدولة الحمداني هو الذي استنجد به ، وطلب منه مساعدته ضد جيوش بكجور والفاطميين ، مما اضطره مقابل ذلك أن يحمل إلى الامبراطور البيزنطي مال سنتين وقدره أربعين ألف دينار .وعلى هذا النحو تمكن سعد الدولة من إجبار بكجور والفاطميين على فك الحصار عن حلب ، وأكثر من ذلك فان الامبراطور البيزنطي تتبع بكجور الى منطقته حمص وأحرقها وخربها [٩] .

٢ ـ ان يكون برداس فوكاس قد جاء الى حلب تنفيذاً لاحد بنود المعاهدة المعقودة بين الطرفين والتي كان سعد الدولة قد وافق عليها بعد عودته الى حلب . وكانت هذه المعاهدة لا تزال سارية المفعول حتى مجيء البيزنطيين إلى حلب في شهر جمادي الاولى ٣٧١هـ/ نوفمبر ٩٨١م . هذا وقد استغل البيزنطيون مساعدتهم لسعد الدولة وطالبوه بمال الهدنة ، كما عملوا على تدعيم المعاهدة وتأكيدها . واستقر الرأي على أن يحمل سعد الدولة الى البيزنطيين في كل سنة أربعمائة ألف درهم فضة نقية، تصرف كل عشرين درهم بدينار [١٠] .

(٨) CANARD : Op. Cit., p. 832 — 833

(٩) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤١٣ .

(١٠) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٠٧ .

٣ ـ أن البيزنطيين بقيادة امبراطورهم برداس فوكاس قد خافوا أن يمتد النفوذ الفاطمي الى حلب ، وهم الذين حاولوا مرارا الوقوف في وجهه ، وعملوا بكل ما أوتوا من قوة على ابعاده ، لانهم أدركوا أن معنى حصار بكجور حلب بجيوش الفاطميين هو دخول هذه المنطقة الخاضعة لنفوذهم السياسي ضمن النفوذ الفاطمي • وكانت سياسة البيزنطيين في تلك الفترة تقوم على تنصيب ولاة من أهالي البلاد على المناطق التي يحتلونها من بلاد الشام ، يسيرون وفق إرادتهم ويرضى عنهم السكان • وذلك ليضمنوا خضوع المنطقة لنفوذهم ، دون إثارة مشاكل أخرى جانبية كما حدث سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م حين وافق الامبراطور تزيمكس على تسليم دمشق لافتكين التركي الذي خرج إليه وأعلن خضوعه ، وقبل ما قرره البيزنطيون عليه •

ومهما يكن من أمر فان برداس فوكاس بقدومه الى حلب استطاع أن يحبط أول محاولة فاطمية للاستيلاء على حلب • فقد كان مع جيش البيزنطيين الذي جاء إلى حلب مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، الذي كتب إلى بكجور محذرا إياه من مجيء البيزنطيين لصده [١١] • وكان ابن الجراح قد فر في سنة ٣٧١هـ/٩٨١م أمام قائد الفاطميين يلتكين والتجأ إلى الروم البيزنطيين [١٢] ، فارتحل بكجور عنها مسرعا نحو حمص • وقد قدر بكجور أن البيزنطيين سيتبعونه إليها ، وانه بامكانهم دخولها • كما كان يخشى أن يستولوا على أمواله فنقلها الى بعلبك ، ومن ثم رحل

---

(١١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٩ •
ـ الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢١٠ •
ـ النويري : مخطوطة ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥١ •

(١٢) النويري : مخطوطة ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥١
انظر ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨١ ، حاشية رقم ٤ •
ـ انظر الباب الثاني : ص ١٠٣ ـ ١٠٤

الى جوسية [١٣] وترك حمص مفتوحة لجنود البيزنطيين الذين دخلوها وخربوها في يوم الثلاثاء ١٩ جمادى الاولى سنة ٣٧٣هـ/٢٠ اكتوبر ٩٨٣م [١٤] . وما أن غادر البيزنطيون حمص حتى عاد اليها بكجور ودخلها . وعلى هذا النحو فان النزاع بين بكجور وسعد الدولة هو في حقيقة الامر نزاع بين الفاطميين والبيزنطيين ، اذ كان كل منهما ينازع الآخر على اقتسام مناطق النفوذ في بلاد الشام .

وهكذا استطاع بكجور أن يكسب عطف الدولة الفاطمية وثقتها . فقد ظهر بمظهر الخادم المطيع لها ، الحريص على مصلحتها ، والمتفاني في خدمتها وحمايتها ، والساعي إلى اخضاع مناطق الشام الشمالية لنفوذها . وقد بدأ الفاطميون منذ هذه الفترة يستعينون ببكجور ويقدمون له المساعدات أكثر فأكثر على أمل مساعدتهم في فتح حلب والقضاء على سعد الدولة ، وخاصة بعد أن ظهر للعيان تواطؤه مع البيزنطيين واستعدادهم لحمايته ليستطيع أن يقف على قدميه في وجه الفاطميين وبكجور .

وفي هذه الظروف السياسية تقدم بكجور بطلب ولاية دمشق من الخليفة العزيز بالله [١٥] . وكانت قد بلغت به مصانعة الفاطميين بأن اعتبر نفسه نائبا عنهم في ولاية حمص ، وأرسل لهم الجزية عنها . فأجابه الخليفة العزيز بالله موافقا على ذلك قائلا له : (تصير إلى بابنا لنوليك دمشق) . وتنفيذا لهذا الامر فقد أرسل العزيز بالله الى واليه على دمشق « يلتكين » أن يسلم دمشق الى بكجور [١٦] الذي تمكن من دخولها في يوم السبت

---

(١٣) انظر فيما سبق ص ٢٠١ حاشية ٢١

(١٤) الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢١١ .

(١٥) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ مجلد ٣ ، ورقة ٤٢٢ .

CANARD : Op. Cit., p. 684

(١٦) العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٢٧ .

٧ رجب سنة ٣٧٣هـ/٦ ديسمبر ٩٨٣م [١٧] .

ويجب أن لا نتصور أن بكجور حصل على ولاية دمشق بسهولة ، فقد وقف وزير الفاطميين يعقوب بن كلس حائلا دون وصول بكجور إلى هذه الولاية . ويبدو أنه لم يكن يثق به ، وأنه كان يعلم نوايا نفسه ، ولذلك فانه كتب إلى يلتكين يمنعه من تسليم دمشق الى بكجور . وكان يعقوب بن كلس قد أبدى رأيه إلى الخليفة العزيز بالله في شأن بكجور ، ولكن الخليفة العزيز بالله كان مصرا على توليته . ووقع يلتكين في حيرة من أمره بين الخليفة ووزيره . ولكن العزيز بالله عندما علم بما يجري ، وأدرك سبب تأخر يلتكين عن تسليم دمشق لبكجور ، انزعج وخاطب وزيره قائلا له : (نحن استيدعيناه لذلك ووعدناه به) فقال ابن كلس : (قد كان ذاك والحزم أن لا يولى) ، ولكن العزيز بالله أصر على توليته دمشق [١٨] .

هذا ويجب أن ندرك أن ذلك لم يكن ليخف على بكجور ، فحقد على الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس . وعمل على الوقوف في وجه وكيل ضباعه في دمشق ، واستطاع أن يتخلص منه ، فزاد ذلك في غضب الوزير الفاطمي على بكجور ، وأخبر العزيز بما كان منه : وقال له : (هذا أول عصيان بكجور ، وسوف ترى ما يكون منه) [١٩] .

وليس هذا فحسب ، بل ان بكجور أساء السيرة في دمشق ، وأخذ

---

(١٧) انظر الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢١١ — ٢١٢ .
— بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٥٦ .
— بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٢٩ .
(١٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٩ .
(١٩) الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢١٢ .
— القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، جزء ٤ ، ص١٦٤ .

يظلم الاهالي ويجور عليهم ويبطش بالناس ، ويجمع الاموال لنفسه ، ويبدو أنه كان يدرك أنه لن يبقى طويلا في ولا يته ، طالما أنه على عداوة مع الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ، فكان يسابق الزمن في الحصول على المال •

واستمر بكجور على هذا النهج مما أزعج ابن كلس وجعله يحاول التخلص منه ، فأرسل اليه من يقتله في سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م[٢٠] ولكن هذه المؤامرة لم تخف على بكجور ، واستطاع أن يكشفها ويقبض على منفذيها في دمشق ، وينزل بهم أقصى العقوبات • فقد سمــل عيونهــم وصلب بعضهم ، ولكن ذلك لم يشف غليله ، فتمادى أكثر من ذلك وعمــل على التضييق على وكلاء الوزير يعقوب بن كلس ، وأمعن في اذلالهم • وكان هؤلاء يرسلون بكتبهــم الى الوزيــر الفاطمي موضحين له حالهم مــع بكجور • هذا ويذكر بعض المؤرخين أن بكجور تطاول حتى أنه لم يعد ينفذ ما يجيئه من كتب من الخليفة الفاطمي العزيز بالله[٢١] •

أن ولاية بكجور مولى الحمدانيين على دمشق تضطرنا إلى التعرض لسياسة مصر الداخلية، فقد كان الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس معارضا لولاية بكجور على دمشق ، وأدى هذا إلــى خلاف بينه وبــين الخليفة الفاطمي العزيز بالله • فغضب الخليفة عليه لفترة ، وقبض عليه وسجنــه عدة أشهر • ولكن سجن الوزير المصري أثر على الحالــة الاقتصادية في البلاد ، فارتفعت أسعار كثير من السلع والحاجات الرئيسية ، وتعرضت مصر لحالة جدب بسبب انخفاض مياه فيضان النيل • فأدى ذلك إلى قيام

---

(٢٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠ •
— الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢١٨ •
— WIET : Op. Cit., p. 194
(٢١) الدواداري : الدرة المضيئة ، جزء ٦ ، ص ٢١٩ •

بعض أهالي القاهرة بثورة على الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، فاضطر الى اخراجه من السجن(٢٢) .

ومن ثم فان الدولة الفاطمية رسمت خطة لابعاد بكجور عن دمشق . وجهزت لذلك جيشا بقيادة منير الخادم في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م(٢٣) . وخرج منير الخادم بجيش عظيم لقتال بكجور ، كما صدرت الكتب الى ولاة الاعمال بالمسير معه ومساعدته . وعمل بكجور في نفس الوقت على جمع جيوشه وحشدها . وقد استطاعت الجيوش الفاطمية أن تهزم جنود بكجور في المعركة التي جرت بينهما في داريا قرب دمشق(٢٤) .

عند ذلك شعر بكجور بضعف مركزه ، وخاف على نفسه ، فراسل منيرا الخادم على أن يسلم البلد له ويرحل عنه . ففي كتابة الذي كتبه الى كاتب منير الخادم في هذا الصدد قال له : (اني عازم على المسير من هـذا البلد ، وأريد أن أكون على عهد وامان ، وأن لا أتبع بمضرة) .واستطاع أن يحصل على ما التمسه . فأعد عدته لترك دمشق . وخوفا من أن تكون الموافقة مجرد حيلة من منير الخادم ، فقد خرج خفية من دمشق ، وسـار

---

(٢٢) WIET : Op. Cit., p. 194

(٢٣) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٢٢ .
— رزق الله منقريوس : تاريخ دول الاسلام ، ص ٣٣٥ .
— بينما يذكر العمري (المصدر السابق ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص١٢٨) . أن منيرا الخادم قد سار الى دمشق سنة ٣٧٧هـ .

(٢٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
— الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٢١ .
— العيني : المصدر السابق ، مجلد ١٩ ، جزء ٣ ، ورقة ٤٢٢ .

حتى وصل إلى الرقة في منتصف رجب سنة ٣٧٨هـ/٣٠ اكتوبر ٩٨٨[٢٥].

وعلى الرغم من أن بكجور رحل عن دمشق والتجأ إلى الرقة . فقد ظل ابن كلس يخافه ويخشى أن يعود ثانية الى دمشق فيكيد له . لذلك فقد أرسل رسولا يقول له (ما أردنا رحيلك عن البلد وإنما إنفاذنا العسكر لابعاد ابن الجراح لفساده وعناده . وما كان من ضياع فلك افعل فيها ما أحببت ، فما لنا فيه حاجة) [٢٦] . واستطاع بكجور بذلك أن يأخذ غلات دمشق في تلك السنة . وأن ينقل معه أمواله ، دون أن يعارضه أحد في ذلك .

وبعد أن استقر بكجور في الرقة رأى أن يكاتب سعد الدولة والعباسيين والفاطميين ليرى موقف هذه الاطراف الثلاثة منه ، وينضم الى الطرف الذي تتحقق له مصلحة معه . ولما لم يجد في رد الخليفة العباسي الطائع لله ما يؤثره به ، دعا للخليفة الفاطمي العزيز بالله[٢٧] .

وفي السنة التالية راسل سعد الدولة بن حمدان وطلب منه أن يعيده على ولاية حمص ، فأجابه سعد الدولة إلى ذلك رغبة منه في جمع

---

(٢٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٠ .
— بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٧ .
— WIET : Op. Cit., p. 195

(٢٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١ .
— ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ، ص ١٩ .
— الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .
(وكان ابن الجراح قد ترك الروم والتجأ الى بكجور) .

(٢٧) ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ورقة ١٩ .
— النويري : مخطوطة ، جزء ٢٤ ، ص ٥١ .

الكلمة[٢٨] ، ولما بلغ ذلك ابن كلس استاء وقال (يجاورنا بكجور وقد جاهرناه بالعداوة)[٢٩] . وعمل جاهدا على افساد خططه ، واظهاره بمظهر العاجز عن الدفاع عن حمص أمام جنود الفاطميين . فقد أرسل سرية الى حمص نهبت أصحاب بكجور ، ونتج عن ذلك فساد في العلاقات ثانية بين سعد الدولة وبكجور[٣٠] . وقد أدى ذلك ـ فيما يبدو ـ الى عدول سعد الدولة عن تسليم حمص لـه .

وعلى الرغم من فشل بكجور في الوصول إلى حمص ، فقد تطلع إلى أكثر من ذلك . فرأى أن يستغل كراهية العزيز بالله لسعد الدولة ، ليحقق أطماعه في الاستيلاء على حلب والعودة اليها ، فكاتب العزيز بالله وأوضح له أهمية حلب وكثرة خيراتها ، وأطمعه في احتلالها ، كما اوضح له أنها دهليز العراق ، وانها اذا أصبحت تابعة للفاطميين فان الحصول على غيرها ، يصبح سهلا . وطلب من الخليفة العزيز بالله المساعدة والمعونة ، فأجابه بما أراد ، وكتب إلى نزال والي طرابلس بالمسير إليه ومساعدته عندما يطلب منه ذلك[٣١] .

كان يعقوب بن كلس يريد أن يتخلص من بكجور بأية وسيلة ، ولذلك فانه لعب دورا كبيرا في اشعال نار الخصومة بين سعد الدولة

---

(٢٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، صفحة ٣١ .
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، ص١٤٤ .
(٢٩) الدواداري : المصدر السابق ، ٢٢٩ .
(٣٠) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣١ .
(٣١) ابن ظافر : المصدر السابق ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
ـ النويري : مخطوطة ، جزء ٢٤ ، ص ٥١ .
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

وبكجور ، وأطمع كلا منهما في الآخر الى درجة أن سعد الدولة الحمداني أرعز إلى بعض أصحابه أن يكتبوا إلى بكجور ويطمعوه في حلب . فأرسلوا اليه يقولون : (سر إلينا حتى نأخذ حلب ، ونحن معك على صاحبنا) (٣٢) . ولم يدرك بكجور المؤامرة وظن ذلك حقيقة ، فجمع جنوده وأراد المسير بهم الى حلب .

وتنفيذا للمراسلات التي جرت بين أصحاب سعد الدولة وبكجور . وبناء على موافقة الخليفة العزيز بالله على امداده بالمعونة . فقد طلب بكجور من نزال أن يسير إليه ليلتقيا في حلب .ولكن نزالا هذا كان يتظاهر بأنه سيتحرك بقواته ويلتقي ببكجور ومن معه على أبواب حلب . بينما كان في نفس الوقت يتآمر عليه مع الوزير المصري عيسى بن نسطورس الذي خلف ابن كلس وكان عيسى بن نسطورس على عداء شخصي مع بكجور . ومن أجل ذلك فقد أرسل إلى نزال يأمره بأن يورط بكجور في حرب مع سعد الدولة الحمداني ، ويمنيه الوعود دون أن يقدم له مساعدة . ولا ندري سبب عداء ابن نسطورس لبكجور(٣٣)، وما نعرفه أنه استطاع بعمله هذا أن يحبط خطة بكجور في الحصول على معونة الخليفة الفاطمي العزيز بالله .

ولم يستطع بكجور أن يكشف المؤامرة التي حيكت بمهارة تامة من قبل نزال والي طرابلس والوزير عيسى بن نسطورس . واعتقد بكجور أن نزالا في طريقة إليه ، معتمدا على الرسائل التي كانت تصل إليه

---

(٣٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(٣٣) يذكر ابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٥١) أن عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز . كاتب نزال يأمره بمدافعة بكجور واطماعه ويدعوه أن يتخلى عنه عندما يتورط في قصد سعد الدولة. وكان السبب ان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة .

منه يطمئنه فيها عن قرب وصوله إلى حلب . فسار بكجور في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م[٣٤] ونزل على بالس(٣٥) ، وقاتل فيها غلمان سعد الدولة ، ثم رحل عنها . وفي طريقه إلى حلب حاول أن يكاتب مماليك سعدالدولة، ويغريهم الموقوف في صفه،ويستكشف أخبار حلب منهم ثم يتوجه لحصارها.

وقد لمس سعد الدولة الحمداني أن بكجور عصاه ، وأن جيوشه في طريقها اليه ، فأرسل في طلب المساعدة من البيزنطيين [٣٦] . ولكنه رأى في نفس الوقت أن يكتب الى بكجور يذكره بالله ، ويهدده ، ويبذل له أن يقطعه من باب حمص الى الرقة ، ويدعوه الى الكف والموادعة ، ورعاية حق الرق والعبودية[٣٧] . ولم يرد أن يبدأ القتال الا بعد أن يصله جواب بكجور عن كتابه . وقد وافى رسول سعد الدولة بكجور ، فأوصل اليه الكتاب ، فلما وقف عليه قال له : (قل له الجواب ما تراه عيانا لا ما أرسل اليك كتابا [٣٨]) .

وبعد ذلك لم يبق أمام سعد الدولة الا الصدام المسلح ، ولكنه رأى أن يستعمل الى جانب ذلك الحيلة . فكاتب العرب في جيش بكجور

---

(٣٤) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جزء ١ ، ص ٣١٠

(٣٥) بالس : على مرحلتين من حلب بينها وبين الرقة . وعلى مسافة قصيرة من غربي الفرات أما الآن فهي تبعد عن الفرات أربعة أميال بعد أن غير الفرات مجراه باتجاه الشرق .

— انظر هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

— LE STRANGE : Op. Cit, p. 417

(٣٦) النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، ص ٥١ .

— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ،ص١٤٤ .

(٣٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٤ .

(٣٨) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، ص ٥١ — ٥٢ . ولكنه يذكر أن بكجور أجابه « ما تراه دون ما تسمعه »

ورغبهم في الاقطاع والعطاء الكثير إذا ما غـدروا ببكجـور وتركـوا مساعدته . ولما ابتدأت الحرب نفذ هؤلاء الخطة التي حبكوها مع سعد الدولة . ونهبوا سواد بكجور ثم استأمنوا الى سعد الدولة . فلم يعـد أمام بكجور إلا القتال ، فاستبسل ، ولكنه على الرغم من ذلك فشـل واضطر أن ينسحب بمن بقي معه . وفي الطريق عرفه بعض العرب ، فأخبر عنه سعد الدولة الحمداني ، الـذي قبض عليه وقتله في سنـة ٣٨١هـ/ ٩٩١ م[٣٩] .

على هذا الشكل تخلص سعد الدولة من بكجور ثم توجه بعدها الى الرقة ، حيث كان أولاد بكجـور وأمواله ، كما كـان فيها أبو الحسن المغربي وسلامة الرشيقي[٤٠] . فأرسل إلى الأخير طالبا منه تسليم البلد ، فوافق على ذلك واشترط للتسليم :

١ ـ أن يمنح الامان لاولاد بكجور على نفوسهم وأموالهم .

٢ ـ أن يقتصر فيما يأخذه من الرقة على آلات الحرب والعدد .

وطلب سلامة الرشيقي من سعد الدولة الحمداني أن يحلف يمينا على ذلك . فأجابه سعد الدولة ، وحلف له فسلم إليه البلد[٤١] .

ولكن ما أن رأى سعد الدولة أولاد بكجور يخرجـون بأموالهم ، حتى استعظمها واستكثرها ومالت نفسه إلى امتلاكها ، على الرغم مما سبق

---

(٣٩) العمري : المصدر السابق ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٣٣ .
ـ النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، ورقة ٥٢ .
(٤٠) بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
(٤١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٩ .
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، حوادث سنة ٣٨١ .
ـ النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥٢ .

أن أقسم عليه[٤٢] . فهون عليه القاضي ابن أبي الحصين الاستيلاء عليها[٤٣] . ولما علم أولاد بكجور بأن سعد الدولة الحمداني سينقض أمانه معهم ، كتبوا إلى الخليفة العزيز بالله يسألونه أن يشفع لهم عند سعد الدولة الحمداني ، ويسأله الكف عنهم والإبقاء عليهم ، فكتب الخليفة العزيز بالله إليه كتابا يتوعده فيه ويأمره ان يسيرهم الى مصر ويتهدده إن لم يفعل قائلا له (إنك متى خالفتنا في ذلك ، واحتججت فيه كنا الخصوم لك وجهزنا العساكر اليك[٤٤] .

وقد أنفذ الخليفة العزيز بالله كتابه هذا الى سعد الدولة الحمداني مع فائق الصقلبي أحد خواصه ، فلما قرأه سعد الدولة نادى قواده وقرأه عليهم وقال لهم (ما الرأي عندكم فيه) ؟ فقالوا (نحن عبيدك وغلمانك ، ومهما أمرتنا به وندبتنا له كانت عندنا الطاعة والمناصحة فيه[٤٥]) . فتقدم سعد الدولة عند ذلك وأحضر الرسول ، فلما مثل بين يديه ، أمر باعطائه الكتاب ولطمه وأجبره على أكله فقال له : (أنا رسول وما عرف من الملوك معاملة الرسل بمثل ذلك) . ولكنه أجبره على أكله . فلما مضغه قال له (عد إلى صاحبك وقل له ، لست ممن تخفى أخبارك عنه وتمويهاتك عليه . وما بك حاجة الى تجهيز العساكر إلي فانني سائر إليك ليكون اللقاء

---

(٤٢) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٢٣ .
(٤٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٠ .
— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٨ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٥٢ .
(٤٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٨ .
— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥٢ .
(٤٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٨ .
— ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ص ٢١ .

قريبا منك . وخبري يأتيك من الرملة[٤٦]) . ولما وصل الرسول الى العزيز بالله أخبره بما سمعه وشاهده انزعج لما حدث .

وتنفيذا لذلك فان سعد الدولة الحمداني ارسل قسما من جنوده الى حمص ، بينما أقام هو بظاهر حلب أياما يهيىء جيوشه للمسير لقتال العزيز بالله . وفي أثناء ذلك مرض ومنع عن الحركة ، ولكنه امتنع عن الراحة قائلا : (أنا بازاء وجه أريد قصده) ، وكان يقصد بذلك حربه مع الخليفة العزيز بالله . ولكنه ما لبث أن أصيب بفالج في نصفه الايمن. وتشاءم من اليمين الذي حلفه لابناء بكجور ونكث به . وبعد ثلاث ليال توفي وكان ذلك في رمضان سنة ٣٨١هـ/اكتوبر ٩٩١م ، وحمل في تابوت الى الرقة ودفن بها[٤٧] .

---

(٤٦) ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ص ٢١ .
— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، مجلد ١ ، ص ٥٢ .
— حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٥ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٤ .

(٤٧) الحافظ الذهبي : كتاب دول الإسلام ، جزء ١ ، ص ١٧٠ .
— العيني : عقد الجمان ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٢٤ .

بعد وفاة سعد الدولة الحمداني سنة ٣٨١هـ/٩٩١م ، جند لؤلؤ مولى الحمدانيين في تنصيب أبي الفضائل وأخذ البيعة له من الجند . وتراجعت العساكر التي كان قد أرسلها لقتال الفاطميين في مصر . بعد أن استأمن منها الى الخليفة العزيز بالله ثلاثمائة من غلمان سعد الدولة بعدوفاته، فأمنهم الخليفة العزيز بالله ، وأحسن اليهم وقربهم اليه . وكان منهم وفاء الصقلبي وبشارة الاخشيدي ، ورباح السيفي ، وقوم آخرون. وولى الخليفة العزيز بالله وفاء الصقلبي عكا ، وبشارة الاخشيدي طبرية، ورباحا غزة[1] .

ثم وأن أبا الحسن المغربي وزير بكجور[2] ، كاتب الخليفة الفاطمي العزيز بالله طالبا منه السماح له بالالتجاء إلى مصر ، وتم له ذلك . ولما كان ابن المغربي هذا حاقدا على الحمدانيين ، فانه استغل موت سعد

---

(١) الروذراوري أبو شجاع : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٧ .
ـ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٣٩ .
ـ ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ص ٢١ (ولكنه يذكر استئمان بشارة الخادم الاخشيدي فقط) .
ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١٧ .

(٢) كان المغربي كاتبا لسعد الدولة ، ولكن خلافا حصل بينهما ، فذهب الى بكجور في الرقة فاستوزره . وكان ممن أمنه سعد الدولة بعد دخوله الرقة ونكث . ففر الى مشهد علي بن أبي طالب ، وفر من هناك الى العزيز بالله .
انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

الدولة الحمداني ، وتولي ابنه سعيد الدولة ، فبدأ يطمع الخليفة العزيز بالله في حلب[3] ويعظم أمرها ويذكر له كثرة أموالها ، كما هون عليه الحصول عليها مشيرا عليه بارسال أحد غلمانه لفتحها[4] . فوجد ذلك هوى في نفس الخليفة الفاطمي العزيز بالله ، الذي كان يطمح في القضاء على الدولة الحمدانية والسيطرة على شمالي بلاد الشام .

وتنفيذا لذلك فقد عين الخليفة العزيز بالله غلامه منجوتكين على رأس جيش عظيم في صفر سنة ٣٨١هـ/ابريل ٩٩١م[5] . وقد بلغ من شدة اهتمام الخليفة العزيز بالله وتحمسه لهذه الحملة أن رافقها حتى منية الاصبغ .وخلع على منجوتكين ، وأعطاه أموالا كثيرة ، وبلغ ما أنفقه الخليفة العزيز بالله عليها ما يزيد على ألف ألف دينار[6] . كما أنه رفع قدر القائد ونوه بذكره ، وأمر كبار الجيش والعظماء بالترجل له ، وولاه الشام وأمره بالمسير إلى حلب ، وضم إليه أبا الحسن بن المغربي ليقوم بالامر والتدبير .

---

(٣) بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٨ .

(٤) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٧ .
— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، ص ٥٣ .

(٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٥ .
— النويري : مخطوطة نهاية الارب ، جزء ٢٤ ، ص ٥٣ .

(٦) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٨ (ويضيف ايضا الى أن العزيز خلع على منجوتكين ، وحمل اليه عشرة أحمال مال فيها مائة ألف دينار ، ومائة قطعة من الثياب الملونة على أيدي خمسة وعشرين غلاما ، وعشر قباب بأغشية ومناطق مثقلة ، وأهلة وفروش . وخمسين بند منها ثلاثة مثقل ، وعشر منجوقات ، وعشر أفراس ، قيد ذلك كله بين يديه . فأقام بمنية الاصبغ شهرين وسبعة عشر يوما يخرج اليه العزيز لمشاهدة لعب الغلمان . وينفذ اليه في كل يوم جائزة وخلعا وحملا مالا .

ولم يكتف الخليفة العزيز بالله بذلك ، بل انه رأى أن يوفر الامان لمؤخرة جيشه ، فاستمال حسان بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة إليه وخلع عليه وامره بالمسير مع منجوتكين[7] . وفي هذا الصدد يشير المؤرخ CANARD الى ما تم من اتفاق مع بني الجراح فيقول أنه في سنة ٣٨٣هـ /٩٩٣م عقدت اتفاقية عسكرية سياسية بين حكام جنوب سورية وبين الفاطميين من أجل الوقوف في وجه الحمدانيين وحلفائهم البيزنطيين[8] . كما أن منجوتكين نظم جنوده وسار في اتجاه حلب .

ويمكننا تتبع الحوادث وتقسيم حصار منجوتكين لحلب إلى ثلاث مراحل .

المرحلة الاولى تبدأ بحصار حلب في سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م[9] . فقد سارمنجوتكين من القاهرة ، وما أن وصل الى دمشق حتى تلقاه قوادها وأهلها وعساكر الشام كلها ، فأقام بها مدة ثم رحل الى حلب وبرفقته ثلاثين ألف رجل . وفي طريقه اليها فتح حمص[10] . وتحصن أبو الفضائل ولؤلؤ وراء أسوار مدينة حلب ، وأغلقا أبواب المدينة .

ولما رأى سعيد الدولة الحمداني جنود منجوتكين خاف واراد أن يصالحه . فأرسل إليه باذلا له أموالا كثيرة على أن يرحل عنه ، وعلى أن يكون في الطاعة ويقيم الدعوة ، ويضرب السكة باسم الخليفة العزيز بالله، ويكتب اسمه على البنود في سائر أعماله . فامتنع منجوتكين من قبول ذلك ، وحاصر حلب ثلاثا وثلاثين يوما حتى ضجر أهل حلب وقالوا لابن

---

(٧) ابن ميسر : أخبار مصر ، جزء ٢ ، ص ٤٨ .

(٨) CANARD : Op. Cit., p. 700

(٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .

(١٠) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٨ .

حمدان : (إما أن تدبر أمر البلد وإلا سلمناه) ، فقال لهم ـ وكان قد استنجد بالامبراطور البيزنطي ـ (عليكم بالصبر ثلاثة أيام ، فان البرجي والي انطاكية من قبل البيزنطيين ، قد سار الى نصرتي في سبع صلبان)[11] .

واستبسل سعيد الدولة الحداني ولؤلؤ في القتال ، واستظهرا على منجوتكين وكانا في انتظار معونة الامبراطور البيزنطي باسيل ، وقد أرسلا إليه حين طلبا النجدة منه يذكرانه بما كان بينهما ، وأرسلا إليه هدايا وتحفا كثيرة . وسألاه المعونة والنصرة على الفاطميين . فأرسل الامبراطور البيزنطي إلى البرجي صاحب انطاكية[12] ، يأمره بجمع عساكر البيزنطيين والمسير لمساعدة حكام حلب[13] ، والعمل على ابعاد الفاطميين عنها . فسار البرجي في خمسين ألف رجل ، ونزل بجسر الحديد[14] .

ولما علم قائد الفاطميين منجوتكين بمقدم البيزنطيين ، أراد أن يتجنب القتال على جبهتين . ولذلك راسل البرجي صاحب انطاكية ، وأوضح له أنه جاء قاصدا حلب والحمدانيين وأنه لن يتطرق إلى أي من المدن والقرى التابعة للبيزنطيين وأنه لن يسمح لجنوده بافساد شيء ، فقبض البرجي على رسول منجوتكين واعتقله[15] ، مما أدى الى استياء

---

(١١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .
(١٢) كان والي انطاكية في تلك الفترة ميخائيل البرجي الماجسطرس ـ انظر يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ص ٤٣٨ .
(١٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١ .
ـ ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .
(١٤) يقع في الشمال الشرقي من انطاكية على مسافة نصف يوم سيرا على الاقدام بين حارم وانطاكية .
ـ انظر ابن الشحنة : الدر المنتخب في مملكة حلب ، ص ٢١٧ .
(١٥) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٨ .

منجوتكين منه وعزم على قتاله والتخلص منـه قبل أن يتم مهمته مـع الحمدانيـين .

وقد حدث أثناء فترة الحصار والتي امتدت ثلاثا وثلاثين يوما عدة معارك بين الحمدانيين والفاطميين . فقد حاصر قائد الفاطميين منجوتكين مع بعض جنوده أفاميه ، واستطاع أن يهزم الحمدانيين وأن يستولي عليها في شهر ربيع الثاني سنة ٣٨٢هـ/يونيو ٩٩٢م ، وقتل وأسر جماعة مـن الحمدانيين . ثم عاد منجوتكين الى حلب ، ونزل عليها من ناحية بـاب اليهود ، ووقعت الحرب بينهما في جميع أنحاء المدينة[١٦] .

وعلى الرغم من أن الامبراطور البيزنطي باسيل أنكر ما فعله البرجي صاحب انطاكية برسول منجوتكين ، واستدعى الرسول اليه وشاهـده وخاطبه وأطلق سراحه[١٧] ، فان منجوتكين استاء كثيرا من هذا الامر ، كما أنه انزعج لمسير البرجي في اتجاه حلب ، ونزولـه على قسطون[١٨] . فاستشار أصحابه وذوي الرأي عنـده خوفا من الوقوع بـين نارين . فاجتمع رأيهم على الانصراف عن حلب وقصـد البيزنطيين لمنعهم عـن الوصول اليها . فترك حامية تحاصر حلب مع بعض أصحابه ، وهم بشارة القلعي ، وابن أبي رمادة ، ومعضاد بن ظالم[١٩] ، وانصرف مع بقيةجنده للقاء البيزنطيين . وقد تمكنت قواته من عبور نهـر العاصي ، وبذلـك أصبح الطرفان على أرض واحدة . وكان عدد قوات منجوتكين خمس

---

(١٦) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٨ .

(١٧) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٩ .

(١٨) في منطقة الروج من محافظة حلب وهي الآن خرائب .

LE STRANGE : Op. Cit., p. 490

(١٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٦ .

وثلاثون ألف مقاتل ، بينما كان عدد القوات المرافقة للبرجي يزيد على خمسين ألفا[٢٠] ، ويظهر ان قوات الفاطميين كانت تزداد أعدادها بمن ينضم اليها من أفراد القبائل من المناطق المفتوحة . وفي المعارك التي جرت بين الطرفين قتل من البيزنطيين نحو عشرة آلاف فارس[٢١] .

ولكن منجوتكين لم يقض بهذا الانتصار على قوة البيزنطيين المتوجهة الى حلب ، إذ أن قسما منهم بقيادة ابن أخت البرجي ، انحازت الى حصن عم[٢٢] . فسار منجوتكين لملاحقتهم فحاصر الحصن وفتحه بالسيف ، وأسر ابن اخت البرجي ووالي الحصن وثلاثمائة بطريق ، وغنم مالا كثيرا ، وأحرق حصن عمّ وما حولها . وقد وجد فيه عشرة آلاف أسير من المسلمين فأخرجهم وضمهم الى جيشه لمساعدته[٢٣] .

وتوجه منجوتكين بعد القضاء على ابن اخت البرجي الى انطاكية وحاصرها ، ولكنه لم يتمكن من فتحها ، واستفاد من هذا الحصار بأن غنم غنائم كبيرة من البقر والمواشي والجاموس ، وعاد بها من انطاكية الى

---

(٢٠) CANARD : Op. Cit., p. 698 ويذكر ان قوات منجوتكين خمس وثلاثون ألفا بينما قوات البيزنطيين بلغت سبعين الفا .
— LANE POOLE : Op. Cit., p. 159

(٢١) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٨ — ٢١٩ .
— ابن تغري بردي ع المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١٨
— بينما يذكر محمد راغب الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ ان البرجي سار في خمسة آلاف فارس ، وان منجوتكين قتل منهم عشرة آلاف فارس .

(٢٢) عم قرية غنية يوجد فيها ينابيع كثيرة . وتقع بين انطاكية وحلب وفيها حصن كبير .
— LE STRANGE : Op. Cit., p. 457

(٢٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٧ .

مرعش[٢٤] فقتل وأسر وغنم وخرب وأحرق ، ومن ثم عاد بعساكره لحصار حلب ، ونزل على الباب المعروف بباب اليهود ، وحاصرها وبقي على حصاره لها حتى انقضاء سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢ م ، ثم عاد الى دمشق .

ولنا أن نتساءل هنا عن أسباب عودة منجوتكين الى دمشق على الرغم من انتصاره على البيزنطيين ، وعلى الرغم من أن الحمدانيين وأهالي حلب أصبحوا في ضيق شديد من الحصار ؟ لا بد أننا نجد سبب ذلك في الوسائل التي اتبعها لؤلؤ مولى سعيد الدولة بعد فشل وصول المساعدة البيزنطية اليه . فقد أحرق المزروعات والمحاصيل في الأراضي المحيطة بحلب متعمدا مضايقة عسكر الفاطميين من قلة المؤن[٢٥] . كما أنه أراد استخدام اسلوب سياسي يستطيع به أن يحبط الحصار بعد فشل الاساليب العسكرية . فكاتب أبا الحسن المغربي والقشوري ورغبهما بالاموال الكثيرة على أن يعملا على خداع قائد الفاطميين منجوتكين ليترك الحصار في هذا العام ، ويعود اليه في العام القادم ، معللين ذلك بتعذر الاقوات ، وصعوبة الحصول على الميرة[٢٦] .

وفعلا فقد قاما بالدور الذي أسند اليهما بنجاح ، وصورا الوضع

---

(٢٤) مدينة صغيرة في شمال سوريا المسافة بينها وبين انطاكية مسيرة يومين . وبينها وبين الحدث يوم واحد .
— LE STRANGE : Ibid., p. 502 — 503

(٢٥) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٩ .
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١٩
— محمد راغب الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣١٠ .

(٢٦) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٥٣ .
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١١٩ .
— بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٨ .

لمنجوتكين على أنه غير مناسب للقتال[٢٧] ، وأنه من الخير ترك الحصار في هذا العام . وقد اقتنع منجوتكين بذلك ــ ويظهر أنه كان قد تضايق من الحرب وفضل العودة الى دمشق ، فصادفت هذه الفكرة هوى في نفسه بعد أن مل الحصار وطول السفر . فأرسل الى العزيز بالله يخبره بما حدث ، ويعلمه عن تعذر الاقوات ، وان الجنود لا قدرة لهم على البقاء . ويستأذنه في العودة الى دمشق . ولم ينتظر منجوتكين وصول جواب الخليفة ، فرحل عائدا الى دمشق[٢٨] .

ويبدو أن الدور الذي لعبه ابن المغربي في عودة منجوتكين الى دمشق كان كبيرا . فقد كان من جهة مدفوعا من قبل الحمدانيين مقابل مبلغ من المال ، ثم انه من جهة ثانية كان مستاءا لان الخليفة الفاطمي العزيز بالله أوكل الى منجوتكين رئاسة الجيش ، فأراد اظهاره بمظهر العاجز عن تحقيق ما أوكل اليه . ولا شك أن أعداء ابن المغربي أدركوا ذلك ، وحرضوا الخليفة العزيز بالله عليه ، حتى انه في المرحلة الثانية من الحرب عزله ، وعين عوضا عنه صالح بن علي الروذباري[٢٩] .

---

(٢٧) بيبرس الدوادار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ورقة ٢٧٨ .

(٢٨) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٩ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٢ .
- سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ١ ، ورقة ٢٣٧
- ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٠ .

(٢٩) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢١٩ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٣ .
- محمد راغب الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣١١ .
- بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وما أن علم العزيز بالله بعودة منجوتكين الى دمشق حتى أستشاط غضبا ، وقرر أن يمد العسكر بالميرة من غلات مصر ، فحمل مائة الف تليس[٣٠] في البحر الى طرابلس ، لينقل برا الى حصن أفامية •

وتبدأ المرحلة الثانية من الحرب بعودة منجوتكين في السنة التالية أي في سنة ٣٨٣ هـ/٩٩٣ م لقتال الحمدانيين وحصار حلب • فقد توجه من دمشق ونزل على قلعة شيزر وفتحها[٣١] ، وأمن واليها من قبل الحمدانيين وجميع من كان معه ، ثم سار الى افامية فتسلمها من نائب سعيد الدولة ـ وقد احتلت مدينة أفامية دورا هاما في هذه الحروب ، لانها أصبحت مركزا هاما لجيوش الفاطميين ، فكانت تتجمع فيها الجيوش للاستعانة بها عند الحاجة ـ ومن ثم توجه بمن انتخبه من الجنودللاراضي المحيطة بأنطاكية ، فغنموا غنائم كثيرة • وبلغوا نواحي بوقا[٣٢] ، وقطعوا

---

(٣٠) يقول ابن القلانسي (المصدر السابق ، ص ٤٢) أن التليس يساوي قفيزان والتليس = ٨ اردب ، والاردب = ٦ ويبه ، والويبة = ١٥ منآ انظر عمر صالح البرغوثي : الوزير اليازوري ، ص ١١٥ .

(٣١) مدينة صغيرة تقع بين المعرة وحماة على مسيرة يوم ، وبها قلعة يسير تحتها نهر العاصي وهي مدينة قديمة وقد فتحها أبو عبيدة بن الجراح بعد دخولة حماة في سنة ١٧ هـ/٦٣٨ م وهي تبعد ٩ أميال عن حماة و ٣٣ ميلا عن حمص و ٣٦ ميلا عن انطاكية ، ولها اسوار من القرميد وثلاثة أبواب ، ونهر العاصي يسير خارج الاسوار وشمال القلعة .

LE STRANGE : Op. Cit., p. 533 — 534

(٣٢) هي قرية تابعة لمنطقة انطاكية ، وهي تقع بين حلب والمصيصية ، بنيت من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك •

(LE STRANGE : Op. Cit., p. 424)

بغراس [٣٣] وعاد العسكر الى الروج[٣٤] .

ثم ان العزيز بالله رأى في محرم سنة ٣٨٤ هـ/فبراير ٩٩٤ م أن يسير ثانية أبا الحسن علي بن المغربي الى منجوتكين وجعله مدبر جيشه والناظر في أعمال الشام ، وذلك لما يعلمه الخليفة العزيز بالله عن خبرة المغربي بتلك الناحية[٣٥] . وقد رافقه عسكر كثير . وسار مع منجوتكين الى حلب في شهر ربيع الثاني من نفس السنة ، وبدأ حصار حلب ثانية .

وكان على جنود الفاطميين الذهاب الى أفامية لاخـذ المؤونة ، ثـم العودة الى حصار حلب . وكان البرجي يعمل على منع جنود مصر مـن الحصول على العلف من أفامية[٣٦] ، فاضطر منجوتكين أن يسـير اليـه بقسم من جيشه ، ويترك القسم الآخر يحاصـر حلب . والتقى بجنـود البرجي في ٦ شعبان سنة ٣٨٤ هـ/١٠ أغسطس ٩٩٤ م فظفر بهم ، وغنم الاموال والرجال والخيل التي لا تحصى ، وأسر كثيرا مـن البيزنطيين . وسار حتى نزل على اعزاز فأخذها ثم عاد الى حصار حلب .

هذا وقد دام الحصار على هذا النحو ثـلاثة عشـر شهرا ، عمـل منجوتكين خلالها على بناء مدينة قضى فيها فصـل الشتاء ، وعمر فيهـا

---

(٣٣) أما بغراس فتقع على طريق الثغور على منحدر جبل اللكام على الطريق الذاهب من حلب الى انطاكية ، فيها قلعة مرتفعة . والمسافة من بغراس الى انطاكية ١٢ ميلا ومنها الى اسكندرونة ٩ أميال .
. انظـر
— LE STRANGE : Op. Cit., p. 407 — 408

(٣٤) الروج كورة من كور حلب المشهورة في غربيها ، بينها وبين المعرة .
— انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، حاشية ص ١٨٨ .

(٣٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٩ .

(٣٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٩ .

الحمامات والخانات والاسواق • وكان أهالي حلب في هـذه الفتـرة في أشد ضيق • فقد سبب طول الحصار تعذر الاقوات في حلب ، حتـى أن أبا الفضائل فكـر في الاستسلام لمنجوتكين فمنعه لؤلؤ من ذلـك[٣٧] ، وبعث عنده الامل ثانية بالاستنجاد بالبيزنطيين • وكان لؤلؤ يحاول تخفيف وطأة الحصار وغلاء الاسعار على الاهالي بأن يشتري القفيز من الحنطـة بثلاثة دنانـير ويبيعها للناس بدينار واحـد • كما لجأ الى اسلوب آخر للتخفيف من المجاعة ، فقد سمح للاهالي بالخروج من حلب ، وكان يفتح لهم الابواب ، وكان منجوتكين يترك من خرج مـن حلب مـن الجوع والمرض دون أن يؤذيه[٣٨] •

ولم يعد في امكان الاهالي تحمل الحصار لمدة أطول • فأرسل لؤلؤ الى الامبراطور البيزنطي طالبا منه المعونة ، قائلا له : (متى أخذت حلب، فتحت انطاكية بعدها ، وأتعبك التلافي ، واذا سرت بنفسك حفظت البلدين جميعا وسائر الاعمال) • ولما كان باسيل يخاف من سيطرة الفاطميين على المناطق الشمالية فقد ترك قتال البلغار وسار الى حلب وبرفقته مائـة ألف مقاتل • وكان ينضم اليهم من كل بلـد يدخلونها عسكر جـديد[٣٩] • واستطاع الوصول الى مروج حلب دون أن يشعرهم بذلك • وقد وصل في سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م بعد أن كاد اهل حلب يهلكون جميعا[٤٠] ، وكان الجيش الفاطمي على شفا حفرة من النصر[٤١] •

---

(٣٧) CANARD : Op. Cit., p. 704

(٣٨) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٢٠ •

— بينما يذكـر ابن القلانسي (المصدر السابـق ، ص ٤٣) أن منجوتكين أصدر اوامره بقتل كل من يخرج من حلب وذلك ليزيد في الضيق عليهم •

(٣٩) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٠ •

(٤٠) الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٣٧ •

(٤١) CANARD : Op. Cit., p. 703

ثم ان لؤلؤا أراد أن ينهي الحصار فأرسل محذرا منجوتكين من وصول البيزنطيين قائلا له : (ان عصمة الاسلام الجامعة لنا تدعوني الى انذاركم والنصح لكم • وقد أظلكم باسيل في جيوش الروم ، فخذوا الحذر لانفسكم) • كما أن طلائع جيشه جاءته بنفس الخبر •

ومن أجل ذلك خاف منجوتكين أن يصبح بين نارين ، وفضل الانسحاب على البقاء • فأحرق الخزائن والاسواق والابنية التي كان قد استحدثها ، وسار متجها نحو دمشق ــ ويظهر أن منجوتكين عقد المعاهدة مع الحمدانيين في تلك الفترة [٤٢] ولما وصل الامبراطور البيزنطي باسيل الى حلب نزل في الموقع الذي كان فيه الجيش الفاطمي ، فشاهد من موقعهم ما هاله وعظم في عينه ، وأدرك كثرة عسكرهم ومقدار قوتهم • وخرج اليه أبو الفضائل ولؤلؤ يبديان شكرهما لمجيئه ومساعدتهما في التخلص من الحصار الذي فرض على حلب • وقد وصل بهما الامر أنهما ارتميا عليه ، وطرحا أنفسهما على رجليه[٤٣] وقدم له أبو الفضائل هدية جليلة القدر فقبلها منه وأعاده الى حلب ، ووهب له القطيعة[٤٤] التي كانت له على حلب في تلك السنة ، وكان في امكان الامبراطور البيزنطي باسيل في ذلك الوقت الاستيلاء على حلب بكل سهولة، ولكنه لم يفعل[٤٥] •

---

(٤٢) انظر فيما بعد ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣

(٤٣) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٢ .

(٤٤) القطيعة : مال الهدنة .

(٤٥) قال قسطنطين لاخيه الملك باسيل : « خذ حلب والشام ما يمتنع منك » فقال « ما تسمع الملوك اني خرجت أعين قوما فغدرت بهم ، فقال له بعض أصحابه « ليست حلب غالية بغدره » فقال الملك « بلا ولو انها الدنيا » وكان اذا خرج ابو الفضائل الى ملك الروم أقام لؤلؤ بحلب ، واذا خرج لؤلؤ ، أقام ابو الفضائل .

ــ انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩١ .

وبقي يومين ثم رحل في اليوم الثالث الى الشام ونزل على حصن شيزر وفيه أحد قواد العزيز بالله الفاطمي ، فقاتله حتى اضطره الى طلب الامان فأمنه وسلم الحصن اليه . ثم وضع عليه من يثق به [٤٦] . وواصل باسيل المسير حتى فتح حمص ونهب وسبى ، ثم نزل على طرابلس وحاصرها ما يزيد على أربعين يوما ، ولما لم يستطع فتحها عاد الى بلاده .

أما المرحلة الثالثة فتبدأ بخروج الخليفة العزيز بالله من القاهرة بعد أن تواردت هذه الاخبار اليه فأغضبته وعظم عليه الامر ، ونادى بالنفير ليجمع كافة جنوده وقواته . واستقر رأيه على أن يسير بنفسه لفتح حلب ، وصد قوات البيزنطيين وبدأ يستعد لهذه الحملة من سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م [٤٧] وخرج مستصحبا جميع عساكره حاملا معه ما يحتاج اليه من عدده وأمواله وذخائره . وقد أمر وزيره عيسى بن نسطورس بانشاء اسطول يرافق الحملة البرية ويسير بمحاذاة الساحل ، ليصد به قوات البيزنطيين ويقاتل امبراطورهم باسيل[٤٨] . فجمع الاخشاب من سائر النواحي في البلاد ، وأنشأ هذا الاسطول بدار الصناعة في مصر ، وحمل اليه جميع الآلات والعدد والسلاح ، وعزم على تسييره بعد صلاة الجمعة ١٣ ربيع الثاني سنة ٣٨٦ هـ / ٦ مايو ٩٩٦ م الى طرابلس[٤٩] . ولكنه لم يكد يتم اعداده حتى اشتعلت فيه النيران في ميناء المقس ، وأحرقت منه ستة عشر مركبا[٥٠] ، وكان لهذا الحادث أسوأ الاثر في النفوس . فثار

---

(٤٦) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٠ — ١٢١ .
— عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ ، ص ٥٦ .

(٤٧) WIET : Op. Cit., p. 195

(٤٨) LANE POOLE : THE STORY OF CAIRO., p. 134

(٤٩) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٧ .

(٥٠) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٦ .
— بينما يذكر KOENIG
(Encyc of Isl : Article « AL-AZIZ » Vol. I, P. I., : p. 541
أن عدد السفن التي احترقت احدى عشر .

الاهالي على بعض تجار البيزنطيين الذين وفدوا الى البلاد المصرية قبل ذلك بقليل ، وقتلوا فريقا كبيرا منهم يبلغ عددهم مائة وستين رجلا[٥١] ، ذلك أنه ثبت لديهم أنهم هم الذين دبروا مؤامرة احراق هـذه السفن . ثم ما لبث الخليفة العزيز بالله أن قضى على الاضطرابات التـي حدثت بالقاهرة بسبب احـراق الاسطول ، وأشار علـى عيسى بن نسطورس بانشاء اسطول آخر ، فلبى الوزير رغبته ، وشرع في جمع الاخشاب مـن كل أنحاء مصر حتى انه اضطر الى استعمال الاخشاب التي كانت مستعملة في بعض الابنية مثل دار الضرب ، والبيمارستان الـذي بسوق الحمام . وأمر الصناع بالاسراع في انجازه . ولما تم بنـاء أربعة وعشرين مركبـا شحنت بالرجال ثم ابحرت الى انطرسوس[٥٢] .

وفي تلك الفترة سار منجوتكين الى انطاكية ليغزوها ثم سار الـى حلب ، ونازلها أياما . ثم رحل عنها الى انطرسوس حيث حاصر هذا الحصن أياما ريثما يصل الاسطول اليها ، حاملا اليه المساعدات . غـير أن معظم سفن الاسطول لم تلبث أن تحطمت بالقرب من طرابلس على أثر هبـوب عاصفة عليها . وقد تمكن البيزنطيون من آسر بعض رجال هـذه السفن الذين استطاعوا النجاة الى البر[٥٣] . وقد كان لهذا الحادث أثره على قوة منجوتكين وأدى به الى الهزيمة .

وفي تلك الاثناء كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله قد خرج من القاهرة

---

(٥١) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٧ .
(٥٢) يحيى بن سعيد الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٤٩ .
(٥٣) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٦ .

بعساكره وعدده وأمواله مظهرا العزم على غزو البيزنطيين . وسار مسافة عشرة فراسخ حتى نزل ببلبيس ، وهناك أصابته أمراض كثيرة . ولما أدرك أنه سيموت أوصى بالخلافة لابنه الحاكم بأمر الله . وقد توفى العزيز بالله في بلبيس في رمضان سنة ٣٨٦ هـ/أغسطس ٩٩٦ م(٥٤) .

وفي هذه السنة أيضا عصى رباح السيفي(٥٥) في المعرة ، فخرج اليه أبو الفضائل مع لؤلؤ وحصراه مدة . فانحاز هذا الى الفاطميين وطلب من منجوتكين المساعدة ، فجاء لنجدته ، وأوقع الهزيمة بأبي الفضائل ولؤلؤ ، فتراجعا ودخلا حلب .

غير أن سعيد الدولة أبا الفضائل لم يقدر له أن ينعم بما تحقق على يديه من ابعاد خطر الغزو الفاطمي في خلافة العزيز بالله عن بلاده . فلم نعد نسمع باسمه منذ انتهاء هذه الحروب(٥٦) ، إذ لم يلبث ان عمل مولاه لؤلؤ على الاستئثار بحكم حلب ، وتمكن من أن يدس السم لابي الفضائل ولزوجته ــ ابنة لؤلؤ ــ فماتا في ليلة النصف من صفر سنة ٣٩٢ هـ ٤ يناير ١٠٠٢ م(٥٧) .

---

(٥٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
ــ العيني : المصدر السابق ، مجلد ١٩ ، جزء ٣ ، ورقة ٤٢٥ .
ــ القضاعي : عيون المعارف وفنون اخبار الخلايف ، مخطوطة بدار الكتب رقم ١٧٧٩ تاريخ ، ص ١٨٠ .

(٥٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء أول ، ص ١٩٢ .

(٥٦) ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ورقة ٢٤ .

(٥٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩٢ .
ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٥٠٤ .

ـ في عهد المولى لؤلؤ وابنه مرتضى الدولة

بعد وفاة سعيد الدولة الحمداني ولي لؤلؤ ولديه أبا الحسن عليا ، وأبا المعالي شريفا . ولكــن لؤلؤ كان الحاكــم الفعلي لحلب . إذ أنــه استولى على تدبير ملكهما ، ولم يكن لهما في الامــر شيئا . ويبــدو أنه أعلن ولاء أبي الحسن وأبي المعالي للخليفة الفاطمي الحاكم بأمــر الله . يدل على ذلك النقود التي نقشت في عهد أبي المعالي وأبي الحسن ، فقــد نقش على الوجه الاول :

لا الــه الا الله
وحده لا شريك لــه
أبــو المعالــي
وأبــو الحسن
ابنــا سعيد الدولــة

وعلــى الوجه الآخــر

محمد رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله
الامام المنصور أبو علــي
الحاكم بأمــر الله
أمــير المؤمنين[1]

ولم يكتف لؤلؤ بما حصل عليه ، وانما أراد أن ينفرد بالملك فسير أبا

---

(1) LANE POOLE : Catalogue of Coins, p. 336

الحسن وأبا المعالي الى مصر في سنة ٣٩٤ هـ/١٠٠٣ م مع سائر أفراد البيت الحمداني وحكم حلب باسمهما[٢] .

وبعد أن انفرد لؤلؤ بالحكم دعم مركزه بالتقرب من الفاطميين ، وخطب لخليفتهم الحاكم بأمر الله [٣] . كما جعل ابنه منصورا وليا على الدولة منذ سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣ م . ومات لؤلؤ بعد أن تقدمت به السن ، وكانت وفاته بحلب في ذي الحجة من سنة ٣٩٩هـ/اغسطس ١٠٠٩م [٤] . فخلفه ابنه منصور بن لؤلؤ الذي سار سيرة أبيه ، فاعترف بسلطان الخليفة الفاطمي في حلب [٥] وذكر اسمه في الخطبة ، كما أنه ضرب السكة باسمه في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م بعد أن سير اليه ولديه وافدين عليه . فأحسن اليهما الخليفة الحاكم بأمر الله واعطاهما مالا جسيما ، وأقطعهما سبع ضياع في فلسطين . وكتب الى منصور بن لؤلؤ سجلا قرىء في القاهرة بتمليكه حلب وأعمالها ، ولقب فيه بمرتضى الدولة .

غير أن مرتضى الدولة لم يكن صادقا في ولائه للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله .ففي نفس الوقت الذي كان يخطب فيه للحاكم بأمر الله ، كان يعمل على كسب ود البيزنطيين، فأرسل الى امبراطورهم هدايا وتحفا . وبدأ يستعين بالطرفين لتحقيق مصالحه ومآربه . ويظهر أن الخليفة الحاكم

---

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩٥ .
- العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٥٠٤ .
- حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٦ .
- محمد راغب الطباخ : اعلام النبلاء ، جزء ١ ، ص ٣١٤ .

(٣) العيني : المصدر السابق ، مجلد ١٩ ، ورقة ٥٠٥ .
- العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ص ١٤٦ .

(٤) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٤٧ .

(٥) العيني : المصدر السابق ، مجلد ١٩ ، ورقة ٥٧٥ .

بأمر الله كان يدرك ذلك منه ولم يكن يثق به • فرأى أن يتأكد من سلامة موقفه وحسن نيته ، فسمح لبعض أنصاره بارسال كتب مزورة من مصر تعلمه بوفاة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله • فظن مرتضى الدولة ذلك حقيقة ، وأراد أن يستغل هذه الفرصة لصالحه ، فأرسل في طلب الحصون الشامية ــ التي كانت قد بقيت في أيدي الفاطميين منذ حصار منجوتكين لها ــ كأفامية وغيرها • ولكي يستطيع أن يحقق ذلك كان عليه أن يحصل على مدد عسكري ، فرأى أن يحصل عليه من البيزنطيين ،فكتب الى بطريق أنطاكية طالبا منه ارسال معونة له ، فأمده بألفي رجل بناء على توصية الامبراطور البيزنطي باسيل [٦] •

بعد ذلك جهز مرتضى الدولة ألفا غلام من الحمدانية والارمن ، وأرسلهم الى حصن أفامية لحصارها والاستيلاء عليها ، كما أرسل جيشا آخر ليستعيد الرحبة ، وقد فوجيء والي حصن أفامية باقتراب قوات مرتضى الدولة منه ، فأرسل الى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله يطلب منه المساعدات • كما أنه استعد لمجابهة القوات الحمدانية المهاجمة ، وتمكن من هزيمتها • فشجعه ذلك على أن يتابع القوات المنهزمة وفي نيته القيام بمحاولة احتلال حلب ، وهو ما فشل فيه من قبل منجوتكين • فسار متتبعا القوات المنهزمة حتى نزل على كفر طاب [٧] •

عند ذلك شعر مرتضى الدولة بعجزه عن مجابهة الجيوش الفاطمية،

---

(٦) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ١٣١ •

(٧) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ١٣١ •
اما كفر طاب فهي قرية صغيرة تقع بين المعرة وحلب ، وتقع في منتصف الطريق بين المعرة وشيزر على مسافة ١٢ ميلا من كل منهما او ما يعادل مسيرة يوم واحد عن كل منهما ، ولا يوجد فيها ماء .
— LE STRANGE : Op. Cit., p. 473

فاستمد المعونة من صالح بن مرداس الكلابي الذي كان في الرحبة . كما أنه أرسل الى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وإلى والي أفامية يعتذر لهما ويستعطفهما، ويوضح لهما بأنه لم يكن يقصد البلاد الخاضعة للخليفة الحاكم بأمر الله ، ونفى أن جنوده كانت في حالة تأهب للحرب ، بل ادعى بأن جنوده كانت في الاراضي التابعة له [٨] .

وعلى الرغم من أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله تظاهر بتصديقه، الا أن ما قام به مرتضى الدولة أفسد ما بينه وبين الحاكم بأمر الله . وزاد على ذلك ما كان يقوم به مرتضى الدولة من ظلم وشدة على الرعية بحلب ، فكرهوا حكمه ، ولم يعد في امكانهم تحمل ظلمه ، فاستنجدوا بأبي الهيجاء بن سعد الدولة [٩] . كما استنجدوا بأمراء بني كلاب . واستغل الخليفة الحاكم بأمر الله ذلك ، فحرض صالح بن مرداس وقومه بني كلاب على مرتضى الدولة [١٠] . وأمده بجيش من قبله في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م ليتمكن من فتح حلب ، ولكن الجيش المهاجم اصطدم بالاعراب في معرة النعمان فلم يستطع اتمام مسيره .

وعندما رأى مرتضى الدولة تألب كافة القوى ضده ، رأى أن يعود الى طاعة الخليفة الحاكم بأمر الله ويستعطفه ، طالبا منه المعونة ضد أبي الهيجاء الحمداني الذي جاء ليحاصر حلب بناء على طلب سكانها . فاشترط

---

(٨) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ٣٣١

(٩) كان سعد الدولة قد أوصى به لؤلؤ قبل وفاته ، ولكن لؤلؤ وابنه مرتضى الدولة ضيقا عليه خوفا منه بعد أن انفردا بالحكم ، ففر ملتجئا الى الروم — انظر ابن العديم (المصدر السابق جزء ١ ، ص ١٩٨ — ١٩٩) وابن القلانسي (المصدر السابق ، ص ٣٩) وابن تغري بردي (المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦١) .

(١٠) عبد المنعم ماجد : ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها ، ص ١٤٤ .

الحاكم بأمر الله عليه أن يرسل الى حلب واليا من قبله ، فوافق مرتضى الدولة على ذلك . وتنفيذا لذلك فقد أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله جنودا من طرابلس الى حلب . وتمكن مرتضى الدولة بدهائه أن يضمن بني كلاب الى جانبه بعد أن أطمعهم بمنحهم الاقطاعات خارج حلب مقابل تخليهم عن نصرة أبي الهيجاء الحمداني . وبانصراف المعونات عن أبي الهيجاء الحمداني ضعف مركزه ، وتمكن مرتضى الدولة أن يهزمه فعاد أبو الهيجاء الحمداني الى بلاد البيزنطيين بعد أن نهبت خيامه وجميع ما كان معه [11] .

وبعد أن حقق مرتضى الدولة غايته وهزم أبا الهيجاء الحمداني تخلى عن وعوده لصالح بن مرداس وللخليفة الحاكم بأمر الله ، وعاد لعسفه وظلمه للاهالي حتى بغضه الحلبيون وهجوه كثيرا . ومما قيل فيه :

لم تلقب ، وانما قيل فالا　　مرتضى الدولة التي أنت فيها[12]

الا أن بني كلاب لم يهدأوا بعد أن غدر بهم مرتضى الدولة ، وحرمهم من الاقطاعات التي وعدهم بها . فجمعوا فرسانهم ودخلوا حلب، وحدثت عدة حروب بينه وبينهم انتهت بموافقة مرتضى الدولة على اطلاق كل اسير من بني كلاب [13] .

واستمر مرتضى الدولة في حكم حلب الى أن تمكن غلامه فتح من مكاتبة الحاكم بأمر الله واظهار طاعته له ، وأعلن استعداده لتسليم حلب اليه ، ثم تمكن من الخطبة للخليفة الفاطمي بعد أن أظهر العصيان على

---

(١١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٩٩ .

(١٢) محمد راغب الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣١٤ .

(١٣) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٧٥ ــ ٥٧٦ .

مولاه مرتضى الدولة . وبعد ذلك دعا الخليفة الحاكم بأمر الله الى ارسال ولاته لتسلم حلب . وحصل منه مقابل ذلك على صيدا وبيروت وكل ما في حلب من الاموال . واضطر مرتضى الدولة - تحت هذه الظروف - أن يرحل الى انطاكية ويلتجىء للبيزنطيين في ٦ رجب سنة ٤٠٦هـ/ ٢١ ديسمبر سنة ١٠١٥م (١٤) . وكان سرور الخليفة الحاكم بأمر الله عظيما بما تحقق له على يد الغلام فتح ، فزاد في ألقابه ، ولقبه مبارك الدولة وسعدها . وعلى هذا الشكل أصبحت حلب لاول مرة خاضعة للخليفة الحاكم بأمر الله (١٥) .

وقد بلغ من شدة سرور الخليفة الحاكم بأمر الله بخضوع حلب اليه وحكمها من قبل ولاته أن أصدر سجلا لاهالي حلب يعفيهم فيه من المكوس ومن خراج الارض (١٦) .

وبتسلم الفاطميين حلب تحققت خطوة كبيرة في طريق تحقيق هدفهم الاول وهو القضاء على الخلافة العباسية . لان بلاد الشام بصفة عامة وحلب بالذات تعتبر المدخل الطبيعي للعراق ، وقد توقع المعاصرون أن انتصار الفاطميين على العباسيين أصبح أمرا وشيكا . لكن هذا الانتصار لم يقدر له أن يتحقق كما سيتضح لنا من مجريات الحوادث فيما بعد .

وقد تنقلت حلب في أيدي نواب الخليفة الحاكم بأمر الله ، حتى صارت ولايتها سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م الى أمير من بني حمدان يدعى عزيز

---

(١٤) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٧٦ .

(١٥) Encyc of Isl : Article « HALAB » Vol. II, P. I., p. 230

(١٦) انظر فيما بعد آل مرداس ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

الملك فاتك(١٧) الذي لقبه الخليفة الحاكم بأمر الله « أمير الأمـراء » .
وظل أمير الامراء عزيز الملك فاتك مواليا للفاطميين ويلي أمور حلب من قبلهم ، حتى توفى الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ م وخلفه ابنه الظاهر لاعزاز دين الله . ومما يدل على ولاء أمير الامراء عزيز الملك فاتك للخليفة الحاكم بأمر الله حتى هذا التاريخ . ذلك النقش الذي وجد على رخامة مثبتة على السور الخارجي لقلعة حلب والمؤرخ في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ م والى القاريء نص هذا النقش :

١ ــ بسملة مما أمـر
٢ ــ بعمله الامام الحاكم بأمر الله
٣ ــ أمير المؤمنين صلى الله عليه
٤ ــ الامير (؟) السيد (؟) أمير الامراء عزيز الدولة
٥ ــ (كلمة ساقطة) أطال الله بقاءه وأعز نصره (١٨)

غير أن عزيز الملك فاتك استغل اضطراب الامور بعد وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله وتولي ابنه الخلافة فعصى وحاول الاستقلال ، وكان قد عظم شأنه في حلب . فرأت ست الملك الوصية على الظاهر لاعزاز دين الله أن تعمل على التخلص منه . ولكنها لم تشأ أن تقوم بذلك مباشـرة بل عملت أولا على كسب ثقته . فأظهرت عطفهـا عليه ، كما أنها راسـلته ولاطفته . ثم بعثت اليه بالخلع والخيل بمراكب الذهب حتى وثق بها .

---

(١٧) سبط بن الجوزي : المصدر السابـق ، جزء ١١ ، مجلـد ٣ ، ورقـة ٤١١ ــ ٤١٢ .

ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ١٩٠ .

(١٨) COMBE , SAUVAGET , WIET : Op. Cit., T. VI, No. 2311, p. 164—165

ولم تزل تعمل الحيلة حتى استطاعت أن تفسد غلام أمير الامراء عزيـز الدولة فاتك المسمى بدرا • وكان أمير الامراء يحبه جدا ويثق به • فبذلت لبدر العطاء الجزيل ، ووعدته أن توليه مكانه اذا استطاع أن يخلصها من شره • فقتله واستولى على حلب ، ثم سلمها الى الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله وبذلك زال سلطان الحمدانيين في الشام نهائيا في سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م • وكان أول النواب الذين دخلوها في عهد الظاهر لاعزاز دين الله، المسمى سديد الدولة (١٩) •

× × ×

هذا ويمكننا بعد هذا العرض عن علاقة الفاطميين بامراء الدولة الحمدانية أن نوضح ان الحمدانيين وقفوا موقفا معاديا من الدولة الفاطمية ، علـى الرغم من غلبة التشيع على الحمدانيين ، وهذا يدل على أن الميل العقائدي لم يكن كل شيء في العلاقات وانما كانت القضية السياسية تعلـو على كل القضايا •

فقد وقف ابو تغلب الحمداني موقفا عدائيا من الفاطميين ، وساعد القرامطة ضدهم ، فحقدوا عليه وكانت نهايته على أيديهم • وكان الخليفة المعز لدين الله يوجه انتقاداته اللاذعة لسيف الدولة ، ويعتبره متهاونا امام البيزنطيين ، حتى شعر سيف الدولة الحمداني بأنه يجب عليه ان يساعد كل من يقف في وجه الفاطميين •

ووقف سعد الدولة موقفا مترددا بين الفاطميين والعباسيين وان كنا نستطيع اعتبار موقفه اقرب الى العداء للفاطميـين ، فقـد امد افتكـين بالمساعدات وحاول إثارة القبائل العربيـة ضد الدولة الفاطميـة •

---

(١٩) عن الامير سديد الدولة ودخوله حلب باسم الفاطميين انظر قبـلا ، الباب الثاني •

لاخضاعهم الا بعد أن شعر الخليفة العزيز بالله بفشل هذه السياسة ورأى إن الموقف أصبح يحتم عليه ان يرسل جيوشه للقضاء على الحمدانيين الذين كانوا قد اصبحوا منذ سنة ٣٥٩/هـ ٩٦٩ م انصارا للبيزنطيين جمعت بينهما اهداف واحدة هي العمل على ابعاد الحكم الفاطمي عن بلاد الشام الشمالية •

وعلى الرغم من ذلك فقد استخدم الفاطميون جميع الاساليب السياسية لتجنب عداء الحمدانيين • ولم يلجأوا الى القوة العسكرية

وقد بدأت الحملات العسكرية منذ ان حرض بكجور — مولى سعد الدولة الحمداني — الخليفة الفاطمي العزيز بالله وأطعمه في احتلال حلب في سنة ٣٧١هـ/٩٨١ م • واستمرت هذه الحملات متقطعة حتى وفاة سعد الدولة • وبعد ذلك بدأت الحملات العسكرية الكبيرة ، واتضح العداء سافرا ، واستمرت هذه المعارك بمراحلها الثلاث من سنة ٣٨٢ هـ/٩٩١ م حتى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦ م وهي سنة وفاة العزيز بالله في بلبيس •

ويهمنا ان نوضح — في هذا المجال — ان الدولة الحمدانية في تلك الفترة لم تكن قد وصلت الى درجة شديدة من الضعف ، بدليل صمودها فترات طويلة أمام الجيوش المهاجمة لها • حقا ان الدولة البيزنطية كانت ترسل جيوشها لمساعدة الحمدانيين ولكن الدور الذي اسند الى القوات البيزنطيةهو العمل على فك الحصار المفروض على حلب حين كان يتأزم الموقف ، وتصل حلب الى درجة لا تستطيع معه الاستمرار في مواجهة الحصار •

وبالامكان ايراد دليل آخر على عدم وصول الحمدانيين الى درجة متناهية في الضعف في هذا الدور ، وان الامارة الحمدانية مازال لها وزنها

وثقلها السياسي وهو ان الدولة الفاطمية في اثناء حربها ــ عندما وجدت نفسها عاجزة عن دخول حلب ــ عقدت معاهدة أو صلحا كما يسميه ابـن ظافر الازدي في سنة٣٨٥هـ/٩٩٥ م مع الحمدانيين(٢٠) • وقد استمر هذا الصلح منعقدا حتى وفاة لؤلؤ (٢١) •

هذا ويجب ان لا ننسى ان عدم الثقة بين الحمدانيين والفاطميين منذ المراحل الاولى للفتح الفاطمي الشام كان له أثر كبير في العلاقـات بين الحمدانيين والفاطميين ، من جهةوبين الحمدانيين والبيزنطيين من جهةاخرى، فقد اضطر الحمدانيون بسبب عدائهم للفاطميين الى عقد الصلح مع البيزنطيين والتحالف معهم ضد الفاطميين (٢٢) • وأصبحت منظمة شمالي سوريا في هذه الفترة وكأنها منطقة صراع بين الفاطميين والبيزنطيين وقد بدأ ذلـك التحول في موقف الحمدانيين من البيزنطيين منذ عهد سعد الدولة ومولاه قرعوية ، بعد ان كانت حلب تقف من قبـل أيام سيف الـدولة الحمداني موقفا مشرقا في وجه البيزنطيين •

هذا ولم يتمكن الفاطميون من اخضاع حلب لسلطانهـم بالقـوة العسكرية فلم تخضع حلب لهم الا سلما ، وبعد ان تغلب لؤلؤ المولـى الحمداني على حلب وابعد الحمدانيين عنها بما فيهم أولاد سعيد الدولة • غير انه يمكن القول أن هذه الحملات العسكرية المتكررة التي وجههـا

---

(٢٠) ابن ظافر : المصدر السابق ، ورقة ٢٣ (عقد هذا الصلح مع الفاطميين مختار وبدر الحمداني) •

(٢١) CANARD : Op. Cit., p. 706

(٢٢) ابراهيم احمد العدوي : الامبراطورية البيزنطيـة والدولة الاسلامية، ص ١٠٥ •

الفاطميون الى حلب ادت الى اجهاد الامارة الحمدانية واضعافها وبالتالي قربت نهايتها .

المتحضرة ، حبا للحرب ، واستبدادا بالرعية وكرما ومروءة وشهامة ونجدة

هذا وقد كانت حياة بني حمدان مظهرا من مظاهر الحياة البدوية

وعصبية للعربية ضد الفرس والترك [٢٣] .

* * *

(٢٣) انظر احمد أمين : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

المرداسيون في حلب

أ ـ نشأة الإمارة المرداسية في حلب

المرداسيون هم فرع من بني كلاب ، وبنو كلاب بطن من عامر بن صعصعة من عرب الشمال وكانت مساكنهم في الجاهلية بجوار يثرب ، ثم انتقلوا بعد الاسلام الى اليمامة حيث أسسوا دولة فيها ، ومن اليمامة انتقلوا الى الجزيرة الفراتية فاستقروا هناك[1] .

وبنو كلاب من عرب القيسية الذين لعبوا دورا هاما في بلاد الشام في العصر الاموي هم وبنو كلب . ففي معركة مرج راهط كان زفر بن الحارث

---

(1) هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان ، فهم من عرب الشمال . منهم القتال الكلابي الشاعر المشهور . ويعتبر بنو كلاب من أشد العرب بأسا ، ولكثرة غاراتهم على الروم صنعت فيهم السيرة المعروفة بدلهمة والبطال (وهي السيرة المشهورة بذات الهمة والبطال) منسوبة اليهم بما فيها من ملح الحديث ولمح الاباطيل . والبطال أحد أبطال الغزاة المشهورين في العصور الاسلامية المتوسطة ، وكان فعله في الروم عظيما وهو معروف ومشهور عند الترك باسم بطال غازي .

وبنو كلاب لا يدينون لامير منهم يجمع كلمتهم ، ولو انقادوا لامير منهم يجمع كلمتهم لم يبق لاحد من العرب بهم طاقة .

- ابن العديم: المصدر السابق ، جزء أ ، ص ١١١ .
- ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٧١ .
- القلقشندي : نهاية الارب ، ص ٤٠٧ .
- عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية ، جزء ٣ ، ص ٩٨٩ .
- محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .

الكلابي ــ الذي كان في قنسرين والعواصم ــ من رؤوس العرب القيسية ، مع الضحاك بن قيس الفهري ، اللذان حاربهما مروان بن الحكم • وبعد هزيمة الاول في هذه المعركة ، فر حتى قرقيسيا [٢] ، على حين قتل الثاني •

ويعتبر بنو كلاب من أشد العرب قوة وأكثرهم عددا ، ولكن صفات البداوة متغلبة عليهم • فهم لا يدينون لاحد منهم يجمع كلمتهم • وقد ازداد نفوذهم في عهد الدولة الاخشيدية ، اذ ان محمد بن طغج الاخشيد ، قلد أحمد بن سعيد الكلابي شيخ قبيلة بني كلاب حلب ، فاستدعى هذا أنصاره وأقرباءه اليه فازداد الكلابيون في المنطقة ، وزاد نفوذهم [٣] •

هذا وقد كان بنو كلاب يساعدون سيف الدولة في حروبه • فقد ساعدوه في معركة أكسال [٤] التي خاضها مع كافور الاخشيدي في سنة ٣٣٥ هـ/٩٤٦ م • كما ساعدوه في المعركة التي نشبت مع الاخشيديين في مرج عذراء على بعد ساعتين من دمشق ، وانهزموا معه •

ويمكننا أن نقول أن بني كلاب كانوا رعايا لبني حمدان أصحاب حلب ، يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الغزوات [٥] • ولكنهم ــ شأنهم شأن البدو ــ كانوا يخرجون عن الطاعة كلما رأوا انشغال الحكام

---

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٧ ــ وانظر نبيه عاقل : دراسات في تاريخ العصر الاموي ، ص ٧٤ ــ ٧٥ .

(٣) وصفي زكريا : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

— Encyc of Isl : Article « HALAB » Vol.II. P. I., p. 230

(٤) اكسال : قرية من قرى الاردن بينها وبين طبرية من جهة الرملة ونهر أبي فطرس خمسة فراسخ .

ــ انظر :

MARMARDJI : Textes geographigue sur Palestine., p. 10

(٥) وصفي زكريا : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٩٠ .

بأمور الدولة الهامة كالحرب أو نحوها ، او في فترات الضعف . فقد عصوا سيف الدولة الحمداني وعاثوا في أعماله ، فكان يداريهم لانشغاله بحروب الروم وهم يتنمرون . وبعد أن أنهى حروبه أوقع بهم وهاجمهم في مـروج سلمية ، ثم لحقهم الـى الفركلس[٦] والغنثر[٧] والجباه(٨) والى تـدمر وارك(٩) والسخنة[١٠] والرضافة والرقة[١١] فبدد شملهم وردم آبارهم حتى استأمنوا اليه ، وبذلوا له طاعتهم . وللمتنبي قصيدتان يضف فيهما هـذه المواقع ، ويشفع فيها لهؤلاء الثائرين . فقد قـال في احداهما يشفـع لبني كلاب في موقعة جرت في نواحي بالس .

بغيرك راعيـا عبث الـذئاب	وغيرك صارما ثلـم الضـراب
وما جهلت أياديـك البوادي	ولكن ربما خفـي الصواب[١٢]

---

(٦) قرية قرب سلمية وتقع بينها وبين حلب ، انظر :
LE STRANGE : Op. Cit., p. 441

(٧) وادي يقع بين حمص وسلمية في سورية ، انظر :
LE STRANGE : Ibid., p. 441

(٨) هي قرية في بادية حمص .
— انظر وصفي زكريا : عشائر الشام ،جزء ١ ، ص ٩٠ .

(٩) قرية صغيرة على حدود صحراء حلب قرب تدمر .
LE STRANGE : Op. Cit., p. 395

(١٠) قرية صغيرة في الصحـراء السورية تقـع بين تدمر وارك في منطقـة اشجار النخيل ، وهي على الطريق مـن الرقة الـى دمشق ويصلها المسافر قبل أن يمر بقرية ارك .

(١١) وصفي زكريا : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٩٠ .

(١٢) وصفي زكريا : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٩١ .

وقد رأينا من قبل كيف كانت سياسة الفاطميين ـ في بـلاد الشام ـ تقوم على الاستعانة بالقبائل العربية ، أو ضرب احدى القوى بالاخـرى • وقد برز بنو كلاب عندما استعان الخليفة الحاكم بأمر الله بصالح بن مرداس وحرضه هو وقومه بنو كلاب على قتال مرتضى الدولة بن لؤلؤ ، ومنحـه مقابل ذلك مدينة الرحبة ، ولقبه بأسد الدولة • وكـان بنو كـلاب ـ في مطلع القرن الخامس الهجري ـ قد أخذوا يسيطرون على شمالي الشام بعد أن ضعف الحمدانيون ، وأخذ نفوذهم يزول ويتوارى • ولذلـك استطاع الكلابيون بزعامة صالـح بن مرداس مساعدة غلام مرتضى الدولة فتـح وايقاع الهزيمة بمرتضى الدولة حتى اضطروه الى الفرار الى البيزنطيين[١٣] : وبهذا زالت الدولة الحمدانية في حلب وقامت على أنقاضها الدولة المرداسية سنة ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م • وقد استمرت الـدولة المرداسية قائمة الـى أن سقطت سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٩ م •

ولم تعش الامارة المرداسية طويلا • وأول من تولى الامرة فيها هـو صالـح بن مرداس الكلابي مـن سـنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م حتى ٤٢٠هـ/١٠٢٩ م[١٤] • ثم شبل الدولة نصر بن مرداس مـن سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م

---

(١٣) CANARD : Op. Cit, p. 714

(١٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٧ .
— اما ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٣ .
— والغزي : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٨ فيذكران انه دخلهـا في سنة ٤١٤ .
— بينما يذكر ابن خلكان (المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٠٨) وابن كثير (المصدر السابق جزء ١٢ ، ص ٧) أن صالح بن مرداس دخل حلب في ذي الحجة سنة ٤١٧ هـ .

حتى ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م ، ثم معز الدولة ثمال بن مرداس من سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤٢ م حتى سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١ م . ثم عطية بن صالح ، ومحمود بن مرداس من سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١ م حتى سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م .

والى القارىء جدول نسب أمراء آل مرداس الذين تولوا الامارة .

مرداس

صالح

نصر (شبل الدولة) ثمال (معز الدولة) عطية

محمود

نصر سابق وثاب

وقد توصل المرداسيون الى تأسيس دولتهم في حلب بفضل الجهود التي بذلها زعيمهم صالح بن مرداس ، الذي أراد أن يجعل من مدينة الرحبة نواة لدولة جديدة كان يفكر في إقامتها وان يتوسع منها الى غيرها . وقد أدرك انه لن يتمكن من ذلك إذا انحاز لاحدى الدولتين العباسية أو الفاطمية . فاختار الدولة الفاطمية ودعا للخليفة الحاكم بأمر الله [15] الذي بدأ يثق به في تلك الفترة ، ويعتمد عليه وعلى مساعدته ضد ولاة حلب المترددين في الولاء إليه . فقد استعان به وحرضه لقتال مرتضى الدولة بن

← — ويذكر المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزء ٢ ، ص٤٤) ان صالح بن مرداس ملك حلب سنة ٤٠٢ هـ ، ويظهر انه يقصد بذلك دخوله حلب لاول مرة عند انتصاره على مرتضى الدولة .

— ومن المؤكد أن سبب هذا الاختلاف في التاريخ لدخول صالح بن مرداس الى حلب يعود الى أن صالح بن مرداس دخل حلب في نفس السنة التي حاصرها فيها أي في سنة ٤١٥ هـ ، ولكنه استمر فترة طويلة في حصار القلعة والتي يرجح أنها لم تخضع له الا سنة ٤١٧هـ.

(١٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧١ .

لؤلؤ الذي حدث بينه وبين المرداسيين عدة حروب [١٦] .

ولم يكن الخليفة الحاكم بأمر الله هو وحده الذي استنجد بصالح بن مرداس ليتخلص من مرتضى الدولة ، فقد التمس أهالي حلب منه المساعدة بعد أن ملوا ظلم مرتضى الدولة وتعسفه ، ورأوا أن يستنجدوا به وبقومه . ولما خاف مرتضى الدولة منهم عمل على اغراء صالح بن مرداس وقومه باقطاعات خارج حلب ، ولكنه لم ينفذ وعده ، بل أخذ يماطلهم ، فنشطوا للتضيق عليه ، وحاولوا التسلط على حلب ، وعاثوا وأفسدوا [١٧] .

عند ذلك لم يجد مرتضى الدولة بدا من إظهار رغبته في تسوية الامور ، وصرح لآل مرداس بأنه يريد أن يجتمع بهم ، وما أن دخل منهم الى حلب زهاء سبعمائة رجل وفيهم صالح بن مرداس حتى اعتقلهم — وكانوا جميعهم من ذوي الرئاسة والشجاعة — فجعل كبار الامراء بالقلعة ومن دونهم بالهرى [١٨] . وكان ذلك في الثاني من ذي القعدة سنة ٤٠٢هـ/ ٢٧ مايو ١٠١١ م [١٩] .

هذا ولم يكتف مرتضى الدولة بسجن صالح بن مرداس ،بل كان ينوي قتله في السجن . فقد كان يحنق عليه اساءته اليه وشجاعته . وعلم صالح بالامر ، فعزم على الهرب حيث اجتمع اليه أبناء قبيلته وقويت نفوسهم بخلاصه . وجرت موقعة بين صالح ومرتضى الدولة انتصر فيها صالح بن مرداس واسر مرتضى الدولة [٢٠] .

---

(١٦) انظر فيما سبق الباب الثالث .

(١٧) Encyc of Isl : Article « HAMADANIS »., Vol. II, P. I., p: 248

(١٨) الهري بضم الهاء بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان ، جمعة أهراء .

(١٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠١ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٠ .
— بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٢٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٥ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٠ .

ثم رأى صالح أنه من الأفضل له عقد صلح مع مرتضى الدولـة ، واتفقا على شروطه وهي : ما ئتا الف دينار ، ومائة ثوب ، واطلاق كل أسير عنده من بني كلاب .

ولكن مرتضى الدولة ما ان تخلص من خلافه مع صالح بن مرداس حتى نشب خلاف آخر بينه وبين غلامه فتح [٢١] . فاضطر مرتضى الدولة الى الهرب الى انطاكية وأخذ معه ما استطاع حمله من المال [٢٢] ، وكاتب الغلام فتح الخليفة الفاطمي « الحاكم بأمر الله » وأظهر طاعته اليه [٢٣] .

× × ×

---

(٢١) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٣ .
(٢٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٩ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١ ؛
— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٥٤ — ٢٧١ .
(٢٣) أبو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٨ .

ب ـ العلاقات بين الفاطميين والمرداسيين

ـ في عهد صالح بن مرداس :

عندما ورد الخبر للخليفة الحاكم بأمر الله بما فعله الغلام فتح سر منه غاية السرور ، وأرسل اليه كتابا يتضمن شكره على ما فعل ، كما طلب منه أن يسلم حلب وقلعتها الى أبي الحسن علي بن أحمد العجمي « المعروف بالضيف » (١) . كما سمح للاخير بتسليم صالح بن مرداس الاعمال والضياع التي تقرر مع مرتضى الدولة أن يعطيها له ، فقد كان الخليفة الحاكم بأمر الله يريد أن يستمر في علاقته الطيبة مع صالح بن مرداس وقومه بني كلاب ، ويرغب في اجتذابهم الى صفه . وقد منحه اضافة إلى ذلك لقب أسد الدولة (٢) . وقد اضاف صالح بن مرداس الى مدينة الرحبة الاعمال والضياع التي أخذها من الخليفة الحاكم بأمر الله ، وانحاز الى الفاطميين ودعا في منطقته للخليفة الحاكم بأمر الله (٣) .

ثم أراد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله أن يوحد سياسة عماله في شمال بلاد الشام ، فكتب الى صالح بن مرداس يأمره بالاتفاق مع الغلام

---

(١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جزء ١ ، ص ٤٠٨ .
ويعرفه فيقول : هو صالح بن مرداس أسد الدولة ابو علي بن مرداس ابن ادريس بن نصير بن حميد بن مدرك بن شداد بن عبيد بن قيس بن ربيعة حتى ينتهي الى معد بن عدنان .

(٣) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، جزء ٦ ، ورقة ٢٩٦ .

فتح ومع أبي الحسن على بن احمد العجمي المعروف بالضيف . كما أن الخليفة الحاكم بأمر الله اراد أن يتودد الى أهالي حلب ، فكتب اليهم كتابا باطلاق المكوس والمظالم والصفح عن الخراج يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا من أمر الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين لجميع أهل حلب وأعمالها ، أنه لما انتهى الى أمير المؤمنين ما أنتم فيه من الظلمة المدلهمة ، وقبيح ظفر من يتولى أموركم في المعاملات وزيادتهم عليكم في الخراج والجبايات أضعافا لكم وعدولا عن سنن الحق بكم ، أمر زاد الله أمره علوا ونفاذا باطلاق المؤن من دار كوره ونظائرها ، والصفح عن الواجب عليكم من مال الخراج لاستقبال سنة سبع وأربعمائه [٤] . لتعلموا أن ضياء الدولة النبوية قد لمع وظهر ، وأن حندس الظلام قد انجاب واندثر) [٥] .

وحرصا على بقاء المناطق الشمالية من بلاد الشام خاضعة لنفوذ الفاطميين كتب الخليفة الحاكم بأمر الله الى حسان بن مفرج بن الجراح الطائي وعشيرته ، وسنان بن عليان الكلبي وعشيرته بالعمل على حماية حلب .

وتنقلت حلب بأيدي نواب الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله حتى استلم امارتها في ٢ رمضان سنة ٤٠٧هـ/٣ فبراير ١٠١٧ م عزيز الدولة فاتك ، الذي لقبه الخليفة الحاكم بأمر الله « أمير الامراء عزيز الدولة وتاج الملة » . وكان أمير الامراء عزيز الدولة فاتك يخاف من نفوذ صالح بن مرداس وقوته وشجاعته ، ويخشى محبة أهالي حلب له . فتقدم الى صالح بن مرداس « أسد الدولة » وطلب منه أن يرسل والدته رهينة اليه . وكان يريد بذلك أن يضمن خضوع صالح بن مرداس اليه وتسكن نفوس أهالي حلب ويعلم الناس التئام الكلمة . ولا ندري هل نفذ صالح بن

---

(٤) سنة ٤٠٧ هـ تتفق مع سنة ١٠١٦ — ١٠١٧ م .
(٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١٤ .

مرداس ما طلبه عزيز الدولة فاتك على الرغم من أنه كان يطمـع في حلب . ومن المرجح أنه لم يفعل لانه بعد فترة كان يتآمر علـى ولاة الفاطميين في حلب مستغلا وفاة الخليفة الحاكم بأمر الله ، وضعف البلاد في عهد خليفته الظاهر لاعزاز دين الله ، وسوء الحالة الاقتصـادية بها (٦) . كما اسـتغل أيضا اضطراب الامور في حلب ذاتها بسبب استبداد عزيز الدولة ومحاولته الاستقلال عن الدولة الفاطمية .

فقد تحالف صالح بن مرداس مع سنان بن عليان الكلبي ، وحسـان ابن الجراح الطائي على اقتسام بلاد الشام بينهما على أن تكون من حلب الى عانة لصالح بن مرداس الكلابي . وضمن صالح بن مرداس بهذا الاتفاق محالفة القبائل العربية على نصرته ، فاتجه قاصدا حلب لفتحها ، وقد كان واليها من قبل الفاطميين يعرف بابن ثعبان ، ووالي القلعة يعرف بموصوف الخادم . ومن الدوافع التي حدت بصالح بن مرداس للقيـام بهذا العمـل ادراكه حب أهالي حلب له،وكرههم لنواب الفاطميين لسوء سيرتهم معهم(٧) . وحدث ما توقعه صالح بن مرداس ، اذ أن أهالي حلب ما أن رأوه حتـى سلموا البلد اليه . فقد كانوا يتمنون حكمه ويريدون التخلص من نواب الفاطميين (٨) .

---

(٦) انظر البراوي : حالة مصـر الاقتصادية في عهـد الفاطميين ، الطبعـة الاولى ١٩٤٨ ، ص ٨٤ .

— يقول في سنة ٤١٤ ـ ٤١٥ هـ في عهد الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ، نزع السعر وتعذر وجود القوت ، واشتد الغلاء ، وكثر نقص النيل ، وقلت البهائم كلها ، حتى بيع الرأس من البقر بخمسين دينارا .

(٧) ابن الاثـير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١ .

WIET : Op. Cit., p. 216

(٨) انظر فيما سبق الباب الثاني (آل الجراح) ، ص ١٢٧ .

لقد فاجأ صالح بن مرداس نواب الفاطميين في حلب ، فصعد واليها من قبلهم المسمى « ابن ثعبان » الى القلعة ، فحصره صالح بن مرداس بهـا ، وأخيرا اضطر الجند الى تسليمها له في سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م (٩) .

ولم يكتف صالح بن مرداس بدخوله حلب بل انه اراد أن يخضع الى نفوذه المناطق التي حددت له حسب اتفاقه مع القبائل الثلاث . فعمل على تملك البلاد الواقعة بين بعلبك وعانة (١٠) . ولتحقيق ذلك ترك قسما مـن جيشه يحاصر القلعة ، واتجه بالباقي ليأخذ حمص وبعلبك وصيـدا . ولم تأت سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م حتى كانت كافة المناطق خاضعة لملكه ، وخضعت كذلك الرحبة ومنبج وبالس ورافنيه في الشرق (١١) . ثم ضرب صالح بن مرداس دنانير خاصة في حلب مؤرخة في سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م كتب عليها .

لا إله إلا الله محمد رسول الله

الامير أسد الدولة ومقرها وناصحها أبو علي صالح بن مرداس

بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة حلب سنة سبع عشر وأربع مائة (١٢).

ولم تكن الدولة الفاطمية راضية عما حدث في بلاد الشام . فما أن استقرت الامور للخليفة الظاهر لاعزاز دين الله حتى قرر استرجاع حلب وبلاد الشام عامة والقضاء على حركة القبائل فيها (١٣) . فقد جهز في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م جيشا بقيادة انوشتكين الدزبري لقتاله هو وحلفـاؤه .

---

(٩) Encyc of Isl : Article « FATIMIDS », Vol. II., P. I., p. 90

(١٠) العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٤٧ .

(١١) Encyc of Isl : Article « HALAB », Vol. II., P. I., p. 230

(١٢) LANE POOLE : Catalogue of Coins., p. 337

(١٣) LANE POOLE : Egypt in the Middle ages., p. 160

وسار صالح بن مرداس على رأس قواته من حلب إلى الاقحوانة على نهـر الاردن حيث جرت المعركة التي انتصر فيها انوشتكين على صالح بن مرداس، وحسان بن الجراح [١٤] . وعلى الرغم من أن صالح بن مرداس كان يركب على فرسه المشهور فقد قتل ، اذ وقف به فرسه ولم ينهض ، فلحقه رجل من من العرب يعرف بطريف وهو من قبيلة فزاره فضربه بالسيف في رأسه ، وكان مكشوفا . فصاح صالح ووقع على الارض وقطع رأسـه [١٥] . وأرسلت جثته إلى صيدا لتصلب على بابها ، وأرسل رأسه إلى مصـر في يوم الاربعاء ٨ جمادى الاولى سنة ٤٢٠هـ /٢٦ مايو ١٠٢٩ م [١٦] م . وكذلك قتل الابن الاصغر لصالح [١٧] ، بينما فر ابنه الاكبر « شبل الدولة » نصر ابن صالح الى حلب ودخلها [١٨] . واستولى انوشـتكين الدزبري على جنوب بلاد الشام ، ودخل دمشق ثم كتب الى الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله كتابا يبشره فيه بالنصر ، ويذكر له مقتل صالح .

---

(١٤) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٤

(١٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٣ (يذكر انه عندما حمل احـد أهل البادية رأس صالح بن مرداس الى انوشتكين الدزبري نزل عـن فرسه ، وسجد لله شكرا على ما أولاه من الظفر ، وركب وأخذه بيده وجعله على ركبته) .

(١٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٢ .
— العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ورقة ١٤٧ .

(١٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٢ ، يذكر قتل صالـح فقط بينما ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٣٣ يذكر قتل صالح وابنه الاصغر .

(١٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٢ .
— WIET : Op. Cit., p. 217

وقد مدح الشاعر ابن حيوس انوشتكين الدزبري بعد انتصاره في هذه الموقعة قائلا :

يومان للاسلام عز لديهما ... دين الاله وذلت الاعراب

طلبوا العقاب ليسلموا بنعومهم ... فابتزهم دون العقاب عقاب

واستشعروا نصرا فكان عليهم ... وتقطعت دون المراد رقاب

كانوا حديدا في الورى لكنهم ... لما اصطلوا نار المظفر ذابوا (١٩)

× × ×

(١٩) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٥
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٥٣ .

في عهد نصر بن صالح :

بعد معركة الاقحوانه ، ومقتل صالح بن مرداس ، وابنه الاصغر نجا ابنه الاكبر شبل الدولة نصر بن صالح من القتل ، وفـر الى حلب وملك البلد ، بينما ملك أخوه ثمال القلعة • وبعد فترة لا تزيد عن سنـة أي في سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م انفرد نصر بن صالح بالامر في القلعة والبلد • وثبت مركزه في شمال الشام [1] •

في تلك الاثناء ، وبعد مضي بضعة أشهر على هزيمةصالح بن مرداس، أي في سنة ٤٢١هـ/١٠٣١م ، فاجأ البيزنطيون نصر بن صالح بجيوشهـم بقيادة دوق انطاكية • وقد ظنوا أن حلب أصبحت لقمة سائغة لهم ، بعـد انهزام حكامها في معركة الاقحوانة ، ومقتل صالح بن مرداس وابنه • ولكن نصر بن صالح ، استطاع بمعونة أهالي حلب ، الحـاق هزيمـة منكـرة بالبيزنطيين ، اذ أنه لحق بهم في المزاز ، وقبل وصولهم الـى حلب [2] ، وقتل اعدادا كبيرة منهم • مما أدى الى هزيمة صاحب انطاكية [3] • وعلى الرغم من أن نصر بن صالح قد حقق نصرا على البيزنطيين في هذه المعركة ، الا أنه استمر ــ فيما يبدو ــ في دفع الجزية التي كان قد فرضها البيزنطيون على حلب منذ حكم الحمدانيين • ومما يثبت ذلك أنه في سنة ٤٢٣هـ /

---

(١) Encyc of Isl : Article « HALAB », Vol. II., P. I., p. 230

(٢) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٥

(٣) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٤

ــ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٥٤ •

ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ص ٥٧٧ •

١٠٣٢م جرت محاولة لعقد معاهدة بين الفاطميين والبيزنطيين واشترط الامبراطور البيزنطي آرجير Argyre لعقدها ثلاثة شروط [٤] :

ويهمنا الشرط الثاني الذي طلبه الامبراطور البيزنطي ، وهو أن لا يلحق أي ضرر ولا يتعرض لمدينة حلب ، وأن يستمر في دفع الجزية السنوية المقررة عليها للامبراطورية البيزنطية . وقبل الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله الشرطين الآخرين ورفض هذا الشرط لانه لم يكن يرغب أن تذكر حلب على أي نحو في هذه المعاهدة . وكان من الممكن أن تعقد هذه المعاهدة لولا رفض الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله للبند الخاص بحلب . وقد كانت المعاهدة المعقودة بين حكام حلب والبيزنطيين منذ سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م قد جددت مرتين في سنة ٣٧١هـ/٩٨١م وفي سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م [٥] .

ويبدو أن الامبراطور البيزنطي تساهل بعد مدة فيما يختص بالبند المتعلق بحلب ، وعقد صلح بين البيزنطيين والفاطميين في سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨ م في عهد الخليفة المستنصر بالله. فقد هاجمت القوات الفاطمية مدينة حلب في هذه السنة ، وأطلق الامبراطور البيزنطي خمسة آلاف مسلم أسير. وفي مقابل ذلك سمح له الخليفة المستنصر بالله باعادة بناء كنيسة القيامة . وقد انفق عليها الامبراطور أموالا جزيلة فجاء البناء تحفة للناظر . وقد ترك لنا ناصري خسرو وصف هذه الكنيسة أثناء رحلته الى الشام بعد عشر سنوات من اعادة بنائها [٦] .

---

(٤) عن هذه الشروط راجع فيما سبق الباب الثاني « آل الجراح » ص ١٣٢ ، حاشية ١٦١ .

(٥) WIET : Op. Cit., p. 221 — 222

(٦) WIET : Ibid., p. 223 نقلا عن ناصري خسرو

وعلى الرغم من انتصار نصر بن صالح على البيزنطيين ، وعلى الرغم مما كان يحرص عليه البيزنطيون من محاولة المحافظة على الوضع الراهن في حلب ، فان نصر بن صالح المرداسي لم يكن يأمن تكرر الغارات البيزنطية عليه . ولهذا أراد بعد قتاله مع البيزنطيين أن يدعم مركزه في حلب بالاعتماد على الفاطميين ، وخاصة وأنه كان يخشى قائدهم انوشتكين الدزبري الذي أصبح واليا للفاطميين في بلاد الشام . فأرسل الى الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله رسوله أبو الحسن بن الايسر (٧) حاملا له هدية كبيرة مما غنمه من البيزنطيين . وكان نصر بن صالح المرداسي يقصد بما أرسله للخليفة أظهار مقدرته في حكم حلب ، وانتصاره على البيزنطيين . وكانت هدينه تتألف من الثياب والصباغات ، والآلات والاواني ، والالطاف الكثيرة ، وقد قاد رسول نصر في صحبته مائة وخمسين رأسا من الدواب خيلا وبغالا (٨) .

وصلت هذه الهدايا الى مصر ، ووقعت موقعا حسنا من نفس الوزير الفاطمي أبي الحسن الجرجرائي ، فأكرم رسول نصر وخلع عليه . وفي تلك الاثناء وفي فترة وجود رسول نصر بن صالح بن مرداس في مصر ، توفي الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ، وخلفه ابنه المستنصر بالله (٩) . وقد بدأ المستنصر عهده بأن خلع على الرسول وسير معه خلعا لنصر بن صالح ولقبه

---

(٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٢٤٧ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٧٥ (وهي لمحمد بن مؤيد الملك) .

(٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٧ .
- ابن القلانسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٧٥ (وهي لمحمد بن مؤيد الملك) .

(٩) ان ذلك يجعلنا نحدد أن ارسال هذه السفارة الى مصر كان بين سنة ٤٢٦ — ٤٢٧ هـ .

« مختص الامـراء ، خـاصة الامامـة ، شمس الدولة ، ومجدهـا ذو العزيمتين » (١٠) ـ• وعلى هذا النحو أصبح نصر بن‌صالح في امارته في حلب متمتعا برضاء الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وتأييده •

وقد اجتمع في أيام امارة نصر بن مرداس في جبل السماق (١١) جماعة عرفوا بالدروز وجاهروا بمذهبهم ، وخربوا مـا عندهم من المساجـد ، ودفعوا نبوة الانبياء ، ولم يعترفوا الا بالامام الذي يدعو اليه الدرزي • وتفاقم أمرهم وانضم إليهم جماعة من فلاحي حلب طمعوا في الاستيلاء على البلاد • فحاربهم نصر بن صالح وأخرجهم بعد أن قبض على دعاتهم وقتلهم في شهر ربيع الاول سنة ٤٢٣هـ/فبراير ١٠٣٢م (١٢) •

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن نصر بن صـالح بن مرداس على الرغم من حصوله على رضاء الدولة الفاطمية وتأييد خليفتها المستنصر بالله فان بعض ولاة الفاطميين في الشام كانوا يحقدون عليه • ومن هؤلاء جعفر ابن كليد الكتامي الذي كان في حمص ، فقد لعب هذا دورا كبيرا في اغراء انوشتكين الدزبري بقتال نصر بن صالح بن مرداس وأخذ حلب منه (١٣) • ولما كان انوشتكين الدزبري يطمع في اخضاع بلاد الشام له بما فيها الشمال فقد وجد جعفر بن كليد الكتامي أذنا صاغية من قبله •

---

(١٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٧ •
ـ الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٢ •

(١١) جبل السماق بالقرب مـن حلب تقـع عليه قريـة كبيرة هـي المنياس وسكانها من الاسماعيلية •
ـ LE STRANGE : Op. Cit, p. 390

(١٢) ابن العديم المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٨ •

(١٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٠ •
ـ ابن القلانسي : المصـدر السابـق ، حاشـية ص ٧٥ وهي لمحمـد بن مؤيـد الملـك •

وقبل أن يبدأ انوشتكين الدزبري صدامه مع نصر بن صالح بن مرداس أراد أن يهيىء الجو له ، وأن يجعل الظروف الخارجية في صالحه . فأرسل الى امبراطور البيزنطيين يستأذنه في قتال نصر بن صالح ، وأكد له أنه في حال سماحهم له بقتال نصر فانه سيؤدي لهم ما على نصر من الحمل المقرر (١٤) . ونتيجة للمفاوضات التي جرت بين الطرفين عقدت معاهدة بينهما وقد جمدت هذه المعاهدة الوضع مع البيزنطيين ، وسمحت لقائد الفاطميين الدزبري أن يواجه المرداسيين في حلب (١٥) . والغريب في الامر أن البيزنطيين وافقوا على ما طلبه أنوشتكين الدزبري منهم في حلب ، بعد أن كانوا يشترطون في معاهداتهم عدم تدخل الفاطميين فيها . وعلى ما يبدو أن الاوضاع الداخلية في الامبراطورية البيزنطية في تلك السنة لم تكن تسمح لهم بالوقوف في وجه الفاطميين .

وبدأ أنوشتكين الدزبري بتنفيذ مخططه في شمال بلاد الشام . فاستمال إليه جميع العرب من طائيين ، وبعض الكلابيين . واعتمد بشكل خاص على الكلبيين بزعامة أميرهم رافع بن أبي الليل (١٦) وأمرهم بالتوجه لقتال نصر بن صالح بن مرداس . واتجه بقسم من جيشه قاصدا حماه ، بينما توجه بقية جنوده حتى وادي الملوك شرقي الرستن (١٧) .

---

(١٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥١ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦ (ويذكر ان الخليفة المستنصر بالله هادن في سنة ٤٢٩ هـ ملك الروم ، وشرط عليه اطلاق خمسة آلاف أسير) .
— WIET : Op. Cit., p. 223
(١٥) WIET : Op. Cit., p. 223
(١٦) انظر فيما سبق الباب الثاني « بنو كلب » ص ١٤٩ و ١٥٥ .
(١٧) انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥١ .

وعلم نصر بن صالح بمسير أنوشتكين الدزبري إليه ، ولم يكن قد أعد للامر عدته . فجمع جنوده ، ونزل على تل غربي سلمية [18] حيث تلاقى الجمعان . وعلى الرغم من أن نصر بن صالح استنجد بقريبه شبيب ابن وثاب النميري ، فانه لم يستطع الصمود طويلا ، وانهزم مع أصحابه . واستطاع أنوشتكين الدزبري بعد هذا اللقاء الاول أن يدخل حماه ويسيطر عليها .

ولم تنته المعارك بين الطرفين بعد هذا اللقاء الاول ، إذ ان انتصار أنو شتكين الدزبري وجنوده لم يكن حاسما . فقد احتفظ نصر بن صالح ابن مرداس بقوته ، مما اضطر أنوشتكين الدزبري أن يقاتله ثانية عند تل فاس غربي لطمين [19] . وعلى الرغم من أن نصر بن صالح كان قد رتب جيشه ونظمه ، وقسمه الى قسمين أحدها بقيادته والآخر بقيادة أخيه ثمال ابن صالح ، فان القسم الثاني من جيشه والذي كان بقيادة اخيه انهزم ودخل حلب . فثبت نصر المرداسي مع أصحابه وقاتل قتالا شديدا . ولكنه ما لبث أن طعن ووقع واحتز رأسه ، وذلك في ١٣ شعبان سنة ٤٢٩هـ/ ٢١ مايو ١٠٣٨م [20] ، وحمل رأسه الى انوشتكين الدزبري . وأما جثته فقد صلبت على حصن حماه إلى أن أمر أنوشتكين بانفاذ ثياب وطيب وتكفينها في تابوت ودفنها في المسجد [21] .

---

(١٨) محمد راغب الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٦ (ويحدد فيذكر أن المعركة جرت على نهر العاصي بين كفر طاب وحماه) .

(١٩) كورة بحمص وبها حصن وهي قريبة من أفامية .
— ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥١ .

(٢٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥١ .
— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٢ .
— العمري : مسالك الابصار ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ورقة ١٤٧ .

(٢١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٢ ويذكر ان الذي قتله هو ريحان الجويني .
— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

وقد مدحه الشاعر ابن حيوس بعد انتصاره على نصر بن صالح بن مرداس بقصيدة قال فيها :

ولما طغى نصر أتحت له الردى   ولم ينجه الجمع الكثير ولا الحشد[٢٢]

وكان ثمال بن صالح قد فر إلى حلب وبرفقته شبيب بن وثاب النميري ودخلها يوم الثلاثاء ١٦ شعبان من نفس السنة وملك حلب . وأراد أن يقف موقفا حازما في وجه أنوشتكين الدزبري . فأخذ وعدا من مشايخ حلب بالمعونة والنصر . ولكن خليفة بن جابر الكعبي الذي لم يكن مخلصا لثمال والمرداسيين حذره من خذلان عشيرته قائلا له (ربما خذلتك عشيرتك، وقعد بك أهل البلد ، ولم يمكنك الثبات والمقاومة ولا الانصراف على حال السلامة) [٢٣] .

لذلك خشي ثمال بن صالح بن مرداس بعد تحذير خليفة بن جابر الكعبي لانه كان يدرك قوة أنوشتكين الدزبري . وقد رأى مصير أبيه وأخويه على يده . فرأى أنه من المصلحة ترك حلب ريثما يعد العدة للمعركة القادمة . وذهب يستنجد باخواله بني خفاجه بعد أن ولى على قلعة حلب مقلد بن كامل بن مرداس وعلى المدينة خليفة بن جابر الكعبي [٢٤] .

ولكي يتسميل ثمال بن مرداس الاهالي إلى طاعته ويضمن وقوفهم إلى جانبه اذا ما عاد ثانية لاخذ حلب ، أطلق للتجار ديونا كانت لهم على أخيه مقدارها ثلاثين ألفا ذهبا ، وأخذ زوجة أخيه [٢٥] وأولاده ، وأخذ من

---

(٢٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٧ .
(٢٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٥ .
(٢٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٥ .
— العيني : المصدر السابق ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ورقة ٦ .
(٢٥) هي علوية اخت شبيب بن وثاب النميري . وزوجه نصر بن مرداس ثم تزوجها ثمال بعد موت اخيه وتعرف بالسيدة .

المال والآنيةوالذهب والفضة والثياب ما قدر على حمله وساروا جميعا الى الجزيرة [٣٦] .

ولم يكن خليفة بن جابر الكعبي مخلصا لثمال ولاهالي حلب . بل كان يراسل أنوشتكين الدزبري ، والمقدم على عسكره في تسليم البلد ، وكان الدزبري في طريقه اليها . فسار حتى نزل على جبل جوشن [٢٧] ظاهر حلب . فأغلق أهل حلب أبوابها دونه ، وقاتلوه . ولكنه استعمل معهم السياسة والملاينة فاستطاع بذلك أن يستميلهم إليه . ومنحهم الامان ففتحوا له الابواب فدخلها في يوم السبت الرابع من رمضان سنة ٤٢٩هـ/ ١١ يونيو ١٠٣٨م [٢٨] .

أما القلعة فلم تستسلم له ، وكان فيها مقلد بن كامل بن مرداس ابن عم شبل الدولة . فتراسلا واستقر الامر بينهما على أن يأخذ المقلد من القلعة ثمانين ألف دينار وثيابا وفرشا وأواني ذهب وفضة وأن يسلمها بما فيها لانوشتكين الدزبري . ولما كان مقلد يخشى أن يغدر به الدزبري فانه ذهب بما أخذه من أموال ، ولحق بثمال بن صالح بالجزيرة .

ومدح ابن حيوس أنوشتكين الدزبري لفتحه حلب بقصيدة يقول فيها :

هل بعد فتحك ذا لباغ مطمع ۝ لله هذا العزم ماذا يصنع [٢٩]

---

(٢٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢٧) قرب حلب ــ انظر :

— LE STRANGE : Op. Cit., p. 61

(٢٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٦ .

— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

— WIET : Op. Cit., p. 223

(٢٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٧ .

في عهد ثمال بن صالح :

بعد الانتصار الذي حققه أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري على نصر ابن صالح خضعت له حلب ومناطق بلاد الشام الشمالية كلها [١] ، فعظم شأنه ، وكثر ماله [٢] ، وأخذ يرتب أموره بها قبل أن يعود لدمشق حيث سيقيم .

ومنذ ذلك الوقت بدأت الفترة التي خضعت فيها حلب للفاطميين ، وهي الفترة المحصورة بين سنة ٤٢٩ هـ/١٠٣٨م حتى سنة وفاة انوشتكين الدزبري في ٤٣٣هـ/١٠٤١م . ولم يكن انوشتكين الدزبري قائدا ممتازا فحسب ، بل كانت لديه قدرة سياسية كبيرة . فقد استطاع بما اوتيه من كفاءة ادارية أن يقضي على معارضة الاهالي للحكم الفاطمي . فأخرج من حلب كل من كان يشك في انحيازه إلى المرداسيين ، كما أنه أحسن الى الباقين ورد إليهم كل ما كان صالح بن مرداس قد اغتصبه من أملاكهم [٣] .

وبقي أنوشتكين الدزبري بحلب حتى انقضت أيام عيد الاضحى ثم سار الى دمشق ، ولكنه كان يخشى ثمال بن مرداس وبقاءه في الرحبة قريبا من حلب وقريبا من البيزنطيين في نفس الوقت . فقد علم أن البيزنطيين راسلوه وحرضوه على قتاله لانهم كانوا يخشون قوة الفاطميين [٤] . وقد

---

(١) النابلسي : تاريخ الفيوم ، ص ١٦٩ .
(٢) ابو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٨ .
(٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٧ .
(٤) العيني : المصدر السابق ، مجلد ٢٠ ، جزء ١ ، ورقة ١٦ .
— الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٨ .
— WIET : Op. Cit., p. 223

حدث أن أحبط أنوشتكين الدزبري مؤامرة حاكهاضده البيزنطيون بالاتفاق مع ثمال بن مرداس ، لذلك رأى أن يعمل على محاصرته • فاشترى قلعة دوسر [٥] ليكون مطلا عليه منها ، وليراقب تحركاته • ولكي يكون الحصار أكثر فاعلية فانه رأى أن يعقد مصاهرة مع نصر بن مــروان • وفي نفس الوقت قام بمراسلة ثمال ، واغرائه بالمال ليستميله وليخفف من نار الحقد التي كانت تلتهب في صدره ضد قاتل أبيه وأخويه ، والقائد الذي استولى على أملاكه ، فأرضاه بأن دفع اليه خمسين ألف دينار [٦] •

وهكذا استطاع بحسن سياسته ومقدرته العسكرية أن يضمن خضوع المنطقة لسلطانه فأشعل ذلك نار الغيرة في نفس الوزير الجرجرائي • فقد حسده الجرجرائي على مركزه الذي حصل عليه في بلاد الشام ، اذ أصبح الشام كله خاضعا له كما حسده على حب وتقدير الخليفة المستنصر لــه • فقد كان يقدر له ما قام بن من اخضاع الشام كله ، وجعله قبضة الدولــة الفاطمية قوية فيها ، وســكه في حلب عملة تحمل اسم الخليفة المستنصر بالله [٧] • وكان الخليفة يقدر له أيضا وقوفه في وجه البيزنطيين • الامــر الذي أدى أن يسود السلام في كل ربوع الشام في عهده [٨] •

وبالاضافة الى ذلك فقد غضب الجرجرائي لقضاء أنوشتكين الدزبري

---

(٥) قلعة دوسر التي عرفت بقلعة جعبر ، تقع على ضفة الفرات الشرقية . وغربي الفرات مقابل هذه القلعة يوجد سهــول صفين ، حيث جــرت المعركة بين علي ومعاوية .

— LE STRANGE : Op. Cit., p. 417

(٦) ابن القلانسي : المصدر السابــق ، حاشية ص ٧٥ (وهــي لمحمــد بن مؤيــد الملــك) .

(٧) عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ، ص ١٤٧ .

(٨) LANE POOLE : Egypt in the Middle ages , p. 160

على نصر بن صالح المرداسي دون أن يستشيره • وكذلك فانه كان يخاف من المصاهرة التي عقدها أنوشتكين مع أمراء المنطقة فبدأ يسعى في الدس عليه [٩] ، واتهمه بأنه يوجد في حاشيته من لا يميل الى المذهب الشيعي وأنه متمسك بوجودهم معه [١٠] •

وبدأ الجرجرائي أعماله العدائية ضد أنوشتكين بأنه طلب منه تسليم حلب لثمال المرداسي ، كما أنه كاتب ولاة الشام بترك الانقياد له ، وحرض جنوده عليه • وليزيد في اضعاف مركزه في حلب فقد عمل على الحصول على توقيع من المستنصر بالله بمنح حلب لثمال بن مرداس [١١] ، وأرسل التوقيع إلى ثمال مشترطا عليه أن يحمل كل ما يجده في قلعة حلب من المال للخليفة المستنصر بالله [١٢] •

وبهذه الطريقة ضعف موقف انوشتكين الدزبري في دمشق ، وخاصة بعد تحريض جنودها عليه ، فهرب منها ليلا إلى حلب ، حيث توفي هناك يوم الاحد منتصف جمادى الاولى سنة ٤٣٣هـ/١٠يناير ١٠٤٢م [١٣] • وبموته

---

(٩) عبد المنعم ماجد : ظهور الدولة الفاطمية وسقوطها ، ص ١٤٧ •

(١٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢ •

(١١) Encyc of Isl : Article « HALAB » Vol. II., P. I., p. 231

(١٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٥٩ •

(١٣) يذكر ابن العديم (المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٠) أن الدزبري رأى الذل بنفسه لما لم يكن له طاقة بدفعهم وزاد همه وغمه حتى مرض مرضا حادا ومات بعد ثلاثة أيام يوم الاحد النصف من جمادى الاولى سنة ٤٣٣ هـ ودفن بحلب •

— ويذكر ابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١) أن الدزبري كان يستدعي الجند الاتراك من البلاد ، فبلغ المصريون عنه أنه عازم على العصيان فتقدموا الى أهل دمشق للخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها الى حلب في ربيع الآخر سنة ٤٣٣ هـ وتوفى بعد ذلك بشهر •

اختلفت الامور ثانية في الشام [١٤] ، وعادت القبائل الى اظهار عصيانها ، وسقطت حلب بيد ثمال بن نصر المرداسي الملقب « معز الدولة » [١٥] .

فقد استغل ثمال فرصة موت أنوشتكين الدزبري ، وخلو حلب من قبضته القوية فجمع بني كلاب وحشد من استطاع من العرب استعدادا لدخوله حلب مستغلا التوقيع الذي حصل عليه من الخليفة المستنصر بالله [١٦] . فجاءها وبرفقته ابن عمه مقلد بن كامل وحاصرا حلب أياما . فاضطر بنجوتكين مولى أنوشتكين الدزبري الى تسليمها في نهاية جمادى الثانية سنة ٤٣٣هـ/فبراير ١٠٤٢م .

أما القلعة فقد اعتصم بها متوليها من قبل أنوشتكين الدزبري ، وثبت على الحصار مدة سبعة أشهر [١٧] ، واضطر أخيرا الى التسليم . فسلم القلعة بجميع ما فيها بعد أن أخذ لنفسه ثلاثين ألف دينار ، ولورثة الدزبري اثنين وثلاثين ألف دينار .

وبذلك عاد ملك حلب الى المرداسيين [١٨] ، واستقر معز الدولة ثمال

---

(١٤) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٥٤٥

(١٥) Encyc of Isl : Article « FATIMIDS », Vol. II, P. I., p. 90

(١٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٠ .

(١٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦١ .

— أما ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١ .
فيذكر ان ثمال بن مرداس حصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة احدى عشر شهرا وملكها في صفر سنة ٤٣٤ هـ .

(١٨) Encyc of Isl : Article « HALAB » , Vol. II, P. I., p. 231

ابن صالح فيها في منتصف صفر سنة ٤٣٤هـ/٥ اكتوبر ١٠٤٢م (١٩) وبعد سنتين (٢٠) وصله تشريف من المستنصر بالله لحسن علاقته بالفاطميين (٢١) • كما أن علاقة ثمال بن مرداس كانت حسنة مع البيزنطيين ، وبشكل خاص مع الامبراطورة تيودورا •

وكان ثمال قد حصل على توقيع بملك حلب من الخليفة المستنصر بالله مشروطا بتسليم ما بقلعتها من المال له • ولكنه على الرغم من حسن علاقته بالفاطميين فانه لم يف بوعده ، و لم يرسل للمستنصر بالله من مال القلعة سوى مائتي ألف دينار • وأما الباقي فادعى أنه تصرف فيه لتعويض ما استنفذه من العدة في القتال الى أن قدر له دخول حلب • ولم يكن هذا فحسب بل ان ثمال كان قد تعهد بدفع عشرين ألف دينار سنويا عن البلاد

---

(١٩) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٤ .

(٢٠) Encyc of Isl : Ibid, p. 231

(٢١) ورد في لين بول (Catalogue of Coins, p. 338) ان الامير ثمال ابن صالح بن مرداس ضرب دنانير كتب عليها ثلاث دوائر .

١ ــ الامام الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين .

٢ ــ الامير أبو علوان ثمال بن الامير أسد الدولة .

٣ ــ محمد رسول الله أرسله . . . الخ

وكتب في المركز الله

ومن المعروف ان ثمال بن مرداس دخل حلب وتسلم امارتها في سنة ٤٣٣ هـ ولم يدخل القلعة حتى السنة التالية ، وان الظاهر لاعزاز دين الله قد توفي قبل ذلك أي في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥ م ولا أدري هل ضرب هذه النقود في حياة أخيه نصر وعندما كان واليا للقلعة من قبل أخيه . ام ان هناك خطأ من قبل المؤرخ . فالمفروض ان تضرب هذه النقود باسم الخليفة المستنصر بالله حيث ان ثمال يعاصره .

التي في يده ، وقد تأخر سنتين عن دفع ما تعهد به [٢٢] . ومما زاد في الجفوة بينه وبين الخليفة المستنصر بالله أن شجاع الدولة جعفر بن كليد والي حمص من قبل الفاطميين كان يظهر للخليفة مساوىء ثمال بن مرداس وتقصيره في حقه ، وكان يغريه به ويسهل له أمر حلب [٢٣] .

ويظهر أن ابن كليد بموقفه هذا استطاع أن يؤثر على الخليفة المستنصر بالله الذي بدأ يشعر بتقصير ثمال بن مرداس فيما تعهد به ،واعتبر ذلك منه عصيانا عليه . فسير إليه الجيوش بعضها اثر بعض حتى تنازل ثمال بنفسه عن حلب في سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م .

وكانت أول الجيوش التي ذهبت لقتال ثمال بن صالح بن مرداس بقيادة ناصر الدولة الحسن بن حمدان في سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م [٣٤] ، وقد

---

(٢٢) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ .
مما يدل على أن حلب وثمال بن مرداس كان في جهة المصريين انه في سنة ٤٣٨ هـ وعندما زار ناصر خسرو حلب وجد أن الوزن في سوقها بالرطل الظاهري وهو اربعمائة وثمانون درهما . مما يدل على خضوع حلب في هذه الفترة للفاطميين ، والرطل الظاهري هو الرطل الذي اعتمد أيام الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله .
انظر ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، طبعة أولى ، ١٩٤٥ ، ص ١٠ ــ ١١ .

(٢٣) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ .

(٢٤) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ .
ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٧٨ .
وناصر الدولة هو الحسن بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الامير المعروف بناصر الدولة وسيفها . تولى أمرة دمشق في أيام الخليفة المستنصر بالله بعد أمير الجيوش الدزبري سنة ٤٣٣ هـ . فلم يزل واليا بها الى أن قبض عليه وسير الى مصر أول رجب سنة ٤٤٠ هـ وولى بعده طارق الصقلبي المستنصري .
انظر ابن عساكر : تاريخ دمشق ، جزء ٤ ، ص ١٧٠ .

أمره الخليفة باصطحاب شجاع الدولة بن كليد معه . وقد يكون الخليفة المستنصر بالله تعمد ارسال ناصر الدولة الحمداني لقتال المرداسيين ، لان الحمدانيين لم يكونوا قد نسوا دولتهم في حلب بعد . وكان ناصر الدولة الحمداني هذا قد عين واليا على دمشق في جمادى الثانية سنة ٤٣٣هـ/ فبراير ١٠٤٣م ، بعد وفاة أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري .

ووصل ناصر الدولة مع جنوده قرب حلب ، بعد ان فتح حماه ومعرة النعمان . فخرج أهل حلب لقتاله ، فهزمهم في المرة الاولى ، ثم أن سيلا فاجأ مضارب القائد الفاطمي ناصر الدولة الحسن بن حمدان . فانسحب عن حلب بجنده عائدا الى دمشق في رجب سنة ٤٤٠هـ/نوفمبر ١٠٤٨م [٢٥] .

لم يكتف جعفر بن كليد بما حدث ، بل بقي يعبث بأراضي حلب . فخرجت إليه جموع من بني كلاب وأهالي حلب برئاسة مقلد بن كامل المرداسي والتقوا بكفر طاب[٢٦] . فلم يصمد ابن كليد طويلا في المعركة ، بل قتل في ٢٤ رمضان من نفس السنة[٢٧] . وبذلك يكون المرداسيون قد انتقموا لمقتل نصر بن صالح المرداسي بقتل المحرض على حربه . وبعد أن تخلص مقلد بن كامل من ابن كليد أصبح الطريق مفتوحا أمامه إلى حماه ، فسار إليها وفتحها . وقد سار منها الى حمص واضطر ابن منزو واليها من قبل الفاطميين أن يستسلم فيها للمقلد بن كامل على أن يمنحه الامان بعد أن شعر بقلة ما لديه من الاموال[٢٨] .

---

(٢٥) المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ص ١٧٠ .
— النابلسي : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .
(٢٦) انظر فيما سبق ص ٢٣٦ حاشية ٧ .
(٢٧) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ .
(٢٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٥ .

ولا شك أن الخليفة المستنصر بالله قد استاء جدا لهزيمة جيوشه أمام المرداسيين ، فقرر أن ينتقم منهم • وعلى الرغم من أن معز الدولة ثمال بن مرداس أرسل إليه معتذرا ، وكاد الخليفة المستنصر بالله يقبل اعتذاره • الا أن بعض أصحاب النفوذ في البلاط الفاطمي ــ وكانوا من دعاة الحروب ــ عملوا جاهدين على اثارة نار الانتقام عند الخليفة المستنصر بالله، وحرضوه على الانتقام[٢٩] لهزيمته • فأرسل جيشا آخر بقيادة أبي الفضل رفق الخادم[٣٠] لقتال معز الدولة ثمال بن مرداس في ٦ صفر سنة ٤٤١هـ/ ١١ يوليه ١٠٤٩م[٣١] ، فحاصر حلب • وكان جيش رفق الخادم يحوي عددا من العرب الكلبيين[٣٢] •

وقد خاف ثمال بن مرداس ان يهزم في المعركة وأن تكون نهايته كأبيه وأخويه • فرأى أن يستميل إليه العرب الكلبيين الذين كانوا في جيش رفق الخادم ، ورسم لهم الخطة التي يجب أن يتبعوها • وما أن بدأت المعركة حتى نفذ العرب الكلبيين الخطة المرسومة وانهزموا فتبعهم بقية عسكر الفاطميين ، وتراجع القائد رفق الخادم نفسه • وليتأكد ثمال ابن مرداس من هزيمتهم ــ لانه كان يخاف ان يكون تراجعهم خدعة ــ رأى

---

(٢٩) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ ــ ٤ •

(٣٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٥ •
ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٥ •
ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦١ •
ــ ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣ ــ ٤ •

(٣١) ابن العديم (المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٥) يذكر الحادثة في سنة ٤٤١ هـ ويقول قيل سنة ٤٤٢ هـ •
بينما ابن القلانسي (المصدر السابق ، ص ٨٥) وابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢) يذكران المعركة في سنة ٤٤١ هـ •

(٣٢) عن دور العرب الكلبيين في المعركة انظر الباب الثاني «بنو كلب» ص١٥٧

أن يلحق بهم حتى جبل جوشن ، حيث استطاع أن يأسره هناك بعد أن أصيب في رأسه • فوضعه في القلعة فمات بها في سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م • أما باقي الاسرى فسيرهم معز الدولة ثمال بن صالح إلى مصر[٣٣] • وبهذا النصر الثاني على الجيوش الفاطمية غنم أهالي حلب غنائم كثيرة •

غير أن ثمال خشي من غضب الخليفة المستنصر بالله على الرغم من انتصاره على الحملات التي أرسلت اليه ، واراد أن يستعطف الخليفة لئلا يقوم بأعمال انتقامية أخرى ، ورأى أن يصلح أمره معه[٣٤] • فأرسل وفدا من رجاله معهم زوجته المعروفة بالسيدة ، ومع الوفد أربعين ألف دينار من مال القلعة وهدايا والطافا فاخرة وتحفا جليلة • ولما وصل الوفد إلى مصر ، أكرم الخليفة المستنصر بالله السيدة غاية الاكرام وحضرت بين يديه ، فقبلت الارض وقالت :

(خصك الله يا أمير المؤمنين بأفضل تحية وسلام) فرد عليها أفضل رد وسألها عمن خلفته بالشام فقالت (في نعيم وخير إن أنعمت عليهم بأمان وذمام حسبما جرت به عادة هذا البيت المنيف من الاحسان والاكرام) • فأعجبه منها سرعة جوابها ، وحسن توصلها ، وقال لها : (أنت المسماة بالسيدة) فقالت (نعم سيدة قومي وأمتك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك) • فقال (ما خيب الله من فوض تدبير أمره اليك ، في هذه الرسالة) • ثم أمرها أن تملي على كاتبها تذكرة ليوقع لها بجميع ما تقترحه

---

(٣٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٦ •
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •
— ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤ •
(٣٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٧ •
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •

توقيعا مفردا وتوقيعا بحلب وسائر أعمالها لمعز الدولة • وقد أضاف بأن أمر لمعز الدولة ثمال بن صالح بتشريف ولجميع بني عمه ، وأفاض عليها ما غمرها وجميع أصحابها وحاشيتها[٣٥] •

وعندما عادت السيدة زوجة معز الدولة ثمال الى حلب اطمأن ثمال، وسكنت نفسه وهدأت ، وارتاح لعلمه أن الفاطميين لن يقوموا بهجوم آخر على منطقته ، وقام بنشر العدل في أرجاء مملكته • وعلى الرغم مما أظهره ثمال بن مرداس من التودد للفاطميين ، فانه على ما يبدو لم يخطب لهم بحلب وانما كان يخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله[٣٦] •

هذا وعلى الرغم من تبادل الرسل بين الفاطميين والمرداسيين ، فان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وحاشيته لم يكونوا مرتاحين لثمال بن صالح ابن مرداس ، ولذلك أمر الوزير اليازوري هبة الله الشيرازي ــ عندما جاء بنجدات للبساسيري ــ أن يقاتل ثمال بن مرداس بجيوش من العرب الكلبيين ، غير أن هبة الله الشيرازي استطاع بما اوتيه من الدهاء وحسن السياسة أن يعيد حلب إلى أملاك الفاطميين سلما بعد أن أعيت جيوشهم حرباً[٣٧] •

فقد جاء هبة الله الشيرازي من مصر نجدة للبساسيري للقضاء على الخلافة العباسية دون أن يكون معه قوات عسكرية منظمة • وكل ما كان يحمله لتحقيق هذا الهدف هو الاموال والخلع والسلاح • فرأى أن من المصلحة الاتصال بثمال بن مرداس ودعوته الى طاعة الدولة الفاطمية ، والاستعانة به وبجيوشه في المهمة التي جاء من أجلها •

---

(٣٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨ •

(٣٦) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٨ •

(٣٧) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١٠٦ •

وتحقيقا لذلك فقد راسل ثمال بن مرداس ، ووعده بأن يجعله الآمر في الاموال التي جاء بها من القاهرة ، وأن يستشيره في كل شيء . وطلب منه أن يساعده في انجاز مهمته فقال له : (اني أسلم نفسي وهذه الخزائن والاموال كلها إليك ، ولا استظهر إلا بمروءتك وانسانيتك في حفظي وحفظها عليك ، فان حفظت الامانة ، أمنك الله من عادية هذه الدولة ما شئت) [٣٨] .

كما كتب إليه موضحا الاسباب التي دعته إلى مراسلته ، ودعوته إلى طاعة الفاطميين قائلا (مولاي ابن صالح تاج الامراء . إنني تقربت إليك للمحاماة عن دماء المسلمين وحريمهم والممانعة عن تليدهم من الذخر وطريفهم ، وخدمة الدولة أدامها الله ، لا تدع لطخة قديمة الا تغسلها ولا علاقة من سحر من تلقاها بالسحر والنميمة فيه إلا تبطلها ، ولا بعيداً من الامل في احسانها إلا تقربة ، ولا ممنوعا من المرام من جهة إلا توجبه)[٣٩] .

وبناء على ذلك فقد قبل ثمال ما عرضه هبة الله الشيرازي ، وتواعدا على أن يقابله بالرستن[٤٠] . وكان لهذا اللقاء أثر كبير في ازالة الخلاف الذي كان قائما بين ثمال بن مرداس والفاطميين . واطمأن كل منهما للآخر[٤١] ، وجدد ثمال البيعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ونتيجة لهذا التفاهم فقد أرسل الخليفة لثمال بن مرداس الخلع والتشريف من مصر في محرم سنة ٤٤٧هـ/ابريل ١٠٥٥م ، وانتهى بذلك ما كان بينه وبين

---

(٣٨) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
(٣٩) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
(٤٠) الرستن مكان يلي حمص على جسر نهر العاصي ـ انظر الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
(٤١) فاضل الخالدي : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

الفاطميين من خلاف[٤٢] .

هذا وقد تواعد ثمال بن مرداس وهبة الله الشيرازي على المسير لنجدة البساسيري ، وأخذا في إعداد العدة للمسير للرحبة[٤٣] . وفي معرة النعمان وفد عليهما فريق من جند البساسيري ، كان قد طال انتظارهم في الرحبة ، فتأكدوا من مسير المساعدات الفاطمية إليهم فعادوا إلى منطقتهم ، بينما رحل كل من ثمال بن مرداس وهبة الله الشيرازي الى حلب . وقبل أن يدخلوها خلع هبة الله الشيرازي على ثمال الخلع الفاطمية النفيسة[٤٤] . ثم سارا إلى الرحبة .

وبينما كان ثمال وقومه ينقلون خزائن المال ، وهي في خفارتهم إلى الرحبة قام أخوه عطية بسرقة الاموال في الطريق[٤٥] فاشتد غضب ثمال ابن مرداس عليه ، وأراد تأديبه وقتاله ولكن هبة الله الشيرازي نهاه . وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك عدة أمور تثير ثمال ، وتجعله يتضايق من ملك حلب ، ومن هذه الامور : —

خروج أخيه عطية عليه وخيانته في المال الذي سلمه إليه[٤٦] . ولم يكن عطية وحده هو الذي كان يثور عليه بل إن قومه تقاعدوا عن نصرته في ساعة العسرة . كما أنهم ثاروا عليه بعد أن هدأت الحالة في حلب . وشعروا بامتناع الجيوش الفاطمية عن مهاجمة المدينة . ولمسوا ما ترتب

---

(٤٢) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١٠٦ .

(٤٣) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

(٤٤) فاضل الخالدي : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٤٥) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(٤٦) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ص ١٧١ .

على ذلك من ازدياد الرخاء واتساع الرزق • وكانوا يمنون عليه بان جميع ما حصل عليه انما كان بجهودهم • وأنه لولا جهودهم ونصرتهم له ما صار الى ما هو عليه • بل اوضحوا له في غير مواربة أنه ليس أفضلهم ، ومن ثم فهو ليس بأحقهم في ملك حلب • وهكذا كان موقف ثمال بين قومه[٤٧] •

هذه الاسباب مجتمعة ضايقت ثمال بن صالح ، فرأى أن يأمن شر قومه ، وأن يكسب في نفس الوقت عطف الدولة الفاطمية وحبها • فكاتب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في أن يسلم اليه قلعة حلب[٤٨] على أن يعوضه عنها أماكن تبعد عن مواطن الكلابيين • فأجابه الخليفة المستنصر بالله الى ذلك ، وأعطاه عوضا عنها بيروت وعكا وجبيل[٤٩] •

وقد أرسل الخليفة المستنصر بالله نوابه لاستلام حلب من معز الدولة ثمال بن مرداس[٥٠] • فتقلد أبو علي بن ملهم الحرب والخراج بحلب ؛ وتولى القلعة ركن الدولة[٥١] في ذي القعدة سنة ٤٤٨هـ/يناير ١٠٥٧م ، بعد أن رسم لهم ثمال بن مرداس طريقة تسليمها لئلا يقوم الأحداث بثورة

---

(٤٧) Encyc of Isl : Article : « HALAB » , Vol. II, P. I., p. 231

(٤٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٣ •
— ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •

(٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٣ •
Encyc of Isl : Ibid,. p. 231

(٥٠) هبه الله الشيرازي : السيرة المؤيدية ، ص ١٧٢ •
— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٦ •
— ابن الأثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •

(٥١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٤ •

فيها[٥٢] . وسار معز الدولة ثمال بن مرداس إلى مصر ، فاستقبله الخليفة المستنصر بالله استقبالا حسنا وأحسن اليه وأكرمه ، ولقي منه ما لم يلقه أحد . وفي ذلك يقول ابن العديم (وجعل له كل يوم ثلاثمائة دينار إلى أن وصل إلى مصر ، وأعطى ما لم يعط أحد من المال والجوهر والآلة ، وكان ذنب دابته عند رأس دابة السلطان ، واعتل معـز الدولة ثمال بن مرداس في مصر ، فركب السلطان ووقف على باب داره حتى خرج إليـه وسأله عن حاله[٥٣]) . وبقيت حلب أربع سنوات يخطب فيها للخليفـة المستنصر بالله .

وأقام والي حلب من قبل الفاطميين مكين الدولة في حلب ، وأحسن السيرة مع الحلبيين ، ورخصت الاسعار في أيامه . واستمر الامر على ذلك النحو الى أن تجمع بنو كلاب وامتدت أطماعهم الـى حلب ، بعـد أن استعادوا الرحبـة أثر مقتل البساسيري على يد طغرلبك .

فقد استفاد بنو كلاب برئاسة عطية بن صالح بعد استلامهم الرحبة وأخذهم منها جميع ما تركه البساسيري بها من السلاح الذي لم ير مثله كثرة ولا جودة ، وما تركه بها مـن الاموال الكثـيرة . ومن ثم بدأوا يتطلعون إلى تملك حلب ، ولم يكونوا راضـين عن تسليمها للفاطميين . فاستدعوا محمود بن مرداس ليخلصهم من حكم نواب الفاطميين . وكان محمود نفسه يطالب بحلب باعتبارها كانت لابيه نصر ، وهي له من بعده . فجاء يحاصر حلب في جمادى الاولى سنة ٤٥٢هـ/يونيو ١٠٦٠م ، إلا انه لم يستطع دخولها بعد أن حاصرها سبعة أيام ، واستغل أحداث حلب حصار محمود بن مرداس لها . فطلبوا من مكين الدولة بن ملهم مزيدا من الاموال ، ولكنه لم ينفذ رغبتهم وقال لهم (قد أخذتم واجبكم المقرر على

(٥٢) عن الاحداث بحلب انظر الشيرازي ، ص ١٧٢ .

(٥٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٤ .

الكمال ، وتسلفتم أيضا ، فلا تطمعوا في وصول شيء آخر إليكم) • عند ذلك أرسل هؤلاء الى محمود بن نصر أن يعود الى حلب حتى يسلموها إليه • وجاءها فسلمت اليه في يوم الاثنين مستهل جمادى الثانية سنة ٤٥٢هـ/يوليو ١٠٦٠م • وقطعت الخطبة منها للخليفة المستنصر بالله بعد أن دامت زهاء أربع سنوات(٥٤) •

غير أن مكين الدولة بن ملهم تحصن بالقلعة ، وأرسل في طلب نجدة من مصر • فأرسل المستنصر بالله الى حلب في السادس عشر من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٢هـ/١٩ ابريل ١٠٦٠م جيشا بقيادة الامير ناصر الدولة أبو علي الحسين بن حمدان(٥٥) • وعندما وصل الاخير الى أفاميه أخذ يقرب اليه بعض بني كلاب وأعطاهم خلعا فاخرة ، وكان يفعل ذلك ليضعف مركز محمود في حلب •

وإزاء هذه السياسة التي اتبعها ناصر الدولة اضطر محمود بن نصر ابن مرداس أن يخرج من حلب ، فنزل مكين الدولة بن ملهم وأصحابه من القلعة فنهبوا المدينة بما فيها من قياسر وأخذوا أموال التجار وقتلوا من وجدوه بها من الاحداث(٥٦) •

---

(٥٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٧ .
ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٧٩ .
ــ ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢ .

(٥٥) هو الحسين بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب بناصر الدولة ، ولي امارة دمشق سنة ٤٥٠ هـ ، فمكث سنتين أميرا ثم ندب لقتال بني كلاب فجرت بينه وبينهم موقعة في حلب تعرف بواقعة الفنيدق فكسر وخرج منها منهزما. وولي دمشق مرتين . وولي دمشق بعده سبكتكين .
ــ صلاح الدين الصفدي : المصدر السابق ، ص ٢٦ .
ــ ابن عساكر : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٩٠ .

(٥٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٨ .

ولما وصل ناصر الدولة إلى حلب ، وأراد أن يأخذ دورة في النهب ، قيل له ان أصحاب مكين الدولة قد سبقوك ولم يبق لك ولاصحابك إلا الاسم بلا فائدة • ومن ثم فرض عليهم خمسين ألف دينار مقابل بقاء محمود بن مرداس ، وخرج ابن ملهم منها • ولما لم يستطع أهل حلب دفع ذلك هددهم بالحرب[٥٧] •

وخرج ناصر الدولة من حلب ، ونزل بالفنيدق[٥٨] حيث التقى بقوات محمود بن مرداس • وعلى الرغم من أن عدد جنود محمود لم تبلغ الالفين، بينما كانت جنود ناصر الدولة تزيد على خمسة عشر ألفا ، فانه انتصر عليه وتمكن من أسره في رجب سنة ٤٥٢هـ/أغسطس ١٠٦٠م •

وعلى هذا النحو انتهت هذه المحاولة لابعاد المرداسيين عن حلب • ويئس والي حلب ، ووالي القلعة من قبل الفاطميين من وصول نجدة أخرى إليهما من مصر ، ورأيا أنه لا بد من أن يستسلما لمحمود بن نصر المرداسي• فأرسلا من يأخذ لهما منه عهدا وأمانا • ثم سلما القلعة له في ١٠ شعبان ٤٥٢هـ/٨ سبتمبر ١٠٦٠ م • وأرسل محمود كل من كان في أسره من الامراء والقواد الى مصر بعد أن أحسن إليهم •

لقد كانت بلاد الشام في تلك الفترة تعاني من فوضى سياسية ، مؤامرات ، وخيانات ، وعهود تمزق ، واتفاقات تنقض ، وتذبذب في الولاء بين العباسيين والفاطميين والبيزنطيين وأخوة يقتتلون فيما بينهم ولم

---

(٥٧) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٨ •

(٥٨) الفنيدق : من أعمال حلب . وكانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف بتل السلطان •

— انظر ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٨ •

يتورعوا عن الاستنجاد بالبيزنطيين • في هذه الفوضى كانت حلب تنتقل من يد الى يد • وأبرز دليل على هذه الفوضى أنه تناوب حكم حلب ثلاثة حكام في ثلاثة أيام(٥٩) • ويمكننا أن نقول أنه خلال الفترة الممتدة من سنة ٣٨١هـ/٩٩١م حتى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م حوصرت حلب من قبل الفاطميين اثنتين وعشرين مرة (٦٠) •

وكان معز الدولة ثمال بن صالح في مصر عندما استولى ابن أخيه محمود بن نصر المرداسي على حب ، وطرد ابن ملهم منها • ولما علم الخليفة المستنصر بالله بهذه الامور أخذ من ثمال عكا وبيروت وجبيل ، وقال له : (ان هذه الاماكن أخذتها عوضا عن حلب ، وقد عادت الى ابن أخيك ، فتمضي إلى حلب وتستعيدها منه • فقال له : ان نوابكم فرطوا فأعينوني بمال) • فأعانوه على ذلك وسيروه إلى حلب ، بعد أن لقبه الخليفة الأجل الاعز تاج الامراء ، عماد الملك ، سيف الخلافة ، عضد الامامة ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ذو الفخرين ، مصطفى أمير المؤمنين(٦١) •

ووصل معز الدولة ثمال بن صالح إلى حلب بعد أن انضم اليه عدد

---

(٥٩) SAUVAGET : Alep. Essai sur le Development d'une grande Ville Syrienne des Origines an inilieu du XIX sude, Paris 1941 , p. 89

— زامباور (المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٥١) ويذكر اسماء الولاة وهم : ابن ملهم ، ورشيد الدولة المرداسي الثائر ، وناصر الدولة الحمداني •

(٦٠ SAUVEGET : Op. Cit., p. 95

(٦١) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨١ •

— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •

من أفراد قبيلته في حمص وحماه • وقد اضطر ثمال بن مرداس لحصار حلب مرتين حتى استطاع دخولها • ولم يكن محمود راضيا عن ترك حلب لعمه ، فقد كان يرى أنه أحق منه بها • ولكن ثمال بن صالح كان مؤيدا من الخلافة الفاطمية • ولهذا أوضح محمود بن مرداس لمشايخ عشيرته أحقيته في أخذ حلب بعد أن توسطوا بالصلح بينهما ، وقالوا له (إن عمك بمنزلة والدك ، فتأخذ من الاعمال ما شئت ، قال هذا صحيح ، ولكنه ضيع مملكتنا وارثنا ، وقد استعدتها بسيفي وبذلت فيها مهجتي) • وانتهى الامر بالصلح بينهما في يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٣هـ/١٩ ابريل ١٠٦١م • ولما تم ذلك كاتب معز الدولة ثمال ابن صالح بن مرداس الخليفة المستنصر بالله ، وأعلمه بظفره في حلب • فأرسل الخليفة المستنصر بالله خلعا له ولاخيه ولاولاده[٦٢] • ولكن حكمه لحلب لم يدم طويلا ، فما لبث أن مرض واستدعى أخاه عطية بن صالح وأوصى له بحلب ، وولاه الامر من بعده • وفي ذي القعدة سنة ٤٥٤ هـ/ نوفمبر ١٠٦٢م توفى ثمال بن صالح بن مرداس[٦٣] •

× × ×

(٦٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٦ •
— Encyc of Isl : Article « HALAB », Vol. II., P. I., p. 231

(٦٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٧ •
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٢ •

موقف أمراء العرب بالعراق من الفاطميين ودعاتهم

تولى عطية بن صالح ولاية حلب حسب وصية أخيه معز الدولة ثمال ابن صالح بن مرداس . فلم يرض محمود بن نصر [1] بهذه الوصية ،محتجا بقوله : (ان معز الدولة شرط على نفسه أن يرد علي البلد عند موته لما تسلمه مني ؛ وأنا أخذته بسيفي من المصريين عن غلبة وقهر ، وهو ارثي عن أبي) .

ووقعت بين عطية ومحمود عدة معارك انتهت باستيلاء محمود بن نصر ابن مرداس على حلب وذلك في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م [2] . وعلى الرغم من أن محموداً استولى على حلب بالقوة ، فانه كان يدعو للدولة الفاطمية ، وظل على ذلك حتى كانت الشدة العظمى التي حلت بمصر والتي امتدت من سنة ٤٥٧ـ٤٦٣هـ/١٠٦٤ـ١٠٧٠م [3] . وقد أثرت هذه الشدة تأثيرا كبيرا على قوة مصر وعلى أحوالها الاقتصادية ، بينما كان السلطان السجلوقي ألب ارسلان المالك لامور الدولة العباسية في أوج قوته ، وقد ملك المناطق القريبة من حلب [4] .

ففي أثناء تلك الشدة العظمى التي حلت بمصر شعر محمود بن مرداس بضعف الدولة الفاطمية ، بينما كان السلطان ألب أرسلان قويا ويحارب البيزنطيين وينتصر عليهم . وخاف محمود من قوة السلاجقة ففضل أن

---

(١) Encyc of Isl : Article « HALAB » , Vol. II., P. I., p: 231

(٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) عن هذه الشدة انظر :

ـ البراوي : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٤) ابن الشحنة : روضة المناظر ، ص ٦٤ .

يخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله [٥] ، ومن بعده للسلطان العادل ألب آرسلان ثم لنفسه . فوصلته الخلع من الخليفة القائم بأمر الله ومن السلطان ألب أرسلان . وقد أوضح محمود بن مرداس ذلك فيما قاله لاهالي حلب حين جمعهم اذ قال لهم : (قد ذهبت دولة المصريين ، وهذه دولة جديدة ، ومملكة سديدة ، ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم ، والرأي أن نقيم الخطبة خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل) [٦] .

وصمم محمود بن مرداس على أن ينفذ ذلك بحزم ، فأوعز الى أحد رجاله بالوقوف على باب الجامع لقتل كل من يخرج منه ممتنعا عن الصلاة ، وسماع الخطبة [٧] . ولما علم المشايخ بذلك نبهوه الى عواقبه ، وطلبوا منه ألا يفعل ذلك لئلا تقع فتنة بين الناس . ودخل العامة المسجد وأخذوا الحصر التي فيه ، وقالوا : (هذه حصر علي بن أبي طالب ، فليجيء أبو بكر بحصر حتى يصلي عليها الناس) [٨] . وكان ذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م [٩] .

---

(٥) Encyc of Isl : Op. Cit., p. 231

(٦) بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٧) ابن الدواداري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

— Encyc of Isl : Article « HALAB » , Vol. II., P. I., p: 230

(٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٨ .

— ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٨ .

— ويذكر ابن الاثير (المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٠٨) أن تغيير الدعوة للعباسيين كان في سنة ٤٦٣ هـ . وسبب ذلك انه لما رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها جمع اهل حلب وقال : هذه دولة جديدة ومملكة سديدة ، ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم ، والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأت وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل .

وعلى الرغم من أن الخطبة أقيمت للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي الا أن المؤذنين ظلوا يؤذنون بحي على خير العمل • فالمصادر تؤكد أنه عند وصول ألب أرسلان الى الرها ــ وهو في طريقه الى مصر بناء على دعوة ناصر الدولة بن حمدان في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ــ أرسل الى محمود رسولا يستدعيه اليه • غير أن محمودا خاف من ألب أرسلان ولم يذهب إليه ؛ بل أرسل له رسولا يصلح أمره معه ، ويسأله أن يعفيه من الحضور عنده • فذهب الرسول اليه ، وأخبره بأن محمود بن مرداس قد لبس الخلع القائمية ، وخطب للخليفة العباسي • فقال له ألب أرسلان : (أي شيء تساوي خطبتهم ، وهم يؤذنون حي على خير العمل) • وأكد أنه لا بد من حضوره ، فاضطر محمود الى الامتثال لاوامره ، وسار إليه • فأطلق له البلد ، وشرفه وخلع عليه ، وكتب له توقيعا بحلب ، وطلب منه أن يخرج بعساكره الى دمشق والمناطق التابعة للخلافة الفاطمية لفتحها [١٠] •

وفي سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م سار محمود بن نصر بن مرداس بجنوده في اتجاه دمشق ونزل بعلبك • وكان ابن منزو الكتامي [١١] والي دمشق من قبل الفاطميين • ولما كانت سياسة البيزنطيين في تلك الفترة تقوم على الحفاظ على حكام ضعاف في بلاد الشام ، وعلى الوقوف في وجه كل دولة قوية

---

(١٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠ •
ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٩ وحاشية ص ١٠٠ و ١٠١ وهي للفارقي •
ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٠٩ •

(١١) هو حيدرة بن منزو بن النعمان ابو المعالي الكتامي حصن الدولة • ولي دمشق بعد هروب بدر أمير الجيوش ، ووليها بعده درى المستنصري شهاب الدولة •
ــ انظر صلاح الدين الصفدي : المصدر السابق ، ص ٢٨ •

تحاول السيطرة على البلاد لتبقى بلاد الشام مفتوحة أمام نفوذها ، خافوا من وصول نفوذ السلاجقة الاقوياء إلى بلاد الشام ، فتحركوا في وجه محمود بن مرداس وهاجموا أملاكه في معرة مصرين . فاضطر محمود أن يترك ما كان يقصده ، ويعود شمالا لقتال البيزنطيين وأبعادهم عن املاكه.

ولم يكن الخليفة المستنصر بالله راضيا عما قام به محمود بن مرداس من انصرافه عن الفاطميين وخطبته للدولة العباسية . فأرسل اليه يطلب منه حمل المال إليه ، وغزو البيزنطيين الذين يهددون البلاد ، وابعاد الغز السلاجقة عن المنطقة ليثبت حسن نيته وطاعته له . ولكن محمود بن مرداس كان يدرك ضعف الخليفة المستنصر بالله ، وسوء الاحوال الاقتصادية في مصر وقتذاك ومدى اضطراب الاحوال الداخلية بها . ولهذا أجابه بأنه لا يستطيع دفع المال لانه التزم عند دخوله الى حلب بأموال اقترضها وهو مطالب بها ، وأما البيزنطيون فقد هادنهم مدة وأعطاهم ولده رهينة على مال اقترضه منهم [١٢] فلا سبيل الى محاربتهم . وأما الغز فيدهم فوق يده .

وهكذا نجد محمود بن مرداس قد تنصل من تنفيذ ما طلبه منه الخليفة المستنصر بالله ، الذي لم يجد بدا من أن يرسل بدرا الجمالي قائلا له : (إن ابن الروقلية [١٣] خلع الطاعة ، ومال الى جهة العراقية) وأمره بقتاله ،

---

(١٢) كان محمود بن مرداس قد اقترض في سنة ٤٦١ هـ أربعة آلاف دينار من الروم ورهن ولده نصرا عليها،واشترطوا عليه أيضا ان يهدم الحصن الذي كان المرداسيون قد بنوه في سنة ٤٥٦ هـ . وقد إنشد بعضهم يقول حول ذلك .

وهدوا بأيديهم حصنهم ... وأعينهم حزنا تدمع
عجبت لسرعة بنيانه ... ولكن تخريبه أسرع

ـ انظر الغزي : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(١٣) يقصد به محمود بن مرداس .

فتوسط بينهما قاضي طرابلس ، وأصلح الحال [١٤] .

ولكن يبدو أن محمود بن مرداس ظل منذ أن خطب للعباسيين تابعا في نفوذه اليهم ، ويثبت ذلك النقش الذي وجد مثبتا على السور الشمالي لقلعة حلب ، وهذا نصه :

١ ــ بسملة أمر بعمله الامير
٢ ــ الاجل تاج الملوك ناصر الدين شرف
٣ ــ الامة ذو الحسنين خالصة أمير
٤ ــ المؤمنين أبو سلامة محمود بن
٥ ــ نصر بن صالح سنة خمس وستين وأربعمائة [١٥] .

وعلى الرغم من أنه غير واضح من هذا النقش ما المقصود بخالصة أمير المؤمنين ، الا أنه من المرجح أنه الخليفة العباسي ، فلو كان المقصود هو الخليفة الفاطمي . لذكر اسمه صراحة في النقش .

وعلى العموم فان محمود بن مرداس لم يعش بعد ذلك طويلا فقد توفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م [١٦] .

---

(١٤) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥، ص ٧٩ .

(١٥) COMBE, SAUVAGET, WIET : Repertoiré Chronologique d' Epigraphie Arabe T. VII., No. 2699., p. 188

(١٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢ .
ــ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
ــ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٠٠ .
ــ بينما يذكر ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٩ أنه مات سنة ٤٦٩ هـ .

وتولى أمرة حلب بعد محمود بن مرداس ابنه نصر ، ولكنه قتل سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م . وبعد وفاته تنازع أخواه سابق ووثاب على الملك ، فاستنجد وثاب بالسطان السلجوقي ملك شاه . فأرسل إليه مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل [١٧] بجنود كثيرة سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٩م . واستطاع مسلم العقيلي أن يأخذ حلب [١٨] ، وبدخوله حلب انقضت امارة المرداسيين بها . وقامت على أنقاضها امارة عربية أخرى .

× × ×

رأينا فيما سبق كيف قامت امارة المرداسيين والظروف التي صاحبت قيامها . كما تتبعنا في العرض السابق حقيقة العلاقات بين أمراء المرداسيين والخلفاء الفاطميين ، وهي علاقات تأرجحت بين الولاء والعصيان لنفس الاسباب التي فرضت على من سبقهم في هذه المنطقة هذا الوضع .

كما رأينا أيضا كيف كانت نهاية المرداسيين على يد العقيليين وكيف أن الامارة المرداسية لم تعمر طويلا .

وكما ذكرت من قبل أن الاسباب التي فرضت على المرداسيين تذبذهم بين الولاء والعصيان للفاطميين هي نفس الاسباب التي فرضت على الحمدانيين من قبلهم هذا الوضع ، الا أنه يهمنا أن نبرز بالنسبة للمرداسيين عاملين جديدين :

---

(١٧) هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران بن المسيب العقيلي . انظر : الباب الرابع فيما بعد ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

(١٨) ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ حلب ، ص ٣٥ .

أولهما ــ ظهور قوة السلاجقة الذين جددوا شباب الدولة العباسية في الوقت الذي دخلت فيه الدولة الفاطمية عصرها الثاني ، عصر الضعف والانهيار .

ثانيهما ــ أن المرداسين لم يستطيعوا أن يتغلبوا على صفات البداوة، وأن هذه الصفات ظلت تلعب دورها في العلاقة بين أمراء المرداسيين ورجال القبيلة .

الباب الرابع

موقف أمراء العرب بالعراق من الفاطميين ودعاتهم

١ ـ انتشار الدعوة الفاطمية في العراق :

أ ـ نشاط دعاة الفاطميين في نشر دعوتهم بالعراق .

ب ـ موقف البهويهيين من الفاطميين .

جـ ـ الدعوة الفاطمية في الموصل .

د ـ مناهضة الخلافة العباسية للدعوة الفاطمية .

هـ ـ حركة البساسيري .

٢ ـ بنو عقيل في الشام والموصل وعلاقتهم بالفاطميين :

أ ـ التعريف بهم ـ ظهورهم في هذه الفترة .

ب ـ علاقة الفاطميين مع العقيليين في عهد :

* ظالم بن موهوب العقيلي

* محمد بن المسيب

* المقلد بن المسيب
* قرواش بن المقلد
* قريش بن بدران
* مسلم بن قريش

٣ ـ بنو مزيد في الحله :

أ ـ ظهور بني مزيد في الحلة .

ب .. علاقة الفاطميين بأمراء بني مزيد في الحلة .

أ ــ انتشار الدعوة الفاطمية في العراق



ركز الفاطميون جهودهم من أجل القضاء على الدولة العباسية الذي كان أول غاياتهم • ولتحقيق ذلك كان لابد من التمهيد بنشر الدعوة الفاطمية في المناطق والبلاد التابعة للخلافة العباسية ، ثم في العراق نفسه حيث مركز الخلافة •

وقد نجح الفاطميون في ذلك نجاحا كبيرا • وليس ثمة شك في أن الحالة التي كانت تمر بها الدولة العباسية وقتذاك هيأت لهم أسباب هذا النجاح • ويأتي في مقدمة هذه الاسباب ضعف سلطة الخلفاء العباسيين بسبب استفحال نفوذ القواد من الاتراك واستقلال الامراء بولاياتهم ، واستبداد البويهيين بأمور الخلافة [1] • وكان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله على علم بتغلب البويهيين على العباسيين ، وأنه لا حكم للعباسين معهم ، فاشتد طمعه في البلاد وأرسل دعاته إلى العراق لنشر الدعوة الفاطمية [2] •

ولم يكن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أول من فكر من خلفاء الفاطميين في القضاء على الدولة العباسية ، فقد سبقه إلى ذلك آباؤه من قبله • وكان الخليفة الفاطمي المهدي يرى أنه اذا لم يستول على المشرق فكأنه لم يستول على شيء [3] • وهناك دلائل كثيرة تظهر رغبة الفاطميين هذه وتوضح عزمهم ورغبتهم الاكيدة في سحق العباسيين ، فقد كان المهدي

---

(١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٦٦ •

(٢) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ص ٢٦٦ •

(٣) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٩٣ •

يقول (لنملكن أنا وولدي ولد العباس ، ولتدوس خيولي بطونهم) [٤] .

وكذلك صرح ولي عهده أبو القاسم بقوله (والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه ـ أن قدرت ـ والا أهلك دونه) [٥] . وطبعا كان يقصد بذلك الخلفاء العباسيين وأملاكهم في الشرق .

وقد كشف الخليفة المعز لدين الله عن سياسته التي تهدف الى بسط سلطانه على بلاد المشرق في خطبته التي ألقاها على رؤساء كتامة بمدينة المنصورية ، حينما أرسل اليهم يدعوهم ليروا الإعمال التي يقوم بها حينما يخلو بنفسه ويحتجب عنهم ، وليطلعهم على أنه يعيش كما يعيشون ولا يفضلهم في أحواله إلا فيما لا بد عنه باعتباره امامهم . كما أوضح لهم بأنه مشغول عنهم أحيانا بالكتب التي ترد عليه من المشرق والمغرب،حيث يجلس ليجيب عنها بخطه . وبين لهم بصراحة أنه لا يشتغل في شيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحهم ويعمر بلادهم ، ويذل أعداءهم [٦] .

ولم يكن الخليفة المعز لدين الله يخفي الحديث عن أمله في فتح العراق . فقد تحدث مع رسول الامبراطور البيزنطي عن ذلك قبيل وفاته سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م حين قدم إلى القاهرة لزيارته ، فقال له : (أتذكر اذ أتيتني رسولا وأنا بالمهدية ، فقلت لك لتدخلن علي وأنا بمصر مالكا لها .

---

(٤) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٩٣ نقلا عن سيرة جعفر الحاجب .

(٥) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٦) راجع نص الخطاب في :

ـ المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ، ص ١٦٤ .

ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٦٧ .

قال نعم ، قال : وأنا أقول لك لتدخلن علي بغداد وأنا خليفة) [٧] .

ولتحقيق غايتهم الكبرى هذه ، انتشر دعاة الفاطميين في شرق العراق وغربه . ووجدت الدعوة التي كان يبذلها هؤلاء الدعاة أذنا صاغية من البويهيين الذين كانوا أمراء بغداد وكانوا على المذهب الشيعي الزيدي . ونجح الداعي الفاطمي هبة الله الشيرازي في تحويل أبي كاليجار الملك البويهي الى دعوته [٨] . هذا وعندما علم الخليفة العباسي القائم بأمر الله بذلك استاء كثيرا ، وأرسل الى أبي كاليجار كتابا يطلب فيه طرد هبة الله الشيرازي من البلاد ويتوعده بالاستنجاد بطغرلبك السلجوقي ان لم يفعل [٩] . وقد أوضح الخليفة العباسي في كتابه هذا الى أبي كاليجار أن الشيعة لم يستطيعوا حتى ذلك الوقت الجهر بدعوتهم إلا على يده ، وكانت دعوتهم دائما في الخفاء والستر [١٠] .

وعلى الرغم من أن أبا كاليجار اضطر مكرها إلى اخراج داعي الفاطميين هبة الله الشيرازي ، ارضاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وخشيه من أن يستنجد بالسلاجقة ــ فقد ظل مخلصا للفاطميين ومؤيدا لهم من الناحية

---

(٧) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٦٧ .

(٨) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٩) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٨١ .

(١٠) انظر هبه الله الشيرازي (المصدر السابق ، ص ٦٤ ــ ٦٥) ويذكر ما كتبه الخليفة العباسي الى أبي كاليجار فقال : (وان أحدا ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل الفاعل الصانع من الوقوف في بعض مواقف اظهاره واشهاره ، والتجرد لدفع معالم ذكرنا بالصلاة والخطبة وازالة أسامينا بالكلية . وأنه اذا سومح في بابه ، وأهمل الاستيثاق منه ، وتسليمه في يد صاحبنا . فقد أخرجتمونا عن عهدة الايمان والعهود بيننا وبينكم واحوجتمونا الى استنصار من ينصرنا عليكم .

المذهبية . يظهر لنا ذلك واضحا جليا من الرسالة التي أنفذها أبو كاليجار الى هبة الله الشيرازي يطلب منه فيها أن يوضح للدولة الفاطمية صفاء عقيدته نحوها ، فقال له : (تصور لتلك الحضرة الشريفة ، دامت بالعز مكنونة ، ما اطلعت عليه من شواهد صفاء عقيدتنا في مخالصتها وايثارنا انتظام شمل سعادتها واستقامة أمور مملكتها ، وتعلمها أن هؤلاء التركمان المسؤولين على أعمال خراسان والري لا يقصر خطاهم عن بلادها المحروسة إلا ثبات عساكرنا المنصورة في وجوههم ، وانصراف هممنا الى قمعهم وفل غربهم ، وبذلنا الاموال في كف عاديتهم ، وانتداب جيوشنا الموفورة لمقارعتهم أين نجوا ، وأين نبغوا ، ولولا أننا ضربنا بينهم وبين تلك المملكة المحروسة بالاسداد وتجردنا لممانعتهم التي هي أكثر جهادنا لما سلمت أكنافها من عوادي طغيانهم ، وانهم لا يتجسرون إلا على حصولنا كالسد بينهم وبينها ، ولا يتمنون إلا أن يتسهل لهم السبيل إلى قصدها ، ولن يتم لهم باذن الله هذا المرام)[11] .

وكان من نتائج الدعوة الفاطمية في العراق أن فكر البويهيون في القضاء على خلافة بغداد السنية واقامة خلافة شيعية على أنقاضها . إذ كان في اعتقادهم أن العباسيين اغتصبوا الخلافة من العلويين ، ولم يوقفهم عن تنفيذ ما عزموا عليه الا خوفهم على نفوذهم السياسي الذي كانوا يحرصون عليه غاية الحرص[12] . وظل البويهيون يؤثرون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، كما قربوا اليهم أتباع المذهب الشيعي وتعصبوا لهم ، مما أدى الى قيام الثورات العديدة بين السنيين والشيعيين في بغداد[13] .

---

(١١) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
(١٢) حسن ابراهيم حسن ، وطه أشرف ، المعز لدين الله ، ص ٧٥ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٦٩ .
(١٣) لمعرفة تفاصيل الثورات التي كانت تقوم في القرن الرابع والخامس الهجرى/العاشر والحادي عشر الميلادي بين السنة والشيعة في بغداد علينا بالرجوع الى :
←

ويمكننا أن نقول أن النفوذ الفاطمي في العراق لم يكن نفوذا سياسيا فحسب ، بل حاول الفاطميون أن يكسبوا سكان العراق الى جانبهم بتقديم خدمات اقتصادية ومالية اليهم • ففي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م بعث الخليفة الفاطمي [١٤] مالا ، وأراد أن ينفق هذا المال على نهر بالكوفة فقبل السكان تلك المعونة ولكنهم أرادوا أن يأخذوا رأي خليفتهم في ذلك ويستأذونه في قبولها • فجمع الفقهاء لذلك في جمادى الآخرة من هذه السنة فقالوا : (هذا مال من فيء المسلمين ، وصرفه في مصالحهم صواب) فأذن الخليفة عند ذلك بأخذ المال [١٥] •

ويجب أن نعلم أن النفوذ الفاطمي في بلاد العراق انما بدأ قبل القرن

---

١ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥ •
٢ ـ ابن الساعي البغدادي : مختصر أخبار الخلفاء ، ص ٨٧ •
٣ ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٢ و ص ٦٢ •
٤ ـ العيني : مخطوطة عقد الجمان ، جزء ١٩ مجلد ٢ ، ورقة ٣٦١ •
٥ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٦ •

(١٤) أعتقد أنه الظاهر لاعزاز دين الله ، اذ لم يحدد المؤرخ اسم الخليفة ولا الشهر الذي أرسلت فيه هذه المعونة . ونحن نعلم ان الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله توفى في هذه السنة بالذات وفي النصف من شعبان حسب ما أورده :

- ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٣ •
- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٨ ، ص ٩١ •
- وبما أن الاجتماع الذي عقده الخليفة العباسي كان في جمادى الثانية من هذه السنة فانه من الارجح ان يكون المال قد أرسل من قبل الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله •

(١٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٩١ •

الخامس الهجري . اذ أننا نقرأ في كتب التاريخ عن قدوم رسول الخليفة العزيز بالله الفاطمي الى بغداد سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م [١٦] ومقابلة عضد الدولة ابن بويه له . وكان هذا الرسول يحمل كتابا من الخليفة العزيز بالله إلى عضد الدولة . وقد جاء في الرسالة ذكر أكيد للمودة بين الطرفين . كما عرض الخليفة العزيز بالله على عضد الدولة الجهاد ضد البيزنطيين [١٧] .

ولما وصل كتاب الخليفة العزيز بالله إلى عضد الدولة ، أرسل إليه ردا أقره فيه على إنتمائه لاهل بيت رسول الله وأظهر استعداده لتنفيذ أوامره [١٨] .

وقد أثمرت الدعوة الفاطمية في العراق ، ودعا أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن مقلد العقيلي للخليفة العزيز بالله سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م [١٩] .

وكذلك فانه في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م خطب قرواش بن المقلد العقيلي الملقب بمعتمد الدولة [٢٠] للخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وخلع طاعة

---

(١٦) الحافظ الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٦٦ .
— سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧٠ .

(١٧) ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ص ٥١ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

(١٨) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧١ .

(١٩) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
— خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل الطبعة الاولى ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٨٥ .

(٢٠) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
— خاضع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
— LANE POOLE : Egypt in the Middle Eges., p. 159

الخليفة العباسي القادر بالله ، ولم يقتصر في دعوته على الموصل وإنما أقامها في كل المدن التابعة له مثل الانبار والمدائن والكوفة (٢١) ، كما أحل اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في الخطبة محل الخليفة العباسي القادر بالله (٢٢) .

واستاء الخليفة العباسي القادر بالله حين بلغه نبأ ذيوع الدعوة الفاطمية في بعض بلاده (٢٣) . ورأى أن يعمل على ايقاف هذه الدعوة ، ومحاربة الفاطميين بسلاح الدعوة نفسه وذلك بالتشهير بسمعتهم في العالم الاسلامي . فعقد اجتماعا دعا اليه الفقهاء والقضاة وبعض زعماء الشيعة ، وأصدروا في شهر ربيع الثاني سنة ٤٠٢هـ/نوفمبر ١٠١١م محضرا يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر وفي شرعية امامتهم ، وأنهم ليسوا من آل البيت (٢٤) ، وقرئت نسخ من هذا المحضر في بغداد . وقد كان من بين الموقعين عليه الشريف الرضي ، وأخوه المرتضى وفريق من أكابر العلويين ، وكان مما ورد فيه : (... فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر

---

(٢١) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٤٧ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين ، ص ١٧٣ .
— أما خاشع المعاضيدي (المرجع السابق ، ص ٨٧) فيذكر أن قرواشا العقيلي اقام الدعوة في الانبار والقصر والمدائن .

(٢٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥١ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢٣) ابو الفداء : المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٢٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٣ .
— عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط ، ص ٨٢ .

وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد بن اسماعيل بن سعيد لا أسعده الله،فانه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي ،هوومن تقدم من سلفه من الارجاس والانجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ، أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا يتعلقون منه بنسب وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذي ادعوه من الانتساب اليه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن اطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء وقد كان هذا الانكار شائعا بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب منتشرا انتشارا يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم او يذهب وهم الى تصديقهم ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه فجار وفساق كفار ، وملحدون زنادقة . معطلون في الاسلام جاحدون ، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمور وسفكوا الدماء ، وسبوا الانبياء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية) [٢٥] .

وعلى الرغم مما بذله الخلفاء العباسيون من الجهود للقضاء على الدعوة الفاطمية فانهم لم ينجحوا في ذلك ، ولم يستطيعوا أن يقفوا في وجه تيار الدعوة الفاطمية الجارف . فقد تمكن الدعاة من القيام بنشاط كبير . مستغلين الاضطراب الذي ساد في بلاد العراق في مستهل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بسبب تنافس أمراء بني بويه على السلطة.

---

(٢٥) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ورقة ٥٨١ ــ ٥٨٢ .
ــ بينما يذكر الدكتور محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧٥ المحضر باختلاف بسيط .
ــ عمر صالح البرغوثي : الوزير اليازوري ، ص ٦١ ــ ٦٢ .

كما كان لازدياد نفوذ الاتراك أثره في سوء الحالـة في بلاد العراق . فقد أخذوا يتدخلون في تولية أمراء بني بويه وعزلهم ، ويحملونهم على أن يحلفوا لهم على الطاعة والوفاء،اذ لم يكن الخليفة يملك الا تنفيذ رغباتهم. وقد كان هؤلاء الاتراك ينزعون دائما الى الخروج على حكامهم طمعا في ابتزاز الاموال ، وقد قاموا بعدة محاولات ترمي إلى خلع جلال الدولـة وتوليه ابن أخيه أبي كاليجار في السلطنة من بعده (٢٦) .

ويمكننا أن تقول بأن الحكومـة الفاطمية كانت على علم بأوضـاع الخلافة العباسية الداخلية وما يسودها من فوضى واضطراب وخلافـات ومنازعات داخلية . فأراد الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله أن يستغل ذلك ، ويعمل على اتباع سياسة أسلافه في نشر الدعوة الفاطمية في بـلاد العراق . فأرسل في سنية ٤٢٥هـ/١٠٣٣م إلى بغداد بعض دعاته ، حتـى كثروا في العراق ، واستجاب لهم كثير من الناس (٢٧) .

عند ذلك لم يجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بدا من اتباع سيرة أبيه القادر بالله ، والطعن في نسب الفاطميين . فأصدر ديوانه ببغداد سنة ٤٤٤ هـ محضرا تضمن نفس المطاعن السابقة ، وأنكر انتسـاب الفاطميين لاهل البيت وعزاهم فيه إلى الديصانية من المجوس ، والقداحية من اليهود، وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود، وعمل منه عدة نسخ

---

(٢٦) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٧٧ .
(٢٧) المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ، ص ١٦٩ .
— محمد جمال الـدين سـرور : سياسـة الفاطميـين الخارجية ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .
— WIET : Op. Cit., p. 232

وسيره في البلاد (٢٨) .

ولم يكن لهذه السياسة التي سار عليها كل من الخليفة العباسي القادر بالله ، وابنه الخليفة القائم بأمر الله أي أثر ، بل إن النفوذ الفاطمي تعاظم في هذه الفترة حتى وصل إلى درجة السيطرة على بغداد نفسها ، وطرد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، والدعاء للخلافة الفاطمية وللخليفة المستنصر بالله على منابر بغداد نفسها . وهذا النجاح الذي حققه الدعاة الفاطميون إنما يعزى إلى تسلط البويهيين على الخلافة العباسية ، وإلى ازدياد ثورات الجند ، وازدياد نفوذ القواد من الاتراك . ومن أبرز الامثلة على ذلك ما قام به القائد التركي أبو الحارث أرسلان البساسيري (٢٩)، فقد ازداد نفوذه في العراق بعد أن عينه الخليفة القائم بأمر الله رئيسا للاتراك . وما لبث أن استبد بالسلطة في بغداد حتى أصبح الخليفة العباسي « لا يقطع أمرا دونه ، ولا يحل ويعقد إلا عن رأيه » (٣٠) .

وقد مال البساسيري ــ وهو من قواد البويهيين ــ إلى الدعوة الفاطمية بعد أن أصبح على علاقة سيئة بالخليفة العباسي . هذا وقد سنحت الفرصة للخليفة العباسي القائم بأمر الله ليعرف حقيقة موقف

---

(٢٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤ .
ــ ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، جزء ١١ ، ص ٦٣ .
ــ المقريزي : الخطط ، جزء ٢ ، ص ١٧٠ .
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٧٨ .
ــ عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٢٩) ابو الحارث ارسلان عبد الله البساسيري التركي مقدم الاتراك ببغداد يقال انه كان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ــ عن سيرته انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

(٣٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٧ .
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٨٥ .

البساسيري منه ، وأدرك أنه يعمل على خلعه . فبدأ الخليفة القائم بأمر الله يعمل على الحد من نفوذه ، وراسل الملك الرحيم البويهي قائلا له : (ان البساسيري خلع الطاعة ، وكاتب الاعداء وأن الخليفة له على الملك عهودا ، وله على الخليفة مثلها ، فان آثره فقد قطع ما بينهما ، وإن أبعده وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره) [٣١] . فأظهر الملك الرحيم استعداده لاستجابة طلب الخليفة بابعاد البساسيري عن بغداد . ومن ثم رحل البساسيري الى الحلة [٣٢] ــ ومنها الى الرحبة .

لم يبق أمام البساسيري بعد رحيله إلى الرحبة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م إلا أن يوطد علاقاته مع الفاطميين . وبدأت منذ هذه اللحظة العلاقات بينه وبين الخليفة المستنصر بالله . وقد رحب الخليفة المستنصر بالله بهذه العلاقات لدرجة أن هذا الحادث طغى على حادث آخر وهو قيام الاسرة الصليحية في اليمن [٣٣] .

وقد طلب البساسيري من الخليفة المستنصر بالله أن يمده بالاموال حتى يستولي على بغداد [٣٤] . فأعطاه وولاه الرحبة [٣٥] . ولم يكتف بذلك بل إنه التمس منه النجدة ليستعين بها على فتح بغداد ، ورد طغرلبك الذي يريد أن يقصد الشام ومصر [٣٦] .

---

(٣١) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٣٢) تعرف بحلة بني مزيد ، وتقع بين الكوفة وبغداد .

ــ انظر ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤١١ .

ــ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، حاشية رقم ١ ، ص ١٨٧

(٣٣) WIET : Op. Cit., p. 233

(٣٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

ــ المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٣٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٨ ، ص ١٦٤ .

(٣٦) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٨ .

كما أن المراسلات تبودلت بين البساسيري والداعي الفاطمي هبة الله الشيرازي . ويظهر أن البساسيري طلب نجدات منه وعدا اياه بالعمل على أخذ العراق ، والدعوة للخليفة الفاطمي فقال له : (فان أخذتم بأيدينا أخذنا لكم البلاد ، وان قلدتمونا نجاد نصركم وانجادكم فتحنا من جهتكم الاغوار والانجاد)[٣٧] .

وتنفيذا للوعود والعهود التي قامت بين البساسيري والدولة الفاطمية، فقد جهز الوزير اليازوري نجدة للبساسيري أرسلها بقيادة هبة الله الشيرازي . إذ حمله خزائن الاموال حتى لم يبق في بيوت الاموال بالقصر شيئا[٣٨] . وعلى الرغم من حملة للاموال فانه لم يكن معه الا فئة قليلة من الرجال تحمل هذه الاموال والسلاح والخلع . وقد اشتملت هذه الاموال على خمسمائة الف دينار . ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس وعدد كبير من السيوف . وكثير من الرماح والنشاب[٣٩] . وقد أثرت هذه الاموال التي أرسلها على الخزانة المصرية[٤٠] .

وقد بذل هبة الله الشيرازي قصارى جهده لانجاح حركة البساسيري، فعمل على استمالة أمراء العرب اليه ، وبدأ بمكاتبة ثمال بن صالح بن مرداس حتى استطاع أن يستميله اليه ، واتفقا على المسير معا الى الرحبة. وأثناء مسيرهم ورد اليه كتاب نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر يخبره فيه بأنه يرغب في معاونته ، وأنه أقام الخطبة على منابر بلاده للخليفة المستنصر بالله[٤١] .

---

(٣٧) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٨٩ .
(٣٨) ابن ميسر : المصدر السابق ، ص ٨ .
(٣٩) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٩٠ .
— WIET : Op. Cit., p. 233
(٤٠) WIET : Op. Cit., p. 234
(٤١) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

ومن الرحبة سار هبـة الله الشيرازي وبرفقته ثمال بن مرداس مـع جنوده من بني كلاب للقاء البساسيري • وما أن علم البساسيري بأن هبة الله الشيرازي في طريقه اليه حتى أسرع في الخروج الى لقائه ومعه جنده • وقد رحب البساسيري وجنده بهذه الخطوة ترحيبا كبيرا اذ اطمأنوا الى أن الخليفة المستنصر بالله لم يدعهم ، وأنه مهتم بأمرهم ، وأنه قد أرسل لهم المال والسلاح(٤٢) •

هذا وقد قام هبة الله الشيرازي بعد وصـوله بتوزيع الاموال علـى جنود البساسيري من كافة الاجناس • ثم خلع علـى البساسيري نفسه في احتفال كبير أقيم لهذا الغرض • وقرأ أمام الجميع العهد الذي أنفذه اليه المستنصر بالله في شهر صفر سنة ٤٤٨ هـ/ابريل ١٠٥٦ م(٤٣) •

كما أرسل هبة الله الشيرازي الى نور الدولة دبيس بن مزيد يطلب منه مساعدة البساسيري ، فانضم اليه • وقد اتفق هذان الحليفان على قتال قريش بن بدران العقيلي ، وأسفرت المعركة التي جرت بينهما عند جبل سنجا في سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م عـن انتصار البساسيري وابن مزيد علـى جيش قريش بن بدران العقيلي وحليفه قتلمش ابن عم السلطان طغرلبك كما أسفرت هذه المعركة عن انضمام قريش بن بدران العقيلي الى البساسيري وذلك بتأثير نور الدولة دبيس بن مزيد ، ومن ثم دخل البساسيري برفقة قريش بن بدران العقيلي الى الموصل ، وفتحت له الكوفة ، ودعى للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في واسط(٤٤) •

وليس هذا فحسب بل إن هبة الله الشيرازي حـاول أن يتصل ببعض أمراء السلاجقة • وكان يهدف من ذلك أن يحقق أحد هدفين : اما أن ينجح ويتمكن من إستمالة من يكاتبهم إلى جانبه أو أن يفسد علاقتهم مع العباسيين

(٤٢) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٩٣ •
(٤٣) انظر محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٩٣ ــ ١٩٤ •
(٤٤) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ •
ــ العيني : عقد الجمان ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ورقة ١٢٤ •

بسبب هذه المكاتبة . وتنفيذا لما صمم عليه راسل عميد الملك الكندري وزير طغرلبك وهدف في رسالته أن يقلل من شأن الخليفة العباسي،ويظهر في نفس الوقت علو شأن الخليفة الفاطمي وسيادته على الاراضي المقدسة ، وينوه بما يملكه من أموال ضخمة وأسلحة كثيرة[٤٥] .

لكن سهمه لم يصب فقد كان عميد الملك الكندري يعمل على معاكسة سياسة هبة الله الشيرازي وتفريق كلمة جموعه . ومن أجل ذلك راسل زعماء العرب وأخذ يعدهم بالاراضي والاقطاعات . وقد كان لعمله هذا أثر كبير، إذ ترك بعض زعماء العرب البساسيري ــ وعلى رأسهم نور الدولة دبيس ابن مزيد ، وقريش بن بدران العقيلي ــ وعادوا الى طاعة طغرلبك ، حتى اضطر البساسيري تحت ضغط هذه الظروف إلى ترك الموصل والعودة إلى الرحبة مع جنوده[٤٦] .

هذا وعلى الرغم من أن البساسيري نجح فيما بعد في دخول بغداد والدعوة منها للخليفة الفاطمي ، الا أن نفوذ الفاطميين في العراق بدأ يتراجع منذ أن دخله السلاجقة وسيطروا على مقاليد الامور بها ، ثم اضمحل هذا النفوذ بالقضاء على ثورة البساسيري ، ولولا خروج ابراهيم ينال على أخيه طغرلبك ، لما تمكن البساسيري والجنود المؤيدة للفاطميين من دخول بغداد . فقد كانت ثورة ابراهيم ينال هذه فرصة استغلها البساسيري ودخل بغداد . وعلى ما يبدو أن ابراهيم ينال كان يطمع في السلطنة والبلاد . وقد استغل البساسيري ذلك واستماله اليه ، وحثه على العصيان على أخيه وأطمعه في الملك واعدا اياه بالمساعدة والمؤازرة[٤٧] . كما أن ابراهيم ينال

---

(٤٥) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٤٦) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(٤٧) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٧ .
ــ الحافظ الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

كان قد كاتب الفاطميين ملتمسا منهم الامــوال والخلع والالقاب علــى أن ينحاز اليهم ، وأن تكون الخطبة بالخلافة والامارة للخليفة الفاطمي مقدمة على خطبته[٤٨] .

وتنفيذا لذلك فقد ترك ابراهيم ينال الموصل ورحل الى همذان . وانتهز البساسيري فرصة انشغال طغرلبك باخماد حركة أخيه وخلو العراق من قوة كافية للدفــاع عنه[٤٩] ، فرحل الى بغــداد[٥٠] حامــلا الرايات المستنصرية ، التي كتب عليها الامــام المستنصر بالله أبو تميــم معد أبــو المؤمنين[٥١] . ومــال اليه أهل الكــرخ لكونهم مــن الشيعة ورحبــوا بقدومه[٥٢] . وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة أقام البساسيري الخطبة بجامع المنصور للمستنصر بالله الفاطمي[٥٣] ، كما أمر بأن يؤذن بحي على خير العمل . ثم أقيمت الخطبة للخليفة الفاطمي على جميع منابر بغداد وانقطعت الدعوة العباسية منها كلها في يوم الجمعة الرابــع عشر مــن ذي

---

(٤٨) هبه الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٤٩) حسن احمد محمود ، وأحمد ابراهيم الشريف : العالــم الاسلامي في العصر العباسي الطبعة الاولى ١٩٦٦ ، ص ٥٧٢ .

(٥٠) Muir : Op. Cit., p. 584

(٥١) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٩١ .

— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٠ .

— WIET : Op. Cit., p. 234

(٥٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٣ .

(٥٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٨ .

— WIET : Op. Cit., p. 234

الحجة سنة ٤٥٠ هـ[٥٤] كما ضربت السكة باسم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وسميت المستنصرية . وقد نقش عليها ما يلي :

أحد الوجهين : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله ، علي ولي الله .

وعلى الوجه الآخر : عبد الله ووليه الامام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين[٥٥] .

ثم بعث البساسيري إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة يبشره بفتح بغداد واقامة الدعوة له[٥٦] . وقد وصف هبة الله الشيرازي دخول البساسيري مدينة بغداد بقوله : (ولما رأى البساسيري أن الله سبحانه قد قطع بطغرلبك الاسباب ، علم أن بغداد فريسة لمن طلب ، وقبضة لمن رغب ، فزحف بالرايات المستنصرية ، وصادف فيها أرضا تعج

---

(٥٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٩ .
- ابن الشحنة : روضة المناظر ، ص ٥٩ .
- Muir : Op. Cit., p. 584

(٥٥) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠ .
- ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٩٦ .
- الفاسي : المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء ، حاشية ص ٦٣ .

(٥٦) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ .
- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ص ١١٧ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٩ .
- عانه هي قلعة حصينة مشرفة على نهر الفرات واليها التجأ الخليفة القائم بأمر الله في سنة ٤٥٠/هـ١٠٥٨ م حين استولى البساسيري الديلمي على بغداد ، وأمر باقامة الخطبة في غيبته باسم خليفة مصر الفاطمي .
- انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٣٨ .

إلى الله من ظلم التركمانية ، وقلوبا ملئت غيظا من العباسي وابـن المسلمة الذي كان سبب استدعائهم وتسلطهم على حرم الناس وأموالهم ودمائهم • فكان قدوم البساسيري عليهم كنزول الرحمة من سمائهم• فشدوا حيازيمهم معه لاقامة الدعوة المستنصرية في بغداد)[٥٧] •

وضعفت سلطة الخليفة العباسي القائم بأمر الله بعد دخول البساسيري بغداد وانصرف عن تأييده كثير من الناس مما اضطره الى طلب الامان من قريش بن بدران العقيلي فأمنه • وقد بعث به قريش إلى ابن عمه الأمـير محيي الدين مهارش بن المجلي العقيلي إلى حديثة عانة • فأنزله بها مع أهله وحريمه وحاشيته • وكان البساسيري قد أرغمه قبل مغادرته بغداد علـى كتابة عهد اعترف فيه بأنه لا حق لبني العباس ولا له مع وجود بني فاطمة الزهراء عليها السلام • ثم بعث بهذا العهد الى القاهرة حيث ظل محفوظـا بقصر الخلافة إلى أن استولى صلاح الدين الايوبي على محتوياته سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١ م[٥٨] •

وقد أصيب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بخيبة أمل عنـدما أرسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله مع مهارش بن المجلي العقيلي ، ولم يرسل إلى القاهرة • واتضح له أن القائمين بالقضاء على الخلافة العباسية غايتهـم ابتزاز الاموال من الفاطميين ، ولهذا ساء ظنـه في البساسيري ، وفي نفس الوقت فان البساسيري أدرك أنه منذ هذه اللحظة لن يستطيع الحصول على الاموال والمساعدات من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[٥٩] •

---

(٥٧) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٣ ، وهو يذكر أيضـا (ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤) الحديث الذي دار بين الخليفة القائم والبساسيري حين طلب منه الامان •

(٥٨) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٢ •

(٥٩) WIET : Op. Cit., p. 234

وكان البساسيري قد أرسل الى الخليفة المستنصر بالله ثوب الخليفة القائم العباسي وعمامته وشباكه الذي كان يجلس فيه [٦٠] وغير ذلك من الاموال والتحف . وقد أثار وصولها وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماسا عظيما بين أهالي القاهرة ، الذين أقاموا الزينات ابتهاجا بهذا النصر. كما سر الخليفة المستنصر بالله ، وأنفق كثيرا من الاموال لاعداد القصر ليكون مقرا لاقامة الخليفة القائم بأمر الله إذا ما تحقق أمله في القبض عليه[٦١] .

وقد استمرت الدعوة للخليفة المستنصر بالله في بغداد سنة كاملة[٦٢] . وعلى الرغم من كل المجهودات التي بذلها البساسيري لاتمام مهمته ونشر نفوذ الخلافة الفاطمية في بغداد ثم في العراق كله فانه لم يتلق من الخليفة المستنصر بالله ما يشجعه على مواصلة القيام ببسط سلطانه على بلاد العراق. وهذا يرجع الى السببين الآتين :

١ ـ حقد الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي على

---

(٦٠) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

ـ وأضاف فييت أن الشباك بقي معروضا في دار الوزارة ، ثم بعد ان هدمت دار الوزارة وأقيمت مكانها الخانقاه التي بناها السلطان المملوكي بيبرس الجاشنكير ، نقل اليها .

— WIET : Op. Cit., p. 234

(٦١) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . WIET : Op. Cit., p. 234

ـ بينما يذكر هبة الله الشيرازي (المصدر السابق ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣) أن الرسل التي أرسلها كل من البساسيري وقريش بن بدران ، ومهارش العقيلي أخبروهم بأنه « فأول ما فعل معهم أنه لم يضرب في مثل هذه البشارة طبل ولا بوق » .

(٦٢) القضاعي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

— Muir : Op. Cit., p. 585

البساسيري[٦٣] . وكان هذا الرجل قد رحل الى بغداد وانضم الى البساسيري ، ثم رحل عنه بعد أن انقلب معاديا له ، وفر إلى مصر . ولم يكن ابن المغربي يريد أن يتم الامر للفاطميين في بغداد على يد البساسيري، لذلك أخذ يحذر الخليفة المستنصر بالله من عاقبة أطماعه . فتخوف منه الخليفة المستنصر بالله، وصار لا يعني باجابة طلباته . ويمكننا أن نستخلص من ذلك أن الخليفة الفاطمي لم يكن يثق بالبساسيري ولذلك فانه لم يقدم له المساعدات اللازمة ، وتركه يواجه الموقف منفردا .

٢ ـ كذلك فقد ظهر سوء تصرف وخيانة من قبل الوزير الفاطمي اليازوري أدى الى فشل النفوذ الفاطمي في العراق . وقضى على النجاح الذي أحرزه البساسيري فيها بدخوله بغداد . فقد اتهم بعض المؤرخين الوزير اليازوري بأنه أخذ من الاموال التي ارسلها البساسيري وبعضهم اتهموه بأنه على علاقة سرية بطغرلبك ، وقد أعلن له أنه في طاعته وان البلاد بحكمه ، وانه لا يتكلف في قتال . ويذكرون أنه عندما فحصت الاوراق الخاصة بالوزير الفاطمي اليازوري اكتشفت مراسلات بينه وبين بغداد فحكم عليه بالاعدام وقبض عليه وقتل[٦٤] .

٣ ـ عدم ثقة المستنصر بقوة البساسيري ، وادراكه لقوة طغرلبك حامي السنة في ذلك الحين . وكان يقدر أن نصر البساسيري على الخليفة القائم بأمر الله لن يحدث ، لو لم يكن طغرلبك مشغولا بثورة أخيه ابراهيم ينال .

٤ ـ عدم ارسال الخليفة القائم بأمر الله إلى مصر ، وابقائه في العراق

(٦٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٤ .
ـ ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٤ .
ـ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٣ .
ـ WIET : Op. Cit., p. 235

(٦٤) عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ١٨٦ ـ ١٨٧
ـ WIET : Op. Cit., p. 235

نفسها ، وعند رجل عربي متردد في الولاء بين الطرفين ، يثبت أن البساسيري غير قادر على تسيير الحركة بنفسه ، والسيطرة على احداثها • كما يثبت ان أصحاب الحركة ، أرادوا ابقاء الخليفة لابتزاز أموال الفاطميين •

وعلى الرغم من ذلك فقد حرص البساسيري علـى اخلاصه للخليفة الفاطمي ، وأخذ يتابع غاراته في بلاد العراق حتـى استولى علـى واسط والبصرة وأمر باقامة الخطبة فيها للمستنصر بالله [٦٥] • لكن ذلك لم يدم طويلا ، اذ ما لبث طغرلبك أن عاد الى العراق بعد أن فرغ من اخماد حركة أخيه ابراهيم ينال ، واضطر البساسيري الى الخروج مـن بغداد ،فتتبعته جيوش طغرلبك واستطاعت قتله • وبذلك عادت بغداد للخلافة العباسية ، وانقطعت منها الدعوة للفاطميين وقضي على هذا الحلم الفاطمي نهائيا • وبذلك نستطيع أن تقول أن الفاطميين لم يعرفوا كيف يستفيدون من هذه الفرصة ووضعوا بذلك حدا لآمالهم في القضاء على العباسيين[٦٦] • كمـا ترتب على ذلك انحسار النفوذ الفاطمي في العراق بعد أن كان قد بلغ ذروته في سنة ٤٥٠ ــ ٤٥١ هـ/١٠٥٨ ــ ١٠٥٩ م •

وفي هذه الفترة التي انتشر فيها نفوذ الفاطميين في بلاد العراق كانت القبائل العربية الموجودة هناك تتردد في ولائها بين الفاطميين والعباسيين ، مدفوعة في ذلك بمصالحها الخاصة •

والآن وفي ضوء هذا العرض الموجز للنفوذ الفاطمي في بلاد العراق نستطيع أن نتتبع علاقات بني عقيـل ، وبني مزيـد في العراق بالخلفاء الفاطميين في مصر في هذه الفترة •

---

(٦٥) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٤ •
ــ الفاسي : المصدر السابق ، حاشية ص ٦٣ •
ــ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٤ •
(٦٦) حسن احمد محمود : المرجع السابق ، ص ٥٧٢ •

٢ ـ بنو عقيل في الشام والموصل وعلاقتهم بالفاطميين

بنو عقيل

هم بنو عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وينتهي نسبهم الى قيس بن عيلان[1] . وكانت مساكنهم قبل الاسلام بالبحرين مع كثير من قبائل العرب ، منهم بنو ثعلب وبنو سليم . وقد نشب قتال بين بني عقيل وبني ثعلب من جهة ، وبني سليم من جهة أخرى ، وانتصر الفريق

---

(١) وهم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان. وما زالت قبيلة بني عقيل الى زمننا هذا ذات شأن وخطر في بلاد نجد. وهم باعة الاباعر الى القوافل التي تظعن من ديار الشام الى بغداد ، وهم خفراؤها أيضا . ومن عقيل خرج المنتفق ، وكانوا أصحاب عزة ومنعة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وهم لا يزالون كذلك الى عهدنا هذا وديارهم جنوبي العراق .

وكان لبني عامر بن صعصعة — الذين منهم بنو عقيل — نفوذ واسع في الجزيرة الفراتية عند بعثة الرسول محمد ﷺ . حتى أنه عرض نفسه عليهم عندما أبلغ رسالته طالبا مساعدتهم وتأبيدهم له .

وكان لبني عامر بن صعصعة نصيب وافر من غنائم حنين التي وزعها الرسول ﷺ على المبايعين له . ومنهم مجنون بن عامر الشاعر الاسلامي ، واسمه قيس بن الملوح .

انظر ابن دريد : الاشتقاق ، ص ٢٩٧ .

- القلقشندي : نهاية الارب ، ص ٣٦٥ .
- عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٨٠١ .
- وصفي زكريا : عشائر الشام ، جزء ١ ، ص ٧٥ .
- خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل ، ص ٤١ .

الاول ، فاضطر بنو سليم الى الخروج من البحرين[٢] .

ثم اختلف بنو عقيل وبنو ثعلب واقتتلوا ، فغلب بنو ثعلب وخرج بنو عقيل من البحرين، وساروا إلى العراق حيث ملكوا الكوفة والبلادالفراتية، وأصبحوا رعايا لبني حمدان الذين كانوا يحكمون الموصل . ثم غلبوهم عليها من سنة ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م[٣] . كما كان بعضهم في حوران والبثنية تزعمهم ظالم بن موهوب العقيلي في فترة الفتح الفاطمي لبلاد الشام .

وفي العصر العباسي قام بنو عقيل بدور كبير في المنطقة التي سكنوها بين الموصل وحلب . فقد أغضبهم ازدياد نفوذ الفرس في الدولة العباسية وحظوتهم لدى الخلفاء العباسيين بينما قل اهتمامهم بالعرب . ففي خلافة المأمون ثار رجل عربي من بني عقيل ، وهو نصر بن شبث العقيلي ، وقام بثورة في شمال حلب سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م . فأرسل اليه المأمون قائده عبد الله ابن طاهر بن الحسين لمحاربته بعد أن عظم شأنه وكثر أنصاره ، وقد أوضح نصر العقيلي أنه انما كان يحارب المأمون دفاعا عن العرب لانه قدم عليهم العجم . ولكن نصر بن شبث العقيلي اضطر الى طلب الأمان ،وسيق إلى بغداد سنة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م حيث لقي حتفه[٤] .

وقد أوضح نصر العقيلي بنفسه سبب قتاله للعباسيين حين سئل عن مبايعة أحد الامويين أو العلويين بالخلافة ، فأجابهم بقوله : (انما هواي في بني

---

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٩١ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٢ .
(٣) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، ص ٨٠١ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٢ .
(٤) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٣ — ٤٤ .

العباس لكنني حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم)[٥]. وكان نصر العقيلي يفضل الامين على المأمون لأن أم الامين عربية • وقد بقيت الموصل في أيدي العقيليين منذ تأسيس دولتهم فيها سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م إلى أن غلبهم عليها الملوك السلاجقة ، فتحولوا عنها الى البحرين حيث كانوا أولا•وعندما عاد بنو عقيل إلى البحرين وجدو أن بني ثعلب ــ الذين كانوا بها سابقا وطردوهم منها ــ قد ضعفوا ، فغلبوهم على البحرين سنة ٦٥١ هـ/١٢٥٣ م ، وأصبح بنو ثعلب من رعاياهم[٦] •

ونحن لا نكاد نسمع شيئا عن العقيليين منذ الثورة التي قام بها نصر ابن شبث العقلي فيسنة١٩٨هـ/٨١٣ م إلى أن أسسوا امارتهم في الموصل سنة ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م ، سوى أنهم كانوا رعايا لبني حمدان ومما كان من موقف بعض أمرائهم في جنوب دمشق من فتح الفاطميين للشام كظالم بن موهوب • ولا شك أنه كان للظروف التي تمر بها كل من الدولتين العباسية والفاطمية وللاوضاع المضطربة في بلاد الشام والعراقدور كبير فيمساعدتهم على النهوض وعلى تأسيس امارتهم في الموصل •

وقد برز عدد من زعمائهم في الفترة موضوع البحث منهم :

١ ــ أبو الذؤاد محمد بن المسيب العقيلي ، الملقب نجدة الدولة أبو كامل منصور • وقد أسس الدولة العقيلية في الموصل سنة ٣٨٠ هـ/

---

(٥) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٦) القلقشندي : نهاية الارب ، ص ١٠٦ .

ــ عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٨٠١ .

٩٩٠ م[٧] ، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م .

٢ ـ المقلد بن المسيب ، الملقب حسام الدولة ، والذي قتل سنة ٣٩١ هـ/١٠٠٠ م غيلة على يد غلمانه من الاتراك[٨] .

٣ ـ قرواش بن المقلد الملقب معتمد الدولة ، الذي قتل سنة ٥٤٤ هـ/١٠٥٢ م[٩] .

٤ ـ قريش بن بدران العقيلي ، الملقب علم الدين أبو المعالي ، والذي ظل يتولى امارة الموصل حتى سنة ٤٥٣ هـ/١٠٦١ م .

٥ ـ مسلم بن قريش الملقب شرف الدولة أبو البركات .

ـ أما ظالم بن موهوب فلم يكن له دور في الامارة ، ولكنه لعب دورا بارزا في أحداث الشام أيام الفتح الفاطمي . والى القارىء أقدم هذا الجدول الذي يوضح نسب العقليين أمراء الموصل [١٠] .

---

(٧) بيبرس الدوادار : مخطوطة زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، جزء ٦ ، ورقة ٢٧٣ .

ـ ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ .

ـ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٥ .

ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

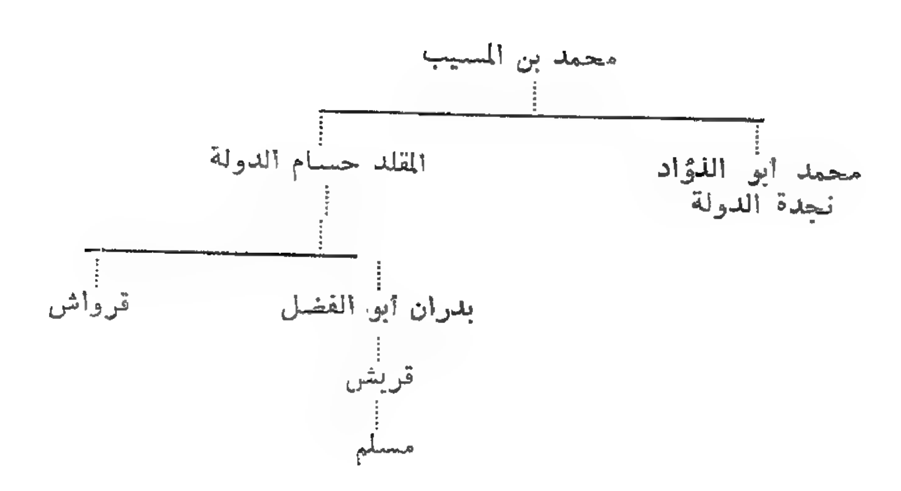
(٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٩ .

ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٩) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

ـ زامباور : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٥ .

(١٠) انظر زامباور : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٥ .


محمد بن المسيب
محمد أبو الذؤاد
نجدة الدولة
المقلد حسام الدولة
بدران أبو الفضل
قرواش
قريش
مسلم

× × ×

ب - علاقة الفاطميّين مع العقيليّين

كان بنو عقيل يتشيعون ويميلون الى آل علي كالحمدانيين ، ولكنهم لم يكونوا على وفاق دائم مع الفاطميين على الرغم من ذلك . إذ كانت المواقف السياسية والمصالح الشخصية هي التي تحدد العلاقة بين الطرفين ، فنراهم يقفون الى جانب الدولة الفاطمية ، يخطبون لخلفائها ،ويسيرون في ركابها . ثم لا يكاد يمضي على ولائهم هـذا للفاطميين فترة قصيرة حتى يعودون إلى الخروج عن طاعتها ويعلنون ولاءهم للعباسيين . وهذا التردد في الولاء بين الفاطميين والعباسيين انما مبعثه في المقام الاول المحافظة على كيانهم وعلى استقلالهم بشؤون امارتهم ، ثم الرغبة في الحصول على الاموال من كلا القوتين المتنافستين الفاطمية والعباسية . هـذا فضلا عن الطباع القبلية التي كانت تسيطر عليهم في كافة تصرفاتهم[١] . فعلى الرغم من استيلاء هؤلاء العرب على المدن والقلاع وتشكيلهم امارة خاصة بهم ، الا أنهم لم ينبذوا عاداتهم القومية البدوية التي تجعلهم لا يرضخون لسلطة أو سلطان . بل كان هؤلاء يعتزون ببداوتهم ، ويحتقرون أهل الحضر . حتى أنهم لا يعبأون بهم ، ومن طريف ما يروى في ذلك ، أن قرواشا العقيلي صاحب الموصل قال مرة : (ما في رقبتي غير خمسة أو ستة من البادية قتلتهم ، وأما الحاضرة فلا يعبأ الله بهم)[٢] .

ولنستعرض الآن علاقة أمراء العقيليين بالفاطميين :

---

(١) انظر الباب الثاني ، ص ٩٠ ـ ٩٣ .

(٢) أحمد أمين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٥٨ .

ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

ـ في عهد ظالم بن موهوب العقيلي :

كان ظالم بن موهوب العقيلي أحد أمراء العقيليين في الشام ، وكانت له علاقة كبيرة بالفاطميين ابّان فتحهم لبلاد الشام • ذلك أن ظالما كان قد تغلب على دمشق سنتي ٣٥٧ ـ ٣٥٨ هـ/٩٦٧ ـ ٩٦٨ م أثناء حكم الدولة الاخشيدية[٣] • وعندما احتل الفاطميون بلاد الشام وانتزعوها من الدولة الاخشيدية وضع جعفر بن فلاح خطة لضرب القبائل العربية في الشام بعضها ببعض • فاستدعى قبائل مرة وفزارة إليه وأرسلها لضرب العقيليين في حوران البثنية[٤] • وفي هذه الحرب انهزم بنو عقيل وفروا الى أرض حمص • واضطر زعيمهم ظالم بن موهوب تحت ضغط الهجوم عليه من الفاطميين وأتباعهم الى الفرار الى البحرين ، والالتجاء الى القرامطة •

وهناك لعب ظالم بن موهوب العقيلي دورا كبيرا في تحريض القرامطة على قتال الفاطميين ، وانضم اليهم مع عدد كبير من أفراد قبيلته • فازدادت قوة القرامطة بهم واستطاعوا أن يحققوا النصر على الفاطميين في بلاد الشام ، وأن يتمكنوا من قتل جعفر بن فلاح • وقد كافأ القرامطة ظالم بن موهوب العقيلي على دوره هذا فولوه دمشق سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م[٥] •

ثم ان ظالم بن موهوب العقيلي ساعد القرامطة في اتمام فتح بقية مدن

---

(٣) الذهبي : مخطوطة تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٨٥ •
ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٨٥ •

(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٤٨ ، ص ١٧٤ •
ـ من أجل التفاصيل راجع الباب الاول الفتح الفاطمي لبلاد الشام ، ص ٣٨ ـ ٣٩ •

(٥) ابن بدران : تحقيق تاريخ ابن عساكر ، جزء ٧ ، ص ١١٧ •
ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٥ •

الشام ، وكان الحسن الاعصم زعيمهم يعتمد عليه كثيرا . وعندما سار الحسن الاعصم في أواخر سنة ٣٦٠ هـ/٩٧٠ م لحصار القاهرة تركه مع أبي المنجا على حصار يافا . وفي تلك الاثناء اختلف ظالم العقيلي مع أبي المنجا على الخراج ، اذ كان كل منهما يريد أخذه لنفسه للنفقة على أصحابه . واستغل أبو المنجا هذا الخلاف ، فحرض الحسن الاعصم عند مجيئه إلى الرملة على ظالم بن موهوب[٦] . ونتيجة لذلك فقد صمم الحسن الاعصم على قتال ظالم بن موهوب ، فزحف الى الشام سنة ٣٦١ هـ/٩٧١ م . وجرت بين الطرفين معركة حاسمة أسر فيها ظالم ، ولكنه تمكن من الهرب الى حصن له على الفرات[٧] .

وكان لهذا العداء السافر بين ظالم بن موهوب العقيلي والحسن الاعصم أثر كبير في تغيير موقف ظالم من الفاطميين . إذ أخذ ظالم يراسلهم ، كما أعلن تأييده لهم ضد القرامطة[٨] . كما عمل الفاطميون من جانبهم على استغلال هذا العداء الذي قام بين الزعيم العربي ظالم بن موهوب العقيلي وبين الحسن الاعصم في العمل على تهدئة الاحوال في بلاد الشام وتثبيت سيادتهم عليه[٩] . هذا ويجب أن نشير هنا الى أن الفاطميين كانوا قد

---

(٦) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٧) ابن عساكر : مخطوطة تاريخ دمشق ، جزء ٨ ، ورقة ٣١٣ .
- الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٨) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٩) ابن عساكر : مخطوطة تاريخ دمشق ، جزء ٨ ، ص ٣١٣ .
- الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

غيروا سياستهم إزاء القبائل العربية . وأقاموا سياسة جديدة تعتمد على التقرب للقبائل العربية والاعتماد عليها حتى يمكنهم القضاء على ما بقي للقرامطة من نفوذ في بلاد الشام، والعمل على تثبيت سيادتهم عليه . وكانت هذه السياسة قد ثبت نجاحها على يد جوهر الصقلي أثناء حصار الحسن الاعصم للقاهرة .

وتحقيقا لذلك عين الفاطميون ظالم بن موهوب العقيلي واليا على دمشق(١٠) في ١٠ رمضان سنة ٣٦٣ هـ/٢٣ مايو ٩٧٤ م (١١) . فدخلها وقبض على أبي المنجا واليها من قبل القرامطة لانه كان يحنق عليه . كما قبض على ابنه ومن كان معهما من القرامطة(١٢) ، وسلمهما للقائد الفاطمي الذي أرسلهما الى القاهرة . بينما أخذ ظالم بن موهوب أموالهم فقوي أمره في دمشق واشتدت شوكته . وعلى هذا النحو أقيمت الخطبة في دمشق للفاطميين على يد ظالم بن موهوب العقيلي، كما تحقق للفاطميين سيطرتهم على بلاد الشام.

لكن بلاد الشام لم تهدأ أثناء الحكم الفاطمي ، فقد ظلت مسرحا للحروب فيما بين سنتي ٣٥٩ ــ ٣٦٣ هـ/٩٦٩ ــ ٩٧٣ م ، مما كان له أسوأ الاثر على الحالة الاقتصادية . لذلك ضاق أهل دمشق ذرعا بظالم ومن معه من العرب ، وبالفاطميين وجيوشهم . ومما زاد في حنقهم على الفاطميين أن أهل دمشق كانوا سنة ، كما كان لسوء سيرة الجند الفاطميين معهم أثر كبير في دفعهم الى الثورة في وجه الفاطميين . اذ كانوا يسطون ويفسدون ويقطعون

---

(١٠) العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ مجلد ٢ ، ورقة ٢٨١ .
ــ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٥ .
(١١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤ .
(١٢) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٦١ .
ــ العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٢ ، ورقة ٢٨١ .
ــ حسن ابراهيم وطه أشرف : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

الطرق ، فتذمر الاهالي منهم وأشعلوها ثورة في وجه الفاطميين • وتأججت نيران هذه الثورة بين أهالي دمشق والفاطميين حتى أفلت زمام الامر من يد ظالم بن موهوب وأبي محمود بن جعفر •

وأراد ظالم بن موهوب أن يأخذ جانب أهالي دمشق في نزاعهم مع المغاربة الذين كانوا يشكلون غالبية الجيش الفاطمي • فحمل السيف ضد حلفائه المغاربة فقابلوه بالمثل • بيد أنه لم يستطع تهدئة أهالي دمشق أو قمع المغاربة • ومن ثم اضطر الى أن يقف موقفا وسطا ، فأظهر أنه يريد المصالحة بينهم والعمل على انهاء القتال بين الطرفين حتى يستتب الامن[١٣] •

الا أنه في حقيقة الامر كان يريد أن يقيم توازنا بين طرفي النزاع حتى يستتب له الامر في دمشق ، وخاصة بعد أن عرف ضعف موقف أهالي دمشق أمام المغاربة • ويذكر ابن القلانسي[١٤] انضمام ظالم بن موهوب العقيلي للاهالي ، فيقول : (وضرب بيده على فخذه ثم استدعى رمحه وعبر الجسر ، ومعه فرقة من أصحابه ، وحمل على أوائل المغاربة فردهم عن أحداث البلد ، وصاح الناس في الميدان النفير) •

غير أن الهزيمة حلت بظالم بن موهوب وأهالي دمشق • وقام جنود الفاطميين بالقاء النار في المدينة ، ولاحقوا ظالم بن موهوب ، وعلى الرغم من تظاهر ظالم بحب العامة فان ذلك لم يفده ، ونحي عن ولاية دمشق في ذي القعدة سنة ٣٦٣ هـ/يوليو ٩٧٤ م[١٥] ، وعين عوضا عنه جيش بن

---

(١٣) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ •
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٤ •
(١٤) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩ •
(١٥) ابن بدران : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١١٧ •

الصمصامة[16] . وبدأ الفاطميون يعتمدون على المغاربة وحدهم في دمشق.

وهكذا فشل ظالم بن موهوب في ارضاء الطرفين المتنازعين ، وانتهى الامر بأن رغب عنه الجميع ، وخرج من دمشق[17] وسار الى بعلبك حيث تغلب عليها[18] واعترف به الفاطميون كوال من قبلهم عليها[19] . وفي أثناء ولاية ظالم بن موهوب على بعلبك قدم افتكين التركي الى بلاد الشام ، وكانت غايته دخول دمشق . فبادر ظالم بن موهوب الى تحذير القائد القاضي أبي محمود بن جعفر بن فلاح من مطامعه قائلا له : (ان تركيا قد جاء من بغداد وهو يريد عملك فانفذ الي عسكرا حتى آخذه به من قبل أن يدخل عملك)[20] .

وسارت جيوش ظالم بن موهوب العقيلي وأبي محمود لمقابلة افتكين قبل وصوله الى دمشق ، ولمنعه من التقدم في بلاد الشام . لكن افتكين استعان بالحمدانيين ، فأمده أبو المعالي بن حمدان بجند كثير . واستطاع بذلك أن يحرز النصر على ظالم بن موهوب العقيلي وأبي محمود بن جعفر. ثم انشغلت قوات الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وقوات ظالم بن موهوب في صد البيزنطيين عن اقليم طرابلس[21] .

---

(16) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(17) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٣ .
(18) ابن عساكر : مخطوطة تاريخ دمشق ، جزء ٨ ، ص ٣١٣ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤٦ .
(19) حسن ابراهيم حسن ، وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١٣١ .
(20) الدواداري : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .
(21) حسن ابراهيم ، وطه أشرف : المعز لدين الله ، ص ١٣١ .

وبعد أن استقر افتكين في دمشق عمل على اتمام فتح بلاد الشام ، فهاجم ظالم بن موهوب العقيلي في بعلبك في نفس الوقت الذين كان جيش البيزنطيين يهاجمه فيها ، واضطر ظالم بن موهوب إلى التقهقر ، وبذلك استطاع أفتكين أن يدخلها ، ثم حدث لقاء آخر بين ظالم وافتكين في صيدا، وفي هذا اللقاء انهزم ظالم العقيلي واضطر الى الفرار الى صور[٢٢] .

× × ×

(٢٢) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٥ .

— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٣٦ .

— حسن ابراهيم حسن ، وطه أشرف : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

ـ في عهد محمد بن المسيب :

يعتبر الامير أبو الذؤاد محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر ابن مهند العقيلي ، المؤسس الاول لامارة بني عقيل في الموصل التي تأسست سنة ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م واستمرت حتى سنة ٤٨٩ هـ/١٠٩٥ م • وقد نجح العقيليون في استغلال الظروف المحيطة بهم وقتذاك ، وتمكنوا في نهاية الامر من تأسيس امارتهم بالموصل • وتتلخص هذه الظروف في أن باذاً الكردي كان قد طمع بالموصل وأراد الاستيلاء عليها وانتزاعها من أبي طاهر ابراهيم، والحسين ابني حمدان • فراسل هذان الاخيران محمد بن المسيب أمير بني عقيل واستنصره على باذ الكردي [1] • فطلب منهما مقابل مساعدتهما جزيرة ابن عمرو ونصيبين ، وبلد [2] ، فأجاباه الى ما طلب • وتعاون الطرفان على التخلص من باذ الكردي ، وأثمر هذا التعاون عن قتله سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م [3] •

بعد تلك المعركة لمس محمد بن المسيب ضعف الحمدانيين ، فأسر

---

(١) ابن الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٧٦ •
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٤٢ •
(٢) ابن الروذراوري : المصدر السابق ، ص ١٧٧ •
ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥١ •
ـ عن جزيرة ابن عمرو ، ونصيبين ، وبلد ـ انظر : لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٧ •
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٤٥ •
ـ بينما يذكر خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٢ أن قتله كان سنة ٣٧٩ هـ • ـ

أبا طاهر وأولاده وقواده ثم قتله [٤] ، وسار الى الموصل وملكها في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م • وبعث إلى بهاء الدولة البويهي طالبا منه أن ينفذ إليه عاملا من قبله • فبعث بهاء الدولة إلى الموصل قائدا بقي في الموصل ، ولكن الامر والنهي كان لمحمد بن المسيب • وكان محمد بن المسيب يقصد بعمله هـذا اقناع الدولة العباسية وسلاطين البويهيين بأنه يحكم بأمرهم ، ريثما ينتهي من تنظيم امارته الجديدة • فمـا أن انتهى من تنظيم أموره ، واسـتقرت الموصل في يده حتى استبد بالامر ، واستغنى عن عامل البويهيين [٥] •

وقد كان انتشار نفوذ الفاطميين في العراق،وذيوع الدعوة الفاطمية في مناطق قريبة من بغداد المركز ، من الاسباب التي دعت محمد بن المسيب إلى هـذا التصرف ، وجعلته يخرج عن الخلافة العباسـية ويطرد عـامل البويهيين • اذ كان دعاة الفاطميين في العراق يعملون على استقطاب كـل الولاة والامراء المحيطين ببغداد • وكان لذلك أثره في نفس محمـد بن المسيب ، الذي كان يتشيع ويميل الى آل علي ، فأقـام الخطبة للخليفـة الفاطمي العزيز بالله في سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٢م [٦] في الموصل ، وضرب السكة باسمه [٧] • ويظهر أن هذا التصرف من قبل محمد بن المسيب ، أدى الى غضب الخلافة العباسية والسلطان البويهي عليه • لاننا نقرأ بأن محمد بن المسيب لم يتمتع طويلا بالحكم ، اذ ما لبث أن عزلـه البويهيون في نفس السنة التي أعلن فيها الخطبة للفاطميين،أي في سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٢ م ،ودخلوا الموصل وبقوا بها حتى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م •

---

(٤) سبط بن الجوزي: المصدر السابق، جزء ١١ ، مجلد ١ ، ورقة ١٥١ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ .
(٦) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٩ .
(٧) ابن ميسر : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٩ .
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢١ .

ـ في عهد المقلد بن المسيب :

تقلد المقلد بن المسيب العقيلي امارة الموصل في سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م ، وكان يتردد في ولائه بين العباسيين والفاطميين ، فقد بدأ بعلاقة ودية مع الخليفة العباسي القادر بالله ، الذي خلع عليه لقب « حسام الدولة » وأقطعه القصر [١] والكوفة والجامعين بالاضافة إلى الموصل . كما بعث إليه بالخلع واللواء [٢] . إلا أنه ما لبث أن غير اتجاهه ، وانحاز إلى الفاطميين .

واستقبل الداعي هبة الله الشيرازي ، الذي حمل إليه الخلع والهدايا الفاطمية ، وحرضه على الثورة ضد العباسيين . ولكن المقلد لم يستقر على ولائه لفاطميين أو العباسيين . فكان يتقرب الى العباسيين اذا أغدقوا عليه العطاء ، وينحاز إلى الفاطميين إذا منحوه الاموال والالقاب والخلع . وهكذا صار لا يستقر على حال ، لا خوفا من الطرفين بل استهانة بهما [٣] .

وقد استمر المقلد يلي أمور العقيليين إلى أن قتله غيلة غلمانه من الاتراك سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م . ويقال أنه قتل بسبب تشيعه ، إذ أنه قال لرجل من الحاج أن يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول له (لولا صاحباك لزرتك [٤]) .

---

(١) بين الكوفة وبغداد : انظر خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٣ .
ـ خاشع المعاضيدي : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(٣) خاشع المعاضيدي : المصدر السابق ، ص ٥٦ ، ٧٧ .

(٤) هلال الصابيء : تاريخ هلال ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
ـ هلال الصابيء : تحفة الامراء ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٥ ـ ٥٦ .

- في عهد قرواش بن المقلد :

بعد موت المقلد بن المسيب تولى الامارة ابنه قرواش بن المقلد العقيلي ، وحكم بلاد العقيليين خمسين عاما . وقد سار على سياسة أبيه المقلد في التردد في الولاء بين الخلافتين . فبينما حصل على لقب معتمد الدولة من قبل الخليفة العباسي القادر بالله ، نراه يقبل مراسلات الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨ م التي كان يستميله بها، كما قبل الاموال والهدايا التي أرسلها إليه . ولهذا دعا المقلد للحاكم بأمر الله في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[١] . كما دعا أهل الموصل لاظهار الطاعة للخليفة الفاطمي، وعرفهم ما عزم عليه من اقامة الدعوة للفاطميين ودعاهم الى قبول ذلك . وعلى الرغم من أنهم أجابوه الى ما أراد ، الا أن نفوسهم لم تكن راضية عن ذلك ، وأسروا الاباء والكراهية [٢] .

فعلى الرغم من ميل قرواش بن المقلد الى آل علي ، فان أهالي امارته لم يتقبلوا مذهبه وميله الى التشيع . ولكن قرواشا صمم على تنفيذ ما عزم عليه ، فأحضر خطيب المسجد وخلع عليه قباء دبيقيا وعمامة خضراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين ، وقلده سيفا وأعطاه نسخة ما يخطب به في يوم الجمعة الرابع من محرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م[٣] . وقد قام الخطيب

---

(١) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ص ٣١٧ .
- ابو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ١٤٧ .
- ابن الشحنة : روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر ، ص ٤٤ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٤٨ .
- LANE POOLE : Op. Cit., p. 159

(٣) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١، مجلد ٢، ورقة ٣١٧ .
- العمري : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

بقراءة نص الخطبة على المصلين ثم أسرع بعد ذلك بالهروب إلى الخليفة العباسي القادر بالله [٤] • كما أقام قرواش الخطبة للفاطميين في المناطق التابعة لامارته ، في الانبار والقصر والمدائن [٥] •

وقد سر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عندما علم باقامة قرواش العقيلي المخطبة له في بلاده القريبة من بغداد •وكان قرواش قد أرسل كاتبه الى مصر ليعلم الخليفة الحاكم بأمر الله باقامة الخطبة ، فاستقبل أحسن استقبال ، وأنزل أكرم منزل • وعندما عزم الرسول على العودة إلى بلاده، حمله الحاكم بأمر الله إلى قرواش من الهدايا والثياب والتحف ما قيمته ثلاثين ألف دينار ، هذا فضلا عما منحه للرسول من المال والثياب [٦] •

---

(٤) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ،ورقة٣١٩ .
— وقد أورد سبط بن الجوزي (المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ٣١٧ — ٣١٩) ، وابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٧، ص ٢٤٩ — ٢٥١)، وابن تغري بردى (المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٥٥ — ٢٢٧) نص الخطبة كاملة . كما أوردها الدكتور سرور وخاشع المعاضيدي .

(٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥١ .
— سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ٣١٩.
— العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٦٨ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٦) يذكر ابن الجوزي (المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥١)أن الخليفة الحاكم بأمر الله قد أرسل الى قرواش العقيلي ماقيمته ٣٠ ألف دينار .
— أما خاشع المعاضيدي (المرجع السابق ، ص ٨٧) فيذكر أن الخليفة العباسي منحه ٣٠ ألف دينار حين قطع الدعوة للفاطميين .

وسار الرسول بهذه الهدايا إلى الموصل ، ولكنه ما أن وصل إلى الرقة حتى علم بقطع خطبة الخليفة الفاطمي من الموصل . فتوقف فيها ، وكتب إلى الخليفة الحاكم بأمر الله يعلمه بذلك ، ويسأله كيف يتصرف إزاء هذا الوضع ، وماذا يفعل بالاموال والهدايا . فوصله في أيام يسيرة جواب الخليفة الذي يقول فيه : (وأما أنت فقد حمدنا ما كان منك أولا وأخيرا . فان شئت المقام بمكانك اقم . وان شئت قصد بابنا فاعزم . وأما ما ذكرت من تسليمه ، فسلمه إلى والي الرقة) [٧] .

هذا ويمكننا القول أن إقامة قرواش بن المقلد العقيلي الخطبة للفاطميين لا تعني أنه كان مخلصا لهم . إذ ان اقامته الخطبة للخليفة الحاكم بأمر الله انما كانت مقابل ما أغدقه عليه الخليفة من أموال وهدايا ، وطلبا للمزيد منها . ولكنه ما لبث أن غير سياسته هذه إزاء الفاطميين عندما غضب عليه الخليفة العباسي القادر بالله .

ويذكر سبط بن الجوزي أن الخليفة القادر بالله كتب إلى عميد الجيوش علي بن أستاذ هرمز ليجرد العساكر ويقاتل بها قرواش بن المقلد العقيلي . كما أنه أرسل قاضيه إلى بهاء الدولة يعلمه بالامر ، ويطلب منه العمل على إزالة الخطبة للفاطميين من بلاد العقيليين . وعندما بلغ القاضي رسالة الخليفة القادر بالله إلى بهاء الدولة أبدى استعداده التام لتنفيذ رغبة الخليفة ، فأمر عميد الجيوش بالعودة إلى بغداد كما رسم له بالاموال اللازمة للنفقة على العسكر [٨] .

ويضيف سبط بن الجوزي قائلا أن عميد الجيوش علي بن أستاذ هرمز عاد إلى بغداد وجهز العساكر لقتال قرواش بن المقلد العقيلي . كما

---

(٧) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ورقة ٣٢٠ .

(٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥١ .
— سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ص ٣١٩ — ٣٢٠ .

أنه أرسل إليه رسالة يتهدده فيها • فأدى ذلك إلى خوف قرواش ، وبادر بأن أرسل الى الخليفة العباسي يعتذر له ، ويطلب منه الرضاء والعفو • ويخبره أنه سيوقف الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله • فعفا عنه بعد أن أعاد الخطبة للخليفة القادر بالله العباسي (٩) •

ولم يكتف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بايقاف وصول الخلع والهدايا إلى قرواش ، بعد علمه بما فعله من اعادة الخطبة للعباسيين ، بل فعل ما هو أكثر من ذلك • فقد أصدر أوامره بتجهيز جيش كبير ، لارساله إلى قرواش لقتاله • ووصل الجيش الفاطمي إلى الموصل عن طريق بلاد الشام التي كانت قد استتبت فيها الاحوال للفاطميين • فاستنجد قرواش بالامير دبيس بن مزيد ، واتفقا على محاربة الفاطميين • والتقى الفريقان في معركة حاسمة ، غير أن الحظ لم يحالف قوات الفاطميين ، فحلت بها الهزيمة وقتل منها عدد كبير (١٠) •

هذا وتعتبر اقامة الخطبة للفاطميين في الموصل نجاحا كبيرا لهم في نزاعهم مع العباسيين • هذا النزاع الذي سبق أن عانت منه الامارات العربية التي قامت في هذه المنطقة الاستراتيجية قبل امارة العقيليين ، كامارة الحمدانيين وامارة المرداسيين • فقد كانت هذه الامارات الحاجزة تميل إلى احدى الدولتين بمقدار ما كان يؤثر ذلك على كيانها وعلى وجودها ، وبمقدار ما كانت تحصل عليه من أموال ومساعدات من كل منهما • أي أن

---

(٩) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥١
— سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ٢ ، ص ٣٢٠ •
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٥٣ •
— ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٢٧ •
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٧٨ •
(١٠) خاشع المعاضيدي : المصدر السابق ، ص ٧٨ •

هذه الامارات استغلت هذا النزاع بين الدولتين الكبيرتين لتحقيق مصالحها الخاصة ، وليس حبا للفاطميين أو تشيعا لهؤلاء أو أولئك .

وقد جرت عدة محاولات من قبل الفاطميين لاعادة قرواش بن المقلد العقيلي إلى طاعتهم . وكانت الدولة الفاطمية تنجح أحيانا في مساعيها . وتفشل في كثير من الاحيان . فقد دعا قرواش بن المقلد العقيلي ثانية للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ،ولكنه ما لبث أن قطع الخبطة له في سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨ م ، وأعاد الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ/١٠٣١م ـ ١٠٧٥م) . ثم أعاد مرة ثالثة الخطبة للخليفة الفاطمي في ذي الحجة من هذه السنة[11] .وهذا يوضح أن قرواش بن المقلد العقيلي لم يكن يثبت على حال في ولائه للفاطميين أو للعباسيين . بل بلغ به الامر ـ في فترة من الفترات ـ أنه بينما كان يراسل الفاطميين طالبا منهم المساعدة كان يدعو للخليفة العباسي[12] .

× × ×

(١١) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، حاشية ص ١١٩ .

(١٢) انظر هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ٧٤ (يلاحظ تردد قرواش في اقامة الخطبة للخليفة الفاطمي عندما قدم اليه بالموصل بالخلع والالقاب) .

- في عهد قريش بن بدران :

تولى قريش بن بدران العقيلي الامارة بعد وفاة عمه قرواش في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م [١] . وكانت سياسته مع الدولتين شبيهة بسياسة عمه من قبل ، واستمرارا لما آلت إليه علاقة العقيليين بالعباسيين من عودة إلى طاعتهم وإقامة الخطبة لهم . كما ساءت علاقة قريش بالبساسيري بعد أن حاصر مدينة الانبار وفتحها ، وكانت تابعة للبساسيري . ولم يكتف قريش بفتحها بل قام بنهب كل ما كان للبساسيري فيها . كما خطب بها لطغرلبك السلجوقي . ولهذا اختلف البساسيري مع قريش وساءت العلاقة بينهما . وعلى اثر ذلك قصد البساسيري الانبار واستعادها [٢] .

وفي هذه الفترة كان نفوذ البساسيري في ازدياد ، وكان قد انحاز إلى الفاطميين بتحريض هبة الله الشيرازي داعي دعاتهم في المشرق . ومن ثم فانه خلع طاعة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ودعا للفاطميين ، متعللا باستقبال الخليفة القائم بأمر الله لرسل الامير قريش العقيلي وتكريمهم ، دون أن يحسب حسابا لخلافه معه . ثم حدثت ظروف اضطرت البساسيري إلى ترك بغداد والرحيل إلى الحلة ومنها إلى الرحبة . وهناك استقر رأيه - بعد أن وافقه على ذلك هبة الله الشيرازي - على المسير إلى الموصل وبرفقته

---

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٣ .
- خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٥٨ .
- زامباور : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٥ .
- أما ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٥١ ، فيذكر ان وفاة قرواش كانت سنة ٤٤٣ هـ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٨ .

نور الدولة دبيس بن مزيد أمير الحلة لقتال قريش العقيلي • وقد رأى هبة الله الشيرازي أن يرسل إلى قريش ــ قبل بدء القتال يذكره بانعام الدولة عليه وعلى أسلافه من قبله ، ويدعوه إلى العودة إلى طاعتها لئــلا يكون هدفا لسهامها (٣) •

وفي سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م سار البساسيري الى الموصل قاصدا قريش، وكان قد انضم اليه قتلمش ابن عم السلطان طغر لبك السلجوقي • والتقى الطرفان عند ســنجار (٤) ، فانهزم قريش وقتلمش ، وقتل عــدد كبير من جنودهما • كما جرح قريش في المعركة واضطر أن يلتجيء إلى دبيس بن مزيد ، الذي وجد في ذلك فرصة سانحة ليستميله للفاطميين • فأعطاه خلعة كانت قد أرسلت إليه من مصر فلبسها وانحاز للدولة الفاطمية (٥) •

وقد سارع هبة الله الشيرازي باخبار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بهذا النصر ، وكشف له عن تعاون قريش مع السلاجقة ، وعن الاسباب التي دعته إلى قتاله (٦) •

ومالبث دبيس بن مزيد أن نجح في اقناع قريش العقيلي بالعودة إلى

---

(٣) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ •
(٤) تقع بنواحي الجزيرة على مقربة من الموصل •
انظر محمد جمــال الدين سرور : سياســة الفاطميين الخارجيــة ، ص ١٩٤ •
(٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧٧ •
ــ ابن خلدون :المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ •
ــ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٨ •
(٦) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣١ ــ ١٣٢ (نص رسالته الى الخليفة) •

طاعة الفاطميين ، وسارا وبرفقتهما البساسيري إلى الموصل • ومنها كتب قريش إلى الخليفة المستنصر بالله بعودته إلى طاعته ، والخطبة باسمه • فأرسل له الخليفة المستنصر بالله خلعا له ولاخيه مقبل بن بدران سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م (٧) •

وبعد الانتصار على قريش في سنجار ، وانضمامه إلى البساسيري وآل مزيد ، عسكرت جموع المقاتلين بقيادة البساسيري وتحت لواء الفاطميين في القيارة (٨) • وقد أصبح البساسيري بعد هذه التطورات قوة يهابها طغرلبك السلجوقي • لكن الاوضاع لم تستمر على هذا النحو فقد اختلف بنو عقيل مع هبة الله الشيرازي وعادوا يطلبون الاموال ، وحجتهم في ذلك ما يقومون به من دفاع عن منطقة الموصل • وقد ضاق هبة الله الشيرازي بموقفهم هذا ، ووصفهم بأنهم تصرفوا كالذي يطلب عن الممانعة عن دارة وحريمه أجرا ، فضلا عن أنهم أصبحوا كمن يطلب المحال ، لانهم كانوا قد أخذوا منه كل ما يستطيع دفعه لهم ولم يبق معه ما يعطيهم اياه •

وقد اسفر هذا الخلاف عن تفرق كلمة العقيليين • فسار قسم كبير منهم حتى جاوزوا الموصل إلى قرب سنجار (٩) • وكان هبة الله الشيرازي في هذه الفترة يعمل جاهدا على نصيحة قريش بجمع الشمل ، ويدعوه إلى البقاء مع الجمع في القيارة ، وأوضح له بأنه لن يجد كالدولة العلوية وزرا وكهفا (١٠) وهذا الخلاف الذي نشب بين العقيليين انما يعزي إلى اختلافهم فيما بينهم على توزيع الاموال التي أخذوها من هبة الله الشيرازي • وكان

---

(٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧٧ •

(٨) القيارة جنوب الموصل •

انظر لسترنج : المرجع السابق ، حاشية رقم ١٦ ، صفحة ١١٩ •

(٩) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ •

(١٠) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٤٥ •

هبة الله الشيرازي يدرك مدى خطر هـذا الانقسام بالنسبة للقضية التي يحارب من أجلها [11] .

وكانت الانباء قد تواترت لطغرلبك عن الهزيمة التي لقيتها قوات ابن أخيه قتلمش في سنجار وقيام الخطبة للخليفة الفاطمـي المستنصر بالله في الموصل ، فغضب وقرر أن يتوجه إلى الموصل . ولما لم يكن باستطاعة قريش والبساسيري قتال طغرلبك ، فقد انسحبا منها ودخلها طغرلبك[12] . وعهد طغرلبك بولايتها ، ومعها سنجار والرحبة ، لاخيه ابراهيم ينال . ولكن هذا لم يبق في الموصل طويلا ، بل أنه أعلن العصيان على أخيه طغرلبك ، وتوجه إلى بلاد الجبل في سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م بعد أن ترك في الموصل حـامية صغيرة .

وقد أراد قريش العودة إلى بلاده الموصل ، مستغلا خلوها من قوات السلاجقة ، وخاصة بعد أن حرضه هبة الله الشيرازي على دخولها ونصحه بالاستعانة في ذلك بالبساسيري [13] . هذا ومن جهة اخرى نصح هبة الله الشيرازي البساسيري بالعودة الى الرحبة[14] .

وأخـذ قريش بن بدران بنصيحة هبـة الله الشيرازي ، فراسـل البساسيري ، وسأله ارسال جند من العراق لمساعدته في العودة الى الموصل

---

(١١) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
(١٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٨ .
(١٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦ .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٧٧ .
- محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشـام والعراق ، ص ١١٤ .
(١٤) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

فأجابه البساسيري إلى طلبه • وسارا إلى الموصل وتمكنا من دخولها ، وطرد السلاجقة منها • وبعد أن استقرت سلطة قريش بها ، عاد البساسيري إلى الرحبة [١٥] •

ثم ان البساسيري وقريش رأيا استغلال فرصة خلو بغداد من حامية تدافع عنها بعد مسير طغرلبك لقتال أخيه ابراهيم ينال • فزحف قريش في مائتي فارس ونخبة من وجوه بني عقيل على بغداد • وتمكنوا من الاستيلاء عليها بمساعدة البساسيري في ٨ ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ/٢٩ ديسمبر ١٠٥٨م دون مقاومة تذكر [١٦] •

واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بعد دخول البساسيري وقريش إلى بغداد وانصراف الناس عن تأييده أن يطلب الامان من قريش [١٧] وناداه رئيس الرؤساء ابن مسلمة بقوله : (يا علم الدين ان أمير المؤمنين يستدنيك فدنا قريش ، فقال له الخليفة : قد أتاك الله رتبة لم ينلها أمثالك ، إن أمير المؤمنين يستذم منك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وسلم وذمام العروبة • فقال قريش : قد أذم الله تعالى له • قال رئيس الرؤساء : ولي ولمن معي • فأجابه قريش بنعم) • فنزل إليه الخليفة العباسي القائم بأمر الله يصحبه رئيس الرؤساء[١٨] • وقد استاء البساسيري من ذلك لانه كان ينوي أخذ الخليفة العباسي من قريش،وربما كان ينوي ترحيله إلى مصر أو ابقاؤه عنده يستجلب به المال • فأرسل إلى قريش

(١٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٢ — ٨٤ •
(١٦) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١١٦ •
(١٧) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠١ •
(١٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٩٣ •
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٧٩ •

يحذره من اثارة الشقاق والخلاف بينهما ، ولكن قريشا أوضح له أنه لـن يحيد عما استقر بينهما ، وأنه سيعطيه عدوه رئيس الرؤساء ابن مسـلمة لينتقم منـه ، ويبقى الخليفة العباسـي القـائم بأمر الله عنـده ، فرضي البساسيري بذلـك (١٩) .

ثم ان قريشا رأى أن يسلم الخليفة القائم بأمر الله إلى ابن عمه مهارش ابن المجلي العقيلي صاحب حديثه عانه ، إلى أن يقرر مصيره فيما بعد ، ولما علم الخليفة العباسي بذلك أمسك بقريش وهو يقول : (عرفت ما استقر العزم عليه من ابعادي عنك واخراجي من يديك ، ما سلمت نفسي إليك إلا لما أعطيتني الذمام الذي يلزمك الوفاء به . وقد دخلت الآن إليك ووجب لي ذمام عليك . فالله الله في نفسي فمتى أسلمتني أهلكتني وضيعتني ومـا ذلك معروف في العرب) . فطمأنه قريش وبعث به مع الامير مهارش الى حديثة عانه حيث أنزله بها (٢٠) .

ويتعين علينا أن نتوقف برهة لنناقش الاسباب التي جعلت البساسيري يقنع بأخذ رئيس الرؤساء وترك الخليفة العباسي القائم بأمر الله لقريش مع أنه صاحب الكلمة العليا ، وهو الذي كان يعمل منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م من أجل القضاء على الخلافة العباسية . لا شك أننا نجد الجواب علـى سؤالنا هذا حين نعلم أن البساسيري وافق على ارسال الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى حديثة عانه غيظا وحنقا على الخلافة الفاطمية ، وعلـى

---

(١٩) محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعـراق ، ص ١١٨ .

(٢٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٧٧ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٢ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

الخليفة المستنصر بالله لعدم إرسال الاموال إليه ، وانه اذا كان قد وافق على ابقاء الخليفة العباسي عند مهارش العقيلي فذلك لكي يتمكن من الحصول عن طريقه على الاموال من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وهذا يتضح من كتابه الى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، الذي ذكره فيه بأنه لم يملك ناصية الخليفة العباسي القائم بأمر الله الا بمساعدة قريش العقيلي له ، وأن قريشاً سلمه الى ابن عمه ، فإن وفى الخليفة المستنصر بالله له بالمراد سلمه القائم بأمر الله (٢١) .

ثم أرسل البساسيري رسولا إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله يوضح له انتصاره على العباسيين وقضائه على خلافتهم ، كما فعل مثله كل من قريش العقيلي ، ومهارش العقيلي ، وحتى وجهاء العقيليين أنفذوا رسلا الى الخليفة المستنصر بالله ، والتمسوا جميعا منه الاموال ولكنهم جميعا لم يقابلوا منه بما يجب، بل أنه أظهر عدم مبالاته بما جاؤوا به من أخبار سارة(٢٢) .

وكتب هؤلاء الرسل الى أصحابهم يذكرون لهم ما قوبلوا به من استهانة واستصغار بشأنهم مما كان له أسوأ الاثر في نفس البساسيري وفي نفوس أمراء العقيليين ، وقد أقام الرسل عدة أشهر في القاهرة دون أن

---

(٢١) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(٢٢) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٨٢ .
- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٨ ، ص ٢٠٢ .
- بينما يذكر الدكتور محمد جمال الدين سرور (سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٠٢) أنه عندما ارسل البساسيري للمستنصر بالله ثوب القائم العباسي وعمامته وشباكه أثار وصولها وقيام الدعوة الفاطمية بمساجد بغداد حماسا عظيما بين أهالي مدينة القاهرة الذين أقاموا الزينات ابتهاجا بهذا النصر .

تقضي لهم حاجة . ولهذا يئس مهارش العقيلي من الدولة الفاطمية ، وأدرك أنه لن يحصل على شيء منها ، وخاصة بعد أن مضى على الخليفة العباسي وهو في سجنه سنة كاملة . ومن ثم فقد رأى أن يتقرب به الى طغرلبك(٢٣) .

هذا وفي الوقت الذي أهمل فيه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أمر القائمين بفتح بغداد ، اهتم طغرلبك بالعمل على إعادة الخليفة العباسي إلى بغداد ، فكتب إلى قريش العقيلي يأمره أن يعيد الخليفة القائم بأمر الله إلى دار الخلافة (٢٤) . وتوعده بقتاله ان لم يفعل ذلك ، فخافه قريش ، وتلطف إليه وأجابه بأنه معه على البساسيري بكل ما يقدر عليه ، وأعلمه بأنه يخشى من التسرع في أي تصرف ، خوفا على حياة الخليفة .

ثم ان قريشا كتب الى البساسيري يعلمه بما حواه كتاب طغر لبك له من توعد وتهديد ، ويبين له خوفه منه ، كما يبرر في كتابه له الاسباب التي دعته الى الموافقة على ما طلبه منه ، فقد ذكر للبساسيري أنه دعاهم إلى طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وأجابوه على ذلك ، على الرغم من أنه يفصل بينهما ما يزيد على ستمائة فرسخ ، ومع ذلك لم يستجب الخليفة الفاطمي لهم ، ولم يحقق رغباتهم ، وأنه في هذه الحالة يخاف من طغرلبك الذي يقف من ورائهم بالمرصاد . كما أوضح له في بقية رسالته إليه أن طغرلبك أعلمه بأنه قد انتهى من القضاء على ثورة أخيه ، وأنه في طريقة لنجدة الخليفة القائم بأمر الله ، وأنه لن يقصر في ذلك (٢٥) .

---

(٢٣) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق : ص ١٨٣

(٢٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، جزء ٨ ، ص ٢٠٢ .

(٢٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٨١ .

— ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

ويتضح مما كتبه قريش للبساسيري أنه غير سياسته ، وأنه يريد حماية الخليفة العباسي القائم بأمر الله وتسليمه إلى طغرلبك • ويبدو أن طغرلبك استطاع أن يؤثر على قريش بما أغراه ووعده به •

فقد أوضح طغرلبك بأنه لن يمسه بضرر وأنه لا يريد إلا الخليفة العباسي ، كما عرض عليه ولاية العراق كله وشرط على نفسه ألا يدخل العراق أحد من جنود السلاجقة إلا إذا التمس قريش مساعدتهم[٣٦] •

ولما وصل كتاب قريش إلى البساسيري ، لم يوافق على اعادة الخليفة العباسي إلى بغداد ، إلا اذا وافق السلطان السلجوقي على شروطه [٢٧] •

أما قريش فانه كان يريد أن يضمن تحقيق ماوعده به طغرلبك • فكتب الى ابن عمه مهارش يطلب منه تسليم الخليفة إليه ، ويطمئنه بأنه سيأخذ به أمانا لنفسه ولا بن عمه • ولكن مهارشا لم يوافق قريشا على طلبه لانه يئس من الوعود ، ورأى أن خير ما يفعله هو المحافظة على حياة الخليفة القائم بأمر الله ، فأوضح له أن للخليفة في عنقه ايمان كثيرة ، وأنه

---

(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، جزء ١٢ ، ص ٨١ ــ ٨٢ •
ــ ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ •

(٢٧) كان البساسيري قد اشترط على أن يكون هو النائب على باب الخليفة والخادم دون غيره وأن ترد خوزستان والبصرة اليه ، وان يخطب للخليفة فقط دون أن يشاركه في الخطبة ركن الدين طغر لبك . ثم بعث البساسيري بهذه الشروط الى الخليفة القائم بأمر الله ليحلفه عليها انظر فاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ، ص ١٥٠ •

لن يغدر بها[٣٨] . وكان طغرلبك قد كاتب مهارشا العقيلي في أمر الخليفة واخراجه من سجنه ، فأخرجه وعبر به الفرات ، وقصد به تكريت في جماعة من أبناء عمه [٣٩] .

وأخيرا انتهت الامور بمجيء طغرلبك إلى العراق ونجاحه في القضاء على البساسيري واعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى دار الخلافة في بغداد ، بينما عاد قريش بن بدران العقيلي إلى مملكته في الموصل .

× × ×

---

(٣٨) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
بينما يذكر كلا من ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٦ .
ومحمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١٢٢ .
ان قريشا قال له : (قد علمت أننا أودعنا الخليفة عندك ثقة بأمانتك ، وقد طلبوه الآن وربما قصدوك وحصروك وأخذوه منك ، فخذه وارحل به وأهلك وولدك الى البرية فانهم اذا علموا حصوله بأيدينا لم يقدموا على طرق العراق ..) .
(٣٩) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

ـ في عهد مسلم بن قريش :

ولما توفي قريش بن بدران سنة ٤٥٣هـ/١٠٦٦م خلفه في امارة بني عقيل ابنه شرف الدولة مسلم . وقد استطاع مسلم أن يوسع أملاك العقيليين باستيلائه على حلب في سنة ٤٧٣هـ/١٠٨١م [١] . كما أنه ملك القلعة بعد أن أنزل منها أبناء محمود بن مرداس ، ثم أرسل الى السلطان ملكشاه السلجوقي مائة ألف دينار ليقره في نيابة حلب [٢] .

وكانت حلب في أيام أبناء محمود بن مرداس تابعة للخلافة الفاطمية . وعندما انتصر مسلم بن قريش العقيلي عليهم أخذ من حلب غنائم كثيرة من بينها أعلام كانت عليها سمات الخليفة الفاطمي المستنصر بالله فأرسلها إلى بغداد ، حيث كسرت هناك وطيف بها في البلد ليطلع عليها الاهالي . وقد بادر الخليفة العباسي القائم بأمر الله بأن أرسل الخلع إلى شرف الدولة مسلم بن قريش تكريماً له [٣] .

هذا ولم يقم شرف الدولة مسلم بن قريش بذلك العمل عن نية خالصة

---

(١) ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .
ـ ابو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٣ .
ـ بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٢) بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
ـ بينما يذكر خاشع المعاضيدي (المرجع السابق ، ص ١٠٧) أن مسلما يؤدي الى السلطان سنويا ثلاثمائة الف دينار .
(٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٠٦ .

ومحبة للعباسيين ، بل أنه لم يستطع أن يسير طويلا في هذا الاتجـاه ، اذ أنه لم يلبث ان اختلف مع السلاجقة وأظهر تشيعه للفاطميين (٤) • وأدى ذلك الى نشوب الحرب بينه وبين السلاجقة في سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٣م ، وهي الحرب التي هزم فيها بعد أن حاصروه في آمد (٥) ، واضطر أن يدفع لهم مبالغ كبيرة حتى سمحوا له بالخروج منها (٦) •

وقد بدأ هذا التحول من جانب مسلم بن قريش العقيلي عن العباسيين عندما علم بمسيرة تاج الدولة تتش السلجوقي قاصـدا بلاد البيزنطيين • فخاف منه على ملكه في حلب ، فأرسل إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر يطلب منه إرسال نجدات إليه ، على أن يتولى اعادة مدينة دمشق للدولة الفاطمية ، فوعده الخليفة الفاطمي بتقديم المساعدة لتحقيق ذلك (٧) •

وعلم تاج الدولة تتش بما قـام به مسلم بن قريش العقيلي ، فعـاد مسرعا الى دمشق ، ووصلها في أول المحرم سنة ٤٧٤هـ/١٠٨٢م (٨) • وبدأ

---

(٤) خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٦٠ •

(٥) آمد في أعالي دجلة وهي أكبر مدن ديار بكر •

— انظر ليسترينج : المرجع السابق ، ص ١٤٤ •

(٦) أبو الفداء : مختصر تاريخ البشر ، جزء ٢ ، ص ٢٠٤ •

(٧) كان السلاجقة قد ملكوا دمشق منذ سنة ٤٦٨ هـ • اذ أقطع ملكشـاه السلجوقي بلاد الشام لاخيه تاج الدولة تتش • فحاصر دمشق حتى عدمت الاقوات بها فسلموها اليه بأمان ودخلها هو وعسـكره في ذي القعدة • وخطب بها يوم الجمعة ٥ ذي القعدة للخليفـة العباسـي المقتدي • وكان آخر ما خطب فيها للفاطميين •

— انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ •

(٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٢ •

شرف الدولة مسلم بن قريش من جهته بتنفيذ ما وعد به الفاطميين من إعادة فتح دمشق ، فسار إليها في سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٣ م ، وحاصر تتش فيها[٩] . وهناك جرت بينهما معركة قوية ، حشد فيها تتش كافة جيوشه ، ولم يكن مسلم بن قريش العقيلي يتوقع أن يجابهه تتش بمثل هذه الجيوش .

استبسل مسلم بن قريش العقيلي في القتال . وكان في نيته اطالة أمد الحرب على أمل وصول امدادات من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله . ولكنه أدرك أخيرا أن ما ينتظره لم يعدو أن يكون حلما وانه لن يحصل على شيء من الامدادات بسبب ضعف الخلافة في مصر في ذلك الحين . فاضطر إلى رفع الحصار والعودة إلى بلاده[١٠] .

لم تعمر امارة بني عقيل طويلا ففي سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٧ م سقطت حلب على يد التركمان ، ثم لحقتها الموصل سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م .

هذا ويتضح لنا بعد استعراضنا لعلاقة الفاطميين مع العقيليين بأن هذه العلاقة بين الطرفين ، لم تكن تسير دائما في اتجاه واحد ولصالح الفاطميين . اذ لم يكن لتشيعهم وحبهم لآل علي أي أثر أمام مصالحهم السياسية التي كانت تهدف في المقام الاول على المحافظة على كيانهم وعلى وجودهم . فقد تحمس بعض الامراء العقيليين للدعوة الفاطمية ، وأقاموا الخطبة في بلادهم للخلفاء الفاطميين . ولم يكن ذلك منهم حبا للفاطميين ، وانما كان رغبة في الاستفادة منهم وحماية لامارتهم من العباسيين . ولكنهم سرعان ما كانوا يعودون الى طاعة الخلافة العباسية ، عندما كانوا يشعرون

---

(٩) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١١٥ .
— بينما يذكر خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ — ١٠٨ ان مسلم بن قريش حاصر دمشق سنة ٤٧٦هـ .

(١٠) ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٨٠ — ٨١ .
— خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

بالخطر على امارتهم من جانب البويهيين والسلاجقة .

ويظهر ذلك جليا حين نستعرض مواقف أمراء العقيليين كلا على حدة ازاء الخلافة الفاطمية . فمنذ الفتح الفاطمي للشام لاحظنا أن ظالما العقيلي وقف وقفة عداء للفاطميين . ولولا ظروف الخلاف التي حدثت بينه وبين القرامطة واضطراره الى الفرار منهم ، لما لجأ الى الفاطميين .

ودعا محمد بن المسيب للفاطميين بعد أن أغراه دعاة الفاطميين بذلك، ولكن البويهيين كانوا يخشون امتداد الدعوة الفاطمية وانتشارها في العراق . لذلك فقد طردوه من الموصل منذ سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م . ولا ندري هل كان سيستمر في دعوته للفاطميين لو قدر له أن يبقى في امارته .

ومن العجب أن المقلد العقيلي الذي كان متحمسا للشيعة وكان يعلن تشيعه لم نسمع بأنه دعا للفاطميين في فترة حكمه التي استمرت من سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م حتى سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م .

وما أن تولى قرواش بن المقلد العقيلي حتى ظهر تردده بين الخلافتين بشكل واضح فقد تردد عدة مرات بين الفاطميين والعباسيين ، وعندما خطب للفاطميين فانه لم يكن مخلصا لهم كل الاخلاص ، اذ كانت اقامته الخطبة باسمهم من أجل مزيد من الاموال والهدايا والخلع . ولم يلبث أن أعاد الخطبة للعباسيين حين هدده بهاء الدولة البويهي بانفاذ الجيوش لقتاله . وقد أدرك هبة الله الشيرازي تردده هذا عندما زاره بالموصل ، وعرف حقيقة نواياه .

كما رأينا قريش بن بدران العقيلي يمنح الخليفة العباسي القائم بأمر الله الامان عندما دخل بغداد في رفقة البساسيري ، ثم بعد ذلك يسلمه إلى

ابن عمه ، ليساوم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وليحصل منه على أكبر قدر ممكن من المال مقابل تسليمه إليه •

أما مسلم بن قريش العقيلي ، فقد كان همه المحافظة على حدود دولته فقط • وفي سبيل تحقيق هذا الهدف أظهر أول الامر طاعته للعباسيين • ثم خالفهم بعد أن هيأ أمور امارته وأصبح يخشى عليها منهم ، فحاربهم باسم الفاطميين • غير أن الفاطميين لم يستطيعوا بسبب ظروفهم الخاصة وقتذاك امداده ، ففشلت خطته • وبذلك زادت عداوة السلاجقة له وكانت نهايته على أيديهم •

هذا وعلى الرغم مما عرفناه من تعصب بعض امراء بني عقيل للشيعة كالمقلد وقرواش وقريش ومسلم ، واظهارهم العداء للعباسيين في بعض الاحيان • فليس لدينا ما يجعلنا نعتقد أن عامة بني عقيل أو من خضع لنفوذهم من رعايا كانوا يتشيعون مثلهم •



٣ - بنو مزيد في الحلة

آ ـ ظهور بني مزيد في الحلّة

بنو مزيد هم بطن من بني أسد بن خزيمة ، وهم قبيلة عظيمة من العدنانية[1] . وكانت بلادهم فيما يلي الكرخ من أرض نجد ، وفي مجاورة طيء . وقد قيل أن بلاد طيء في الحجاز كانت لبني أسد ، فلما خرجوا من اليمن غلبوهم على أجأ وسلمى . ثم تفرق بنو أسد بعد الاسلام من بلاد الحجاز الى الاقطار ، فنزلوا العراق ، وسكنوا الكوفة منذ سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م وملكوا الحلّة وجهاتها حتى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م . ففي ذلك التاريخ أمر الخليفة العباسي المستنجد بالله باهلاك بني أسد أهل الحلة المزيدية لما ظهر من فسادهم[2] .

وتعد قبيلة أسد التي منها بنو مزيد من القبائل العربية ذات التاريخ الحربي المجيد ، فقد سجل لها التاريخ كثيرا من الحروب والغزوات في الجاهلية والاسلام .

ويبدأ تاريخهم في الاسلام بقدوم وفدهم إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة ٩هـ/٦٣٠م . وقد ارتدت عامة بني أسد عن الاسلام . ومن أشهر أيامهم في حروب الردة يوم بزاخة . ولما عادت أسد إلى الاسلام قاتلت

---

(١) انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جزء ١ ، ص ٤١١ .
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٦ .
ـ عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢١ ـ ٢٣ وجزء ٣ ص ١٠٨٢ .

(٢) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣ .

مع سعد بن أبي وقاص في العراق في موقعة القادسية سنة ١٤هـ/٦٣٥م ، وأصيب منهم يوم أرماث خمسمائة رجل • ثم انهم قاتلوا الحسين بن علي ابن أبي طالب مع عبيد الله بن زياد سنة ٦١هـ/٦٨٠م[٣] •

ثم يسكت التاريخ عن ذكرهم حتى الربع الاخير من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي • ففي هذه الفترة ، وفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م على وجه التحديد نسمع عن خروج أبي الحسن علي بن مزيد الملقب سند الدولة في قومه بني مزيد من أسد وقتاله بهاء الدولة البويهي بعد أن خرج عن طاعته • وأبو الحسن علي بن مزيد هذا هو الذي حصل من الخليفة العباسي والسلطان البويهي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م على اعتراف بامارته[٤] ، وبذلك يعتبر مؤسس الامارة المزيدية • وقد ظلت هذه الامارة قائمة حتى سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[٥] •

أما الظروف التي ساعدت على ظهور أمراء الاسرةالمزيدية على مسرح الاحداث منذ الربع الاخير للقرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي فتعود إلى ما يلي : ــ

١ ــ ضعف الخلفاء العباسيين ، وسيطرة البويهيين من الشيعة الزيدية عليهم • وقد حانت الفرصة لامراء قبيلة بني مزيد عندما دب النزاع بين أفراد الاسرة البويهية من أجل الاستبداد بالسلطة في بغداد ، والسيطرة عليها • فنهضوا يؤيدون واحدا ضد الآخر ليحصلوا من وراء ذلك على أكبر قدر من الكسب المادي • فأميرهم علي بن مزيد استغل النزاع الذي

---

(٣) عمر رضا كحالة : المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ٢٢ .

(٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٨ .
— Encyc of Isl : Article « MAZYADIS » , Vol. III, P. I., p. 434

(٥) Encyc of Isl : Ibid., p. 434

حدث بين صمصام الدولة ، وبهاء الدولة ، فطالب بهاء الدولة بمال ، فلما لم يجد عنده أذنا صاغية لتنفيذ مطلبه ، انضم إلى صمصام الدولة وأقام الخطبة له ، ووقف إلى جانبه بكل ما يستطيع • بل ذهب في تأييده إلى حد الاغارة على مدينة واسط[٦] الامر الذي دفع بهاء الدولة الى قتاله ، مما اضطر علي بن مزيد في نهاية الامر إلى أن يستعطفه ويصلح أمره معه[٧] •

كما أن دبيس بن مزيد أيد أبا كاليجار البويهي ضد جلال الدولة • ولكنه اضطر أن يدفع إلى جلال الدولة بعد ذلك مبلغا من المال ، مقابل مساعدته ضد ثورة أخيه المقلد بن مزيد ليستطيع استعادة الاراضي التي سيطر عليها من الامارة[٨] •

كما أن ظهور الدويلات المستقلة المتعددة في أرجاء كثيرة من الخلافة العباسية بسبب ضعفها شجع قبيلة مزيد ــ كما شجع غيرها من قبل ــ على تكوين امارة لها بالحلة وأن تحصل على اعتراف الخليفة العباسي بها• وكان أول أمرائهم هو أبو الحسن علي بن مزيد الذي حصل على اعتراف الخليفة العباسي والسلطان البويهي بامارته سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م •

٢ ــ انتشار النفوذ الفاطمي في بلاد العراق ، وما ترتب عليه من ازدياد نشاط الشيعة في بغداد • فقد كان الشيعة يقومون بثورات متكررة في بغداد نفسها ، وكثيرا ما نشب النزاع بينهم وبين السنة • بل كانوا في كثير من الاحيان يتجرأون وينادون بأحقية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بالخلافة من العباسيين • ولما كان بنو مزيد من الشيعة[٩] فان انتشار

(٦) الروذراوري : المصدر السابق ، مجلد ٣ ، ص ٢٩٥ .
ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٨٨ .
(٧) ابن الاثير : نفس الجزء والصفحة .
(٨) Encyc of Isl : Op. Cit., p. 434
(٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩ .
ــ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١١٤ ، ١٢٢ .

النفوذ الفاطمي في العراق أدى إلى ظهورهم كبقية الشيعة • وأكثر من ذلك فان آل مزيد كانوا يناصرون الشيعة في بغداد في ثوراتهم ضد الخلافة العباسية ، وخاصة حينما يلمسون مساعدة الخلافة العباسية لسنة ، ويذهبون الى درجة قطع الخطبة للخليفة العباسي •

وعلى الرغم من ميلهم الى الشيعة ومناصرتهم ، فانهم كانوا يحددون موقفهم من الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية حسبما تمليه عليهم مصالحهم • ولكنهم كثيرا ما قاموا بحماية الشيعة في بغداد بعد أن كثرت الفتن والثورات التي كانت تقوم بين السنة والشيعة • مثال ذلك عندما قامت الفتنة بين الطرفين سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م وقام الشيعة بتأييد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، منادين باسمه وشعاره • وناصر الخليفة العباسي القادر بالله السنة[١٠] ، فنهض علي بن مزيد يشفع للشيعة عند الخليفة العباسي ، وخاصة حين لمس عدم مقدرتهم على الثبات ، وانهزامهم أمام الفريق الآخر[١١] •

وعندما نشبت الفتنة في بغداد بين السنة والشيعة مرة أخرى في سنة ٤٤٣هـ[١٢] • وأحرق السنة ضريح موسى الكاظم وقبر زيد ، وقبورا كثيرة لآل البيت[١٣] • ووصل خبر ذلك إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه الامر ، ورأى أن يقطع الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله في المنطقة

---

(١٠) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٦٦ •
(١١) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ١١ ، مجلد ١ ، ورقة ٣٠٣ •
(١٢) ابن الشحنه : روضة المناظر في أخبار الاوائل والاواخر ، ص ٥٤ •
(١٣) ابن الساعي البغدادي : المصدر السابق ، ص ٨٧ •

التابعة له ، احتجاجا على مساعدة الخليفة لاهل السنة[١٤] ٠

ولما غضب الخليفة العباسي من تصرف دبيس بن مزيد ، وعاتبه على ذلك ٠ اعتذر إليه محتجا بأن أهل ولايته من الشيعة ، وأنهم فرضوا عليه ذلك ولا يمكنه أن يخالفهم ، شأنه في ذلك شأن الخليفة الذي لم يتمكن من كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا[١٥] ٠ ولكن دبيسا لم يلبس بعد ذلك أن أعاد الخطبة للخليفة العباسي ٠

٣ ـ المنفعة الشخصية والرغبة في الفائدة المالية ٠ فمن أجل الحصول على المال تظاهر أمراء القبائل في العراق بولائهم للفاطميين وإقامة الخطبة لهم في بعض الاحيان ٠ وقد عبر هبة الله الشيرازي عما لمسه من موقف القبائل العربية هذا وجشعها بقوله : (كانت العيون شاخصة الى مال محمول من الباب الطاهر الى حلب)[١٦] ٠

× × ×

---

(١٤) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، حاشية ص ١٦٧ ٠

(١٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

ـ هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، حاشية ص ١٦٧ ٠

(١٦) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٥٣ ٠

ب ـ علاقة الفاطميين بأمراء بني مزيد في الحلة

عمل آل مزيد على أن تكون علاقتهم جيدة مع الفاطميين لكونهم شيعة . حدث هذا على الرغم من أن امارتهم قامت في ظل الخلافة العباسية، وبالقرب من مركز قوتها وقوة السلاجقة . وعلى الرغم من ذلك . فان مصلحة القبيلة العامة من سياسية ومالية ، كانت تأتي بالدرجة الاولى في كثير من الاحيان ، وتتغلب على كل الاعتبارات الاخرى .

وقد تأسست امارتهم في عهد علي بن مزيد الذي حافظ على التبعية للخلفاء العباسيين حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م[١] ثم خلفه ابنه دبيس ابن مزيد ، وكان دبيس على ما يبدو شخصية قوية . فقد قلد الخلفاء العباسيين وشاركهم في شارات الخلافة . فضرب الطبول على بابه في أوقات الصلاة . كما أنه كان محط رجال الشيعة ، وكان جوادا[٢] .

وفي عهد امارته التي امتدت حتى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨٢ م والتي بلغت ست وستون سنة ، كان النفوذ الفاطمي في أوجه في العراق . ولا شك أن دبيسا تأثر بهذا النفوذ وبانتشار الدعوة الفاطمية في منطقته ، ويظهر ذلك في تردده في الولاء بين الخلافتين .

فقد بدأت أول صلاته بدعاة الفاطميين حين نزل هبة الله الشيرازي

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٧ .
— LANE POOLE : The Mohamadan Dynasties., p. 119
— Encyc of Isl : Article « MAZYADIS » , Vol. III, P. I., p. 434
— بينما يذكر ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٢ ان وفاته كانت في سنة ٤٠٩ هـ .

(٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١١٤ .

في حلة آل مزيد عندما كان في طريقه إلى مصر ، بعد أن طرده أبو كاليجار البويهي من شيراز بناء على طلب الخليفة العباسي . وحين تـرك الحلة ، نزل على قرواش بن المقلد العقيلي[٣] .

ويبدو أن دبيسا كان محط رحال رجال الشيعة الفارين من الخلافة العباسية فعندما اختلف البساسيري مع الخليفة العباسي القائم بأمـر الله استقر رأي البساسيري على الخروج من بغداد في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م . ورأى أن يلتجيء إلى دبيس بن مزيد في الحلة ، لمصاهرة كانت بينهما[٤] . ففي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م تزوج ابن دبيس بن مزيد المسمى بهـاء الدولة منصور من ابنة أبي البركات بن البساسيري[٥] .

هذا ويجب أن نذكر في هذا المجال أن البساسيري اضطر الى اللجوء إلى دبيس بن مزيد على الرغم من أنه لم يكن يثق به تماما ، ولكن الضرورة هي التي دعته الى ذلك وقادته إلى أن يستعين به . اذ تذكر لنا المصادر أن البساسيري حين علم بقرب دخول طغرلبك إلى بغداد ، كاتب دبيس بـن مزيد ، وطلب منه أن يجمع له العرب ليقابل بهم السلطان ، ويصده عـن دخول بغداد . ولكن دبيس بن مزيـد كان مترددا في ذلك ، فقـد كان يخشى من نتائج هذا التدخل ، وكـان يدرك مدى قـوة السلطان[٦] .

---

(٣) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ص ٧٤ .
(٤) ابن الوردي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٥٤ .
— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٤٩٣ .
— العمري : المصدر السابق ، جزء ١٦ ، مجلد ١ ، ص ١٦٦ .
— محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ١٨٧ .
(٥) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤ .
(٦) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٩ .

واضطر البساسيري إلى ترك بغداد إلى الحلة عندما وجد أن دبيس بن مزيد لم يستجب لطلبه •

ثم ان البساسيري بعد أن وصل الى الحلة استطاع أن يقنع ابن مزيد بوجهة نظره ، وأن يحصل على مساعدته في قتال قريش بن بدران العقيلي، وقتلمش ابن عم السلطان طغرلبك • وكان قريش يدعو للسلطان طغرلبك السلجوقي[٧] • وقد اسفرت هذه المعركة والتي سميت بمعركة سنجار عن هزيمة السلاجقة وقريش بن بدران والتجاء الاخير الى دبيس بن مزيد[٨] •

وفي هذه المعركة لعب دبيس بن مزيد دورا كبيرا ، اذ عرف كيف يستغل الطباع العربية ونجح في أن يلهب الحماس في نفوس المقاتلين • فقد بث نساء قبيلته بين قبائل العرب المختلفة من كلبيين وعقيليين ونميريين — وهن كاشفات الوجوه ينادين « يا للعرب يا للعرب » — ملهبات بذلك نار العصبية ومذكيات جمرات الانفة والحمية • واستطعن أن يقمن بدورهن خير قيام ، وبذلك تمكن البساسيري ودبيس بن مزيد من الانتصار على السلاجقة[٩] •

كما أن دبيس بن مزيد لعب دورا آخر في هذه المعركة • فقد عمل على استمالة قريش بن بدران العقيلي اليه • فمنذ أن التجأ اليه قريش بن بدران — بعد هزيمة سنجار هذه — منحه زمامه ، وشمله برعايته ، وكف يد البساسيري عن التعرض لاملاك العقيليين ونسائهم • كما أنه دخل الموصل مع البساسيري وقريش فلم ينهبها • ولم يسمح لاحد بنهبها[١٠] •

---

(٧) العيني : المصدر السابق ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ورقة ١٢٤ •
— Encyc of Isl : Article « MAZYADIS » , Vol. III, P. I., p. 434

(٨) راجع فيما سبق ، ص ٣٣٨ — ٣٣٩ •

(٩) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣٤ •

(١٠) هبة الله الشيرازي : نفس المصدر والصفحة •

وليس هذا فحسب بل إنه تمكن من اقناع البساسيري بضرورة عقد صلح مع قريش ، وأوضح له أنه لا يمكنهم التوجه من الموصل الى غيرها من المدن إلا إذا تم هذا الصلح[11] .

ولتحقيق ما عزم عليه دبيس بن مزيد من اقناع قريش بن بدران العقيلي بالدعوة الفاطمية ، فقد أعطاه خلعة كان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله قد أنفذها اليه ، فلبسها قريش ، وترك الدعوة العباسية ، ودعا للخليفة المستنصر بالله .

وما أن علم طغرليك بهزيمة قواته ، وما حدث لابن أخيه قتلمش في سنجار ، ثم انحياز قريش الى البساسيري ودعوته للفاطميين ، حتى بادر بالتوجه الى قتال البساسيري وقريش بن بدران وابن مزيد . وتمكن طغرلبك من دخول الموصل بعد أن خرج منها كل من البساسيري وقريش واتجها الى القيارة[12] .

ويبدو أنه كانت هناك خلافات بين البساسيري والقبائل المرافقة له ، لا نعرف كنهها ولا أسبابها ، ولكن يستطيع الباحث أن يلمس نتائجها . فالقبائل العربية المتجمعة مع البساسيري تفرقت ، وعاد دبيس بن مزيد الى بلاده في سنة ٤٤٩ هـ/١٠٥٧ م[13] كما بدأ كل من دبيس بن مزيد ، وقريش بن بدران العقيلي بمكاتبة طغرلبك طالبين منه العفو عنهم ، وعملوا على بذل كل ما يستطيعونه من أجل اصلاح حالهم معه[14] . ولتحقيق ذلك

---

(١١) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(١٢) العيني : المصدر السابق ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ص ١٢٤ .

(١٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨١ .

— العيني : المصدر السابق ، جزء ٢٠ ، مجلد ١ ، ص ١٣٨ .

(١٤) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ .

أرسل دبيس ابنه أبا كامل منصور ، الملقب بهاء الدولة ، مع وفد قريش بن بدران الى السلطان طغرلبك في بغداد • ويبدو أن طغرلبك لم يستقبل هذا الوفد استقبالا طيبا ، فقد تشدد في تقبل الاعتذار منهم ، وفي العفو عنهم ، وذهب في تشدده إلى حد انه طلب ضمانا على اخلاص كل من دبيس بن مزيد ، وقريش بن بدران العقيلي له • وقد حدد هو بنفسه هذا الضمان ، وهو أن يتركا أولادهم كرهائن عنده • كما طلب منهما مبلغا كبيرا من المال يعجزان عن دفعه[15] •

وعلى النقيض من ذلك كان داعي دعاة الفاطميين هبة الله الشيرازي — الذي كان في ذلك الحين في الرحبة حاملا الاموال والامدادات الفاطمية الى البساسيري — سياسيا بارعا يحسن التصرف ، ويسارع الى استغلال الفرص والظروف السانحة • فقد أدرك حرج موقف دبيس بن مزيد مع طغرلبك ، ولهذا أرسل إليه كتابا بدأه بأن قبح لـه ما ذهب من أجله الـى طغرلبك ، وحثه على اللحاق بأنصار الفاطميين •

وهذه المبادرة من جانب هبة الله الشيرازي دفعت دبيس بن مزيد إلى أن يترك الحلة — بعد أن فقد الامـل مـن جانب طغر لبك — ويتجه الى الرحبة•وقد أحسن هبة الله استقباله،وأطلعه على أمر البساسيري وماحصل عليه من الدولة الفاطمية من الاموال والمساعدات ، لدرجة أن دبيس حسد البساسيري على ما هو عليه • ومن ثم اقتنع باقامة الدعوة الفاطمية[16] •

وعلى الرغم من أن ابن مزيد اقتنع بما دعاه إليه هبة الله الشيرازي ،

---

(١٥) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ •
— بينما يذكر ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ ، أن طغر لبك أكرم الوفد .
(١٦) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ •

إلا ان الصفات البدوية كانت متغلبة عليه . ويبدو أنه اشترط شروطا مقابل انضمامه إلى حركة البساسيري ، كأن يكون هو الآمر على القبائل . فقد طلب من هبة الله الشيرازي أن يسير ثمال بن صالح المرداسي إليه ، وكاد ثمال أن يفعل لولا قيام قبيلته عليه ومنعه من ذلك[١٧] .

كما دفع جماعة من كبار رجاله إلى هبة الله الشيرازي تسأله أن يعطيها من المال ما يقابل هذا العمل العظيم الذين هم بصدده ، ألا وهو فتح بغداد وإقامة الدعوة بها للفاطميين . ولما لم يكن في إمكان هبة الله أن يدفع لهم أكثر مما دفع ، فقد أوضح لهم أنه اعطاهم أموالا كثيرة بينما هم لم يقدموا بعد شيئا ، وكل ما قدموه لا يعدو أن يكون وعودا ، وان تحقيق هذه الوعود أمر متروك للمقادير . ثم جابههم بقوله إذا كنتم تريدون بيع السمك في لج البحار بالاسعار الغالية فأنا مستعد أن اعفيكم من اقامة الدعوة للدولة الفاطمية اذا ملكتم بغداد (ولتكن خالصة في رقابكم)[١٨] .

ولكن دبيس مال الى التشدد ، وأخذ يقف موقف الآمر الناهي . كما تعصب لابن وثاب النميري ضد ثمال بن صالح المرداسي في خلافهما على مدينة الرقة ، ورأى أن يتنازل ثمال بن صالح لابن وثاب عنها[١٩] .

ولم يكتف دبيس بتقديم شروطه وطلباته على هذا النحو ، بل انه كان يعظم الامر الذي هم بصدده أمام جمهرة الناس ، حتى كادت أن تفشل الجهود التي بذلها هبة الله الشيرازي لبث الحماس فيهم . فقد كان هبة الله الشيرازي يعمل أمامهم على استصغار شأن طغرلبك والخليفة العباسي . وكاد دبيس بن مزيد بأقواله هذه أن يفل من عزمهم عن القيام بالمهمة التي

(١٧) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
(١٨) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .
(١٩) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

عزموا عليها ، لأنه صور لهم أن قواتهم ، بل أضعاف قواتهم تقصر عن القيام به[٢٠] .

وليتدارك هبة الله الشيرازي الامر ، كان عليه أن يقنع الجميع بأن العدو ليس كما يصفه دبيس بن مزيد . كما حذر دبيس بن مزيد من قول ذلك أمام الناس[٢١] .

وبعد فترة من الجدل استطاع هبة الله الشيرازي أن يحصل على موافقة دبيس بن مزيد لما دعاه إليه . ومن ثم منحه العهد الذي جاءه من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، والذي يلقبه فيه بسلطان ملوك العرب ، وسيف الخلافة ، وصفي أمير المؤمنين ، وقلده فيه الزعامة على عرب العراق. ومنحه النظر على الاراضي من شرقي الفرات الى أقصى ما يفتح الله تعالى للدولة الفاطمية من البلاد[٢٢] .

ويبدو أن دبيس بن مزيد ــ على الرغم من كل ما حصل عليه من الخليفة الفاطمي ــ كان يرغب في الدولة العباسية ويفضلها على الفاطميين . فقد عاد ثانية الى طاعة العباسيين ، مما أغضب هبة الله الشيرازي منه . ورأى هبة الله أن يذكره بما كان من طغرلبك في حقه قبل ذلك ، وكيف أنجده الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، ومنحه ولاية البلاد ، وان يذكره أيضا بتشيعه .

عند ذلك أوضح دبيس بن مزيد الى هبة الله الشيرازي الاسباب التي دعته إلى أن يلجأ إلى طغرلبك . فأشار الى تقاعد العرب عن القيام

---

(٢٠) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٢١) هبة الله الشيرازي : نفس المصدر والصفحة .

بمسؤولياتهم كاملة ، وعدم استطاعته الاعتماد عليهم ، وعدم ثقته بمعونتهم له . واقترح أن ينتدب الخليفة الفاطمي المستنصر بالله أحد أولاده للقيام بمثل هذه المهمة ليضمن مساعدة العرب له ، وأن يرسل معه الاموال والخزائن والرجال . كما لم يفته أن يوضح موقف عشيرته من هذا الامر ، فأشار إلى أنهم يخافون طغرلبك ، وانه كلما دعاهم الى النهوض للقتال تثاقلوا ، وان تقدم تأخروا[٢٢] .

وما أن سمع هبة الله الشيرازي من دبيس بن مزيد ذلك حتى يئس منه ومن موقفه المتردد المتخاذل وترك الشام عائدا الى مصر . بينما أتيحت الفرصة للبساسيري وقريش بن بدران العقيلي بدخول بغداد ، والقبض على الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وارساله إلى مهارش بن المجلي العقيلي حيث بقي سنة كاملة في كنفه .

وكان السلطان طغرلبك السلجوقي في أثناء تلك الفترة يعمل على القضاء على الثورة التي قام بها أخوه ابراهيم ينال بتحريض من الفاطميين . وكان قد استصحب معظم جنوده ، حتى خلت بغداد من المقاتلة . لذلك أرسل الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى نور الدولة دبيس بن مزيد يأمره بالمجيء الى بغداد ليدافع عنها ، فجاء اليها في مائة فارس . وقد طلب الخليفة العباسي من دبيس أن يقيم في بغداد ليقوم بالدفاع عنها . ولكنه اعتذر بأن العرب لا تقيم ، وأشار إلى الخليفة القائم بأمر الله ، وعلى رئيس الرؤساء بالخروج من بغداد والذهاب معه ، ووعدهما بالمساعدة ضد عدوهما والدفاع عن بغداد[٢٣] . ولما لم يجيباه الى شيء من ذلك عاد الى بلاده[٢٤] .

---

(٢٢) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ١٦١ .

(٢٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ .

(٢٤) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٣ .

ولما انتهى البساسيري من السيطرة على بغداد بدأ يعمل على السيطرة على باقي مناطق العراق . وفي هذه الفترة أطاعه دبيس بن مزيد[٢٥] ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ، اذ ما لبث طغر لبك أن انتهى من مهمته التي كان مشغولا بها . وعاد الى بغداد ليعمل على إعادة الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى دار الخلافة . فاضطر البساسيري الى الهرب عن بغداد واللجوء الى دبيس بن مزيد في الحلة .

ومن هناك أخذ البساسيري يجمع غلات واسط ويتهيأ لقتال السلطان طغر لبك السجلوقي [٣٦] . وقد بدأ السلطان يعد العدة للقائهم ، فجهز سرية متقدمة تتألف من ألفي فارس ، ولى قيادتها خمارتكين ، ووجهها نحو الكوفة ، وطلب منها أن تمنع البساسيري من المسير الى الشام . ثم سار طغر لبك في اثرها [٢٧] .

وقبل أن يبدأ طغرلبك قتال البساسيري ، حاول وزيره عميد الملك الكندري أن يعمل على ابعاد دبيس بن مزيد عن البساسيري ليضعف جانبه . وقد جرت بينهما مراشلات في هذا الصدد ، أجاب عميد الملك عنها بما يلي (ان عميد الملك يقرئك السلام ويقول لك قد مكنت في نفس السلطان من أمرك ما جعلت لك فيه المحل اللطيف والموقع المنيف ، وشرحت له ما أنت عليه من الطاعة والولاء . ويجب أن تسلم هذا الرجل ويسلم كل من في صحبتك ، فما الغرض سواه ولا القصد يتعداه ، لما اقترفه من عظيم الجرم ، وان امتنعت واحتججت بالعربية وذمامها وحرمة نزوله عليك ،

---

(٢٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ .
(٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٨٣ .
(٢٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٦ .
— الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٩٤ .

فانصرف عنه ودعنا واياه) . فرد عليه دبيس قائلا : (ما أنا الا خادم السلطان مطيع . الا أن للبدوية حكمها وقد نزل هذا الرجل علي نزولا وما آثرته ولا اخترته بل كرهته ..)[٢٨] .

وقد طلب دبيس بن مزيد من الرسول ان يخبر طغرلبك بصدق نيته وما اتفقا عليه من أن يبعد كلا من جيش طغرلبك ودبيس عن بعضهما مرحلة لئلا يصطدما . ولتتمكن قوات طغرلبك من القبض على البساسيري .

ولم يكن دبيس صادق النية في اتفاقه هذا ، ويبدو أنه لم يكن يشق بطغرلبك ، بل كان يخافه . ومن أجل ذلك قرر أن يبدأ القتال قبل وصول طغرلبك وذلك بقصد التخلص من السرية المتقدمة التي أرسلها طغرلبك ويحاول ابعادها عن قواته ، ومن ثم يدبر أمر انفصاله عن البساسيري[٢٩] .

ورتب دبيس بن مزيد أموره بأن أخبر البساسيري بما جرى الاتفاق عليه مع رسول طغرلبك . وأراد أن يتفق معه على خطة العمل . ولكنهما فوجئا بوصول السرية المتقدمة الى الاراضي التابعة لآل مزيد في يوم السبت ٨ ذي الحجة سنة ٤٥١ هـ[٣٠] .

ارتبك كل من البساسيري ودبيس لهذه المفاجأة . واتخذ كل منهما رأيا للتخلص من هذا المأزق . فقد أراد البساسيري أن يفاجيء السرية في نفس الليلة التي وصلت فيها ويقضي عليها . بينما أقنعه دبيس بن مزيد بتأجيل ذلك حتى الصباح حتى يتم نقل رحلة الى البطيحة .

وقد قام بعض رجال دبيس بن مزيد بالرحيل مع أهاليهم خوفا من

---

(٢٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٢٩) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢١٠ .

(٣٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٦ .

— ابن خلدون : المصدر السابق ، مجلد ٤ ، ص ٢٧٩ .

اللقاء • ولما رأتهم قوات طغر لبك يرحلون على هذا النحو قاموا بتتبعهم • وعلى الرغم من أن دبيس بن مزيد عمل جادا على رد العرب ودفعهم لقتال السلاجقة ، الا أنهم لم يرجعوا ، وفاجأتهم السرية بالهجوم عليهم في يوم الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجة ، ولهذا اضطر دبيس بن مزيد أن يساعد البساسيري بمن بقي معه • وما لبث العرب من بني مزيد ان انهزموا ، واضطر البساسيري الى الهرب • فلحق به السلاجقة وقتلوه ، ثم قطع رأسه وطيف به في بغداد سنة ٤٥١ هـ/١٠٥٩ م[٣١] ، كما أسر منصور وبدران وحماد بنو دبيس بن مزيد ، بينما هرب دبيس نفسه في عدد قليل من رجاله الى البطيحة ومعه أولاد البساسيري وأخواه الصغيران • وبقي دبيس بالبطيحة الى أن شفع له عند السلطان طغر لبك ، ثم سار لمقابلته ببغداد ، وهناك عفا عنه كما خلع عليه ورده الى الحلة[٣٢] • وقد ظل يقيم بها حتى أدركته الوفاة في سنة ٤٧٤ هـ/١٠٨٢ م[٣٣] •

تولى بعده ابنه أبو كامل منصور الملقب بهاء الدولة • وفي عهده ضعف النفوذ الفاطمي في هذه الجهات ، ولذلك لم تكن لبهاء الدولة علاقات ظاهرة مع الفاطميين وكذلك كان الامر في عهد ابنه وخليفته صدقة الملقب سيف الدولة ، والذي تولى الامارة في سنة ٤٧٩ هـ/١٠٨٧ م • ويقال أن سيف الدولة صدقة هذا كان ملك عرب العراق ، وأنه بلغ من القوة والنفوذ

---

(٣١) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨٦ •
— ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢١٠ •
— ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٣٢١ •
— الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٩٤ •

(٣٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٨٩ •
— ابن كثير : البداية والنهاية ، جزء ١٢ ، ص ٨٣ •
— ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٨ •

(٣٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١١٤ •

حدا ، لدرجة أنه تجرأ على محاربة السلطان السلجوقي ملكشاه ، وان هذه الحرب لم تتوقف الا بعد أن استطاع الخليفة العباسي اصلاح الحال بينهما[٣٤] .

ونستخلص من ذلك العرض أن بني مزيد الذين أقاموا لهم امارة بالحلة ، قد اتسمت علاقتهم بالفاطميين بالنفعية على الرغم من تشيعهم . فلم يكن هؤلاء مخلصين للفاطميين بل كانت مصلحتهم الشخصية هي رائدهم في مجاراة الفاطميين . ويمكن القول انهم كانوا متذبذبين بين الطرفين ، بواقع مصلحتهم العامة ومصلحة إمارتهم . فعلى الرغم من تشيعهم ، فانهم انحازوا أحيانا إلى العباسيين ، وناصروهم ضد القبائل الاخرى . يدلنا على ذلك استعانة الخليفة العباسي القادر بالله بهم ، واعتماده عليهم في صد القبائل العربية الاخرى . فعندما قامت قبيلة خفاجة بالهجوم على ركب الحجاج ونهب أموالهم في سنة ٤٠٢ هـ/١٠١١ م أرسل فخر الملك وزير القادر بالله العباسي الى أبي الحسن علي بن مزيد يأمره بملاحقتهم والثأر منهم . فسار أبو الحسن علي بن مزيد في أثرهم ، حتى لحق بهم وقد قاربوا البصرة . فأوقع بهم وقتل منهم ، وأسر جماعة كثيرة وأخذ من أموال الحجاج ما وجده عندهم ، ثم أرسل الاسرى وكل ما استرده من أمتعة الحجاج وأموالهم إلى بغداد[٣٥] .

وكان بنو مزيد تابعين للخليفة العباسي والسلطان البويهي ثم السلجوقي ، ولم تكن تصح ولاية أمرائهم إلا بعد موافقة الخليفة العباسي والسلطان عليها . مثال ذلك أنه عندما مرض أبو الحسن علي بن مزيد في سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧ م كتب بولاية العهد لابنه دبيس ، ثم أرسل الكتاب

---

(٣٤) الذهبي : كتاب دول الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢١ .

(٣٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٦٤ .

— العيني : المصدر السابق ، جزء ١٩ ، مجلد ٤ ، ورقة ٥٨١ .

معه إلى سلطان الـدولة البويهي ، فأجابه إلى ذلـك وخلع عليـه الخليفة العباسي وكتب له المنشور بالولاية(٣٦) .

ولما توفي نور الدولة دبيس بن مزيد في سنة ٤٧٤ هـ/١٠٨٢ م ، خلع الخليفة العباسي على ابنه منصور الذيخلفه ، كما منحه السلطانالسلجوقي ملكشاه لقب بهاء الدولة(٣٧) .

كما وجدنا دبيس بن مزيد الذي كان يعتبر حامي الشيعة في العراق كما جاء على لسان هبة الله الشيرازي في رسالة كتبها له(٣٨) لا ينحاز الـى الدعوة الفاطمية بسهولة . ورأيناه يناقش هبة الله الشيرازي في كل صغيرة وكبيرة ويضع في سبيله كافة العراقيل لينصرف عن مهمته . وقد انتهى الامر فعلا بأن أدرك هبة الله الشيرازي حقيقة موقفه وبالتالي صعوبة تنفيذ مهمته فعاد إلـى مصر .

وقد عمل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ودعاتـه جادين لاستمالته اليهم . الا أنه لم تكن تعوزه المبررات الكثيرة التي تنصل بها من تنفيذ ما طلب منه القيام به لانجاح مهمة الفاطميين ، محتجا حينا بقـوة الاعـداء ، وحينا آخر بعدم طاعة أبناء قبيلته له وخوفهم من السلطان .

وعلى الرغم من ذلك عمـل الخليفـة الفاطمي جاهـدا على ضمـه للبساسيري فلقبه ملك العراق ليرضي في أعماق نفسه غريزة الرجل العربي الذي تستهويه الشهرة والالقاب العريضة ومنحه الخلع والالقاب ، وأرسل

---

(٣٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٩٩ .
سبط بن الجوزي : المصدر السابق،جزء ١١ ، مجلد ٣ ، ورقة ٣٨٦.
(٣٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٠ .
(٣٨) هبة الله الشيرازي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

إليه بالاموال ، ولكن كل ذلك لم يجد شيئا • فكثيرا ما اتسم موقفه بالتردد بين الفاطميين والعباسيين بل رأيناه في أحرج الاوقات ـ وعندما كانت الجيوش الداعية للفاطميين على وشك دخول بغداد وكان البساسيري على أبوابها ـ يقف موقف المدافع عن الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ويدخل بغداد مع فرسانه لحمايته •

وهكذا يمكننا القول أن المصالح السياسية كانت فوق كل المصالح ، وأن الامور المذهبية لم يكن لها أي وزن إلا اذا كانت وسيلة للحصول على الاموال أو لتحقيق مصلحة شخصية• ولهذا كان آل مزيد في طاعة العباسيين فيما عدا بعض الاوقات التي خرج فيها أميرهم دبيس بن مزيد عن الطاعة تحت اغراء بريق المال الذي كان يمده به الخليفة الفاطمي •

★ ★ ★

الخاتمة

لقد استعرضنا الاوضاع في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الرابع وفي القرن الخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين ، وأدركنا الفوضى التي كانت تمر بها بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي ، والتي ازدادت سوءا بعد هذا الفتح . فقد كانت بلاد الشام قبل الفتح الفاطمي موزعة بين عدد من الدويلات ، كما كان يستقر بها عدد من القبائل العربية في مناطق متفرقة من البلاد . وكانت الدولة العباسية في عصرها الثاني ، تمر بفترة ضعف سياسي .

ولم يفعل الفاطميون بمحاولتهم فتح الشام والسيطرة عليه ، إلا ما فعله من قبل كل من قدر له أن يحكم وادي النيل ، سواء في العصر القديم أو في العصر الاسلامي . لقد كان حكام مصر يرون على الدوام أن تأمين مصر يقتضي مد حدود دولتهم إلى جبال طوروس في شمال الشام . غير أنه بالاضافة الى تحقيق هذا الهدف ، فان الفاطميين كانوا يرون أن سيطرتهم على بلاد الشام هي مرحلة ضرورية في تحقيق هدفهم الرئيسي وهو القضاء على الخلافة العباسية . ولكنهم في هذه المرحلة الهامة من النزاع الفاطمي العباسي فشلوا في تحقيق هذين الهدفين . ذلك أنهم عجزوا عن تحويل أهل الشام الى مذهبهم ، وبذلك أثاروا عداءهم . كما أن القوى المناوئة لهم في السيطرة على بلاد الشام كانت عديدة : قوى خارجية تمثلت في العباسيين والبيزنطيين، وقوى محلية تمثلت في القبائل العربية التي استيقظت في هذه الفترة من سباتها العميق ، وأخذت تلعب دورها في بلاد الشام بعد أن كانت قد أبعدت عن ذلك على يد العباسيين .

فقد اتخذ القائد الفاطمي جعفر بن فلاح سياسة ضرب القبائل العربية ببعضها البعض ، فحرض كمارأينا قبيلتي مرة وفزارة على العقيليين ، مما دعا هؤلاء الى الفرار من وجه الفاطميين . واضطر زعيمهم ظالم بن موهوب العقيلي الى الفرار الى البحرين ، وتحريض القرامطة على الهجوم على بلاد الشام .

ثم إن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله لمس سوء هذه السياسة ، كما أنه اكتشف أهمية الاعتماد على بعض القبائل العربية ، فسار على سياسة جديدة تجاه القبائل يمكن أن تتلخص في أنه عمل وبعض خلفائه من بعده ، على استخدام القبائل لضرب أعدائه وتثبيت نفوذه في الشام . فاتفق مع آل الجراح وظالم بن موهوب العقيلي ليستطيع بمساعدتهم طرد القرامطة وابعادهم عن بلاد الشام ، وأثمرت هذه الخطة وتمكن الفاطميون بواسطتها من التخلص من حصار القرامطة للقاهرة . وما نريد أن نضيفه هنا هو أن هذه السياسة التي سار عليها الفاطميون مع القبائل العربية قد تسببت في صحوتهم من سباتهم وقيامهم بدور فعال ، منضمين إلى الفاطميين حينا أو عاملين على مناهضة نفوذهم حينا آخر . كما عملوا على استغلال الاوضاع المضطربة لتحقيق الكسب المادي . بل انهم كثيرا ما تسببوا في افساد الامور ليستطيعوا الحصول على أكبر قدر من المال .

وفي هذا المجال يقتضي الامر أن نذكر أن أمراء الدويلات العربية وزعماء القبائل كانوا يستغلون تنافس الخلافتين العباسية والفاطمية على النفوذ في بلاد الشام . فقد كانوا يدعون للعباسيين ثم لا يلبثون أن ينحازوا للفاطميين ، والعكس بالعكس . وكانت غايتهم من ذلك تحقيق مصالحهم السياسية ، والعمل على المحافظة على حدود امارتهم ، والحصول على أكبر قدر من المال ، أي تحقيق مصالحهم الخاصة . وفي هذا الصدد تشابهت أهداف زعماء القبائل مع أهداف الامراء في ولاياتهم .

ويجب أن لا ننسى دور أهالي دمشق ووقوفهم ضد الفتح الفاطمي بسبب الخلاف المذهبي الذي كان بينهما . فقد قامت في دمشق سلسلة من الثورات التي كان يقوم بها الدمشقيون بأنفسهم أحيانا ، أو بالاستعانة بقوى أجنبية أحيانا اخرى ، مما جعل المدينة كالبركان المتفجر .

ولعب بنو الجراح في جنوب بلاد الشام دورا هاما في العصر الفاطمي. لقد وقفوا في وجه الفاطميين في معظم الاحوال الا في حالات نادرة حين قدموا لهم المساعدة في القبض على افتكين ، وفي ثورة أبي ركوة ، وفي قتالهم مع بني قرة . فقد انضموا بقيادة زعيمهم حسان إلى القرامطة وكان هدفهم النهب والسلب ، ولذلك فانه عندما أغراهم المعز لدين الله الفاطمي بمائة ألف دينار تركوا مساعدة القرامطة وتسببوا في هزيمتهم ، وساعدوا بذلك على تحقيق نصر عسكري وسياسي للمعز لدين الله .

وعلى الرغم من أن آل الجراح وفوا بوعدهم للخليفة المعز لدين الله ، إلا أن الخليفة الفاطمي لم يف بوعده كاملا . فقد سلمهم نقودا نحاسية مطلية بالذهب ، ولهذا لم ينس آل الجراح له هذه الخدعة ، وصمموا على أن لا يتركوا فرصة إلا وأثاروا فيها المتاعب للدولة الفاطمية . فقد استغلوا فترات الضعف التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية ، كما استغلوا سوء الاحوال الاقتصادية بسبب المجاعة التي حدثت في أواخر عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وهاجموا حدود مصر . كما أنهم لم يرعووا عن مهاجمة الحجيج وكانوا يقصدون بذلك تحقيق هدفين : الحصول على المال، واظهار الدولة الفاطمية بمظهر الدولة العاجزة عن حماية الحجاج ، وكانت هذه المهمة من أقدس مهمات الخلافة .

وقام آل الجراح بما هو أكثر من ذلك في عدائهم للفاطميين . فقد عملوا في سنة ٤١٦ هـ/١٠٢٥ م ، وفي عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز

دين الله على مكاتبة القبائل العربية في مصر نفسها وتحريضها على الخلافة الفاطمية . وذلك عندما أرسلوا علي بن محمد الشاعر لبني قرة .

أما الكلبيون الذين كانوا يسكنون في المناطق التي تحيط بدمشق ، فيمكن أن نعتبرهم قد انحازوا الى جانب الفاطميين . فقد كانوا ينفرون معهم في الحروب ، ويساعدونهم في قتال القبائل الاخرى . ولا يستثنى من ذلك الموقف العام الا موقف زعيمهم سنان بن عليان الكلبي الذي حالف القبائل العربية ضد الفاطميين ، وموقف ابنه مسمار الذي ساعد أهالي دمشق الذين رفضوا ولاية بدر الجمالي عليهم . فقد قاتل زعماؤها القبائل الاخرى مع الفاطميين ، فهاجموا آل الجراح والمرداسيون مع أنوشتكين الدزبري في معركة الاقحوانة . وقاتلوا نصر بن صالح بن مرداس . كما انضموا إلى رفق الخادم لقتال ثمال بن صالح بن مرداس ، وساعدوا البساسيري في ثورته على العباسيين .

أما أمراء القبائل العربية في شمال الشام كالحمدانيين والمرداسيين فقد كان موقفهم من الفاطميين يختلف حسب الاحوال والظروف . فالحمدانيون على الرغم من أنهم حاولوا أن يمدوا للفاطميين يد المساعدة والمعونة عقب فتحهم مصر ، فان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله — وكان لايزال بالمغرب — أمر جوهرا الصقيلي برفض هذه المساعدة لانه كان على علم بنواياهم وغاياتهم . وهكذا بدأ النفور بين الطرفين ، وازداد بما قام به جعفر بن فلاح في بلاد الشام فيما بعد . فقد أرسل بتهديداته الى الحمدانيين في حلب والموصل يأمرهم باقامة الدعوة . ولكنهم رفضوا ذلك التهديد ، وعملوا على الوقوف في وجه الفاطميين . وبدأ العداء سافرا حين أمد أبو تغلب الحمداني القرامطة بالاموال والسلاح لقتال الفاطميين ، ورفض الدعوة التي وجهها له جعفر بن فلاح لاقامة الدعوة للفاطميين محتجا بقرب بلاده من العباسيين . وتردد سعد الدولة الحمداني في دعوته بين الفاطميين

والعباسيين . واقتفى أثره خلفاؤه من بعده، فترددوا في ولائهم بين الفاطميين والعباسيين حسبما تمليه عليهم مصالحهم السياسية . ثم أصبح البيزنطيون طرفا ثالثا في هذا النزاع عندما دخلت الامارة الحمـدانية فتـرة الضعف وعقدت مع البيزنطيين معاهدة حماية تحميهم من محاولات الفاطميين المتكررة للقضاء عليهـا .

فقدقامت حروب متعددة بين الحمدانيين والفاطميين استمرت فتـرة طويلة ، ولم يتم للفاطميين أمر بحلب على الرغم من استعمال القوة العسكرية الكبيرة ، ولم تخضع لهم حلب الا سلما . وقد آثر الحمدانيون التحالف مع البيزنطيين على تسليم بلادهم للفاطميين . وأصبحت منطقة شمالي بلاد الشام في هذه الفترة وكأنها منطقة صراع فاطمي بيزنطـي . وأدت هـذه الحروب بين الحمدانيين والفاطميين الى وقوع جـزء كبير من الامـارة الحمدانية في أيدي الفاطميين على الرغم من عدم وقوع حلب في أيديهم .

وقف المرداسيون في معظم الاحوال موقفا عدائيا من الفاطميين . فقد عصى صالح بن مرداس الخليفة الحاكم بأمر الله ، ومن بعده الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله . واستغل الظروف السيئة التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية فحاربها وطرد نوابها من حلب ، واستولى على الاراضي الواقعة بين عانة وبعلبك ، مما اضطر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الى قتاله ، وكانت نهايته ونهاية ولديه على يد الفاطميين . حدث هذا على الرغم من أن الخليفـة الحاكم بأمر الله كان قد سمح لصالح بن مرداس بأخذ كل ما كان وعده به مرتضى الدولة من لؤلؤ ، وعلى الرغم من أنه منحه لقب أسد الدولة وكان يعتمد عليه أحيانا للوقوف ضد من يثور عليه في حلب ، وخاصة في السنين الاخيرة لحكم الدولة الحمدانية .

وفي أيام حكم الدولة المرداسية دخل السلاجقة حلب النزاع . وكان

السلاجقة قد أعطوا الخلافة العباسية روحا جديدة ، ونافسوا الفاطميين في حكم بلاد الشام ، وانحاز إليهم بعض الامراء في الشام خوفا من قوتهم، وخاصة وأن الدولة الفاطمية في تلك الفترة كانت قد انتقلت إلى فترة الضعف من حياتها .

وعرفنا أيضا ــ في بحثنا هذا ــ أن العقيليين وآل مزيد وان كانوا شيعة إلا أنهم لم يكونوا أنصارا للدولة الفاطمية بل كانوا كغيرهم من القبائل الاخرى يقفون من الفاطميين الموقف الذي تمليه عليهم مصالحهم الخاصة . وكانت المصالح السياسية عندهم تعلو على كل القضايا .

ــ وكثيرا ما كانت هذه القبائل تقاتل بعضها البعض ، فقد قاتل الكلبيون كلا من المرداسيين وآل الجراح . كما قاتل العقيليون المرداسيين وكانت نهاية الدولة المرداسية على أيديهم .

وقد تبدو بلاد الشام في تلك الفترة ــ على وجه التخصيص ــ وكأنها غنيمة موزعة بين عدد من الامارات الانفصاليه ، والقبائل الضاربة في مناطق الأطراف . ولكي يؤمن كل أمير من هؤلاء الامراء سيادته على إمارته أو على منطقة نفوذه كان عليه أن يقيم الحصون القوية للدفاع عن المدن التابعة له ، ولكي يحتمي بها إذا ما لزم الامر . كما يرى نفسه مضطرا لان يغير على ممتلكات جاره لكي يحافظ على ممتلكاته . بل ولا يجد غضاضه ــ كما فعل الحمدانيون ــ في الاستنجاد بالبيزنطيين ضد منافسيهم من الامراء الآخرين . لا يمكن أن نبرز هذا الوضع الا في ضوء حالة الفوضى التي كانت تذرقرنها في بلاد الشام .

لقد أدت هذه الفوضى السياسية التي عمت بلاد الشام في تلك الفترة وبلغت ذروتها في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلى طمع

جيرانها بها • فمنذ القرن الرابع طمع البيزنطيون في استرجاع بلاد الشام وعملوا أقصى جهودهم للسيطرة عليها • فاحتلوا انطاكية ، وبعض مناطق الثغور ، وفرضوا سيطرتهم السياسية على شمال البلاد ، وحتى على أواسطه في عهد افتكين التركي • ولم تكن حالة الفوضى هذه لتخفى على البلاد الاوروبية • فقد كانت تطمع في خيرات الشرق وثرواته فاندفعت جيوشهم لاحتلال البلاد تحت اسم الحملات الصليبية •



المصادر والمراجع



المصادر العربية

١ ـ المصادر الخطية

١ ـ بيبرس الدوادار (ت٧٢٥هـ) : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة »، مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة تحت أرقام ٢٤٠٢٦ ـ ٢٤٠٢٧ .

٢ ـ الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) : « تاريخ الذهبي أو تاريخ الاسلام » مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ

٣ ـ سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) : « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية، رقم ٥٥١ تاريخ.

٤ ـ ابن ظافر الازدي (ت٦٢٣هـ) : « الدول المنقطعة، او اخبار الزمان في تاريخ بني العباس » مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

٥ ـ ابن عساكر (ت٥٧١هـ) : « التاريخ الكبير » مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق مؤلفة من تسعة عشر جزءا تبدأ من رقم ٣٣٦٦ .. وحتى ٣٣٨٤ .

٦ ـ العيني (ت٨٥٥هـ) : « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ .

٧ ـ ابن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) : « مسالك الابصار في ممالك الابصار » مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و ٥٥٩ معارف عامة .

٨ ـ القضاعي (ت٤٥٤هـ) : « تاريخ القضاعي أو عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف » مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ١٧٧٩ تاريخ .

٩ ـ النويري (ت٧٣٢هـ) : « نهاية الارب في فنون الادب » مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف علمة الاجزاء ٢٣ ـ ٢٤ .

٢ ـ المصادر المطبوعة

١ ـ **ابن الاثير (ت٦٣٠هـ)** : « الكامل في التاريخ » تحقيق عبد الوهاب النجار ، دار الطباعة المنيرية . طبعة سنة ١٣٥٣ هـ .

٢ ـ **ابن اياس (ت ٩٣٠ هـ)** : « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ، طبعة بولاق ، سنة ١٣١٢ هـ .

٣ ـ **البلاذري (ت٢٧٩هـ)** : « انساب الاشراف » طبعة بيت المقدس . ١٩٣٦ .

٤ ـ **ابن تفري بردي (ت٨٧٤هـ)** : « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٥ ـ **التنوخي (ت٣٨٤هـ)** : « جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة » تصحيح مرغليوث ، مطبعة أمين هندية بمصر .

٦ ـ **ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)** : « المنتظم في تاريخ الملوك والامم « طبعة حيدر آباد ١٣٥٩ ، ١٠ أجزاء .

٧ ـ **ابن حزم (ت٤٥٦هـ)** : « جمهرة أنساب العرب » تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، طبعة دار المعارف ١٩٦٢ .

٨ ـ **ابن الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)** : « تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ١٤ جزءاً .

٩ ـ **ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)** : « العبر وديوان المبتدأ والخبر » المطبعة الاميرية ببولاق ١٢٨٤ .

١٠ـ **ابن خلكان (ت٦٨١هـ)** : « وفيات الاعيان وأبناء الزمان » (جزءان بولاق ١٢٩٩هـ) .

١١- ابن دريد (ت٣٢١هـ) : « كتاب الاشتقاق » تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ .

١٢- الدواداري (ت في القرن الثامن بعد سنة ٧٣٦ هـ) : (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية) تحقيق صلاح الدين المنجد ، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .

١٣- الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ) : « كتاب دول الاسلام » ، طبعة ثانية ، طبعة حيدر أباد ١٣٦٥هـ .

١٤- الروذراوري (ت٤٨٨هـ) : « ذيل كتاب تجارب الامم » تصحيح هـ . ف آمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر سنة ١٣٣٤ هـ .

١٥- ابن الساعي البغدادي (ت٦٧٤هـ) : « أخبار الخلفاء أو مختصر أخبار الخلفاء ، الطبعة الاولى بولاق» ١٣٠٩م .

١٦- السيوطي (ت٩١١هـ) : « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦٣ .

١٧- : « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين » الطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية ١٣٠٥ .

١٨- ابن الشحنة : أبو الفضل قاضي القضاة محب الدين شيخ الاسلام أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي وهو محمد بن محمد بن محمد بن محمودبن غازي الثقفي ثم الحلبي(ت٨٩٠هـ). « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » بيروت ١٩٠٩ .

١٩ــ أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة زين الدين الحلبي الحنفي قاضي الحنفية بحلب (ت٨١٥هـ) .
« روضة المناظر في أخبار الاوائل والاواخر » المطبوع على هوامش مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٠٣ ــ المطبعة الازهرية المصرية .

٢٠ــ **الصفدي (ت٧٦٤هـ)** : « امراء دمشق في الاسلام » مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٥ .

٢١ــ **الصولي (ت٣٣٥هـ)** : « أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢هـ الى سنة ٣٣٣هـ » عني بنشره ج هيورث . دن ، مطبعة الصاوي .

٢٢ــ **الطبري (ت٣١٠هـ)** : « تاريخ الامم والملوك » الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية المصرية .

٢٣ــ **ابن العبري (ت٦٨٥هـ)** : « تاريخ مختصر الدول » طبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠ .

٢٤ــ **ابن العديم (ت٦٦٠هـ)** : « زبدة الحلب في تاريخ حلب » تحقيق سامي الدهان ، طبعة المعهد الفرنسي دمشق ١٩٥٤ .

٢٥ ــ **ابن عساكر (ت٥٧١هـ)** : « التاريخ الكبير أو تاريخ مدينة دمشق » ، تهذيب ابن بدران .

٢٦ــ **الفاسي (ت٨٣٢هـ)** : « المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء » القسم الاول طبع في قازان روسيا سنة ١٨٢٢ بعناية فرنسيس اردمن .

٢٧ــ « العقد الثمين في تاريخ البلد الامين » تحقيق فؤاسيد ، طبعة القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٦ .

٢٨ـ أبو الفداء (ت٧٣٢هـ) : « المختصر في أخبار البشر » ، ٣ أجزاء .

٢٩ـ ابو فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) : « ديوان ابي فراس الحمداني » جمعه ونشره وعلق حواشيه ووضع فهارسه سامي الدهان، مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٤ م .

٣٠ـ ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ) : « تاريخ ابن القلانسي المسمي ذيل تاريخ دمشق » مصحوب بشذرات من تواريخ ابن الفارقي ، وسبط بن الجوزي والذهبي ، طبعة بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ .

٣١ـ القلقشندي (ت٨٢١هـ) : « صبح الاعشى في صناعة الانشاء » ١٤ جزءاً المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ٣٣٥هـ/١٩٤٦ .

٣٢ـ « نهاية الارب في معرفة أنساب العرب » تحقيق ابراهيم الابياري ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩م .

٣٣ـ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) : « البداية والنهاية في التاريخ » مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، ١٤ جزءاً في سبعة مجلدات .

٣٤ـ مجير الدين الحنبلي : « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل »طبعة مصر ١٢٨٣ .

٣٥ـ أبو مخنف : « مقتل الحسين عليه السلام » نشر محمد الشيرازي طبعة ١٣٦١ .

٣٦ـ المسعودي (ت٣٤٦هـ) : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » محلى الهوامش بالتاريخ المسمى بروضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر لابن الشحنة ، الطبعة الاولى ، المطبعة الازهرية ، مصر سنة ١٣٠٣هـ

٣٧ ـ مسكوية (ت ٤٢١ هـ) : « تجارب الامم » مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية سنة ١٣٣٣هـ .

٣٨ـ المقريزي (ت٨٤٥هـ) : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » مطبعة النيل ١٣٢٤ هـ ، ٤ أجزاء .

٣٩ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا نشر جمال الدين الشيال ، طبعة القاهرة ١٩٤٨ ، دار الفكر العربي وطبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٩٦٧ .

٤٠ـ ابن ميسر (ت٦٧٧هـ) : « تاريخ مصر » جزءان تصحيح هنري ماسيه ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي في القاهرة ١٩١٩

٤١ـ ابن منظور (ت٧١١هـ) : « لسان العرب » طبعة مصورة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة .

٤٢ـ النابلسي الصفدي (ت٦٤١هـ) : « تاريخ الفيوم وبلاده وتاريخ مصر » المطبعة الاهلية مصر ١٨٩٨ .

٤٣ـ ناصري خسرو(ت٤٧٦هـ) : « سفرنامة » ترجمة يحيى الخشاب ،مطبوعات معهد اللغات الشرقية ، طبعة أولى القاهرة ١٩٤٥ .

٤٤ـ النويري (ت٧٣٢هـ) : « نهاية الارب في فنون الادب » مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ، ١٨ جزءاً .

٤٥ـ هبة الله الشيرازي (ت٤٧٠هـ) : « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ م

٤٦ ـ هلال الصابي (ت٤٤٨هـ) : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، طبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٤ .

٤٧ـ الجزء الثامن من تاريخه من (٣٨٩ ـ ٣٩٣ هـ) تصحيح هف امدروز وبعده د.س مرجليوث . وقد ذيل به كتاب تجارب الامم لمسكويه طبعة القاهرة ١٩١٩ هـ .

٤٨ـ **ابن الوردي (ت٧٥٠هـ) :** « تاريخ ابن الوردي » المطبعة الوهبية ، قاهرة ١٢٨٥ .

٤٩ـ **ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) :** معجم الادباء « الطبعة الاخيرة نشر مرغليوث مطبعة دار المأمون عشرون جزءا ، طبعة ١٩٣٦ .

٥٠ـ « معجم البلدان » طبعة اولى سنة ١٩٠٦ عشرة مجلدات .

٥١ـ **يحيى بن سعيد الانطاكي (ت٤٥٨هـ) :** صلة كتاب اوتيخا المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » طبعة باريس ضمن سلسلة Patrologia Orientlis

٣ ـ المراجع العربية

١ ـ **احمد أمين** : « ظهر الاسلام » طبعة القاهرة ١٩٤٥ .

٢ ـ **راشد البراوي** : « حالة مصر الاقتصادية زمن الفاطميين » ، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٨ .

٣ ـ **بروكلمان** : « تاريخ الشعوب الاسلامية ، الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ، ٥ أجزاء ، تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦١ .

٤ ـ **بيتشوف الجرماني** : « تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء » طبعة بيروت ١٨٨٠ .

٥ ـ **ابراهيم جلال** : المعز لدين الله ، طبعة ١٩٦٤ .

٦ ـ **فيليب حتي** : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين .

٧ ـ : « لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية وحتى عصرنا الحاضر ، ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة الدكتور نقولا زيادة ، طبعة دار الثقافة بيروت .

٨ ـ **حسن ابراهيم حسن** : « تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب » الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٤ .

٩ ـ : تاريخ الاسلام السياسي ، الطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦٥ .

١٠ـ حسن ابراهيم حسن وطه اشرف : « عبيد الله المهدي امـام الشيعة الاسماعيليـة ومؤسس الدولة الفاطمية في بـلاد المغـرب » القاهرة ١٩٤٧ .

١١ـ : « المعز لدين الله امـام الشيعـة الاسماعيلية ، ومؤسس الدولة الفاطميـة في مصـر » طبعـة الازهر ١٩٤٧ .

١٢ـ فاضل الخالدي : « الحياة السياسية ونظم الحكـم في العراق » مطبعة الايمان ، بغداد ١٩٦٩ .

١٣ـ يوسف الياس الدبس : « تاريخ سورية » المطبعـة العمومية ببـيروت سنة ١٩٠٠ .

١٤ ـ محمد عزة (دروزه) : تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، ١٣ جزءاً ، الطبعة الاولى ، المكتبـة العصرية صيدا ، بيروت ١٩٦٤ .

١٥ـ زامبـاور : « معجم الانساب والاسرات الحاكمة » ترجمـة زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، جزءان مطبعة فؤاد الاول ١٩٥٢ م .

١٦ ـ احمد بن زيني دحلان : « تاريخ الدول الاسلامية بالجداول المرضية »

١٧ـ وصفي زكريا : « عشائر الشام » جزءان ، طبعة دمشـق ١٩٤٥

١٨ـ فيصل جريء السامر : « الدولة الحمدانية » رسالة دكتوراه لم تطبع ١٩٥٣ .

١٩ـ عبد العزيز سالم : « طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي » ، طبعة ١٩٦٧ .

٢٠ـ محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتـراك الـى منتصف القـرن الخامس الهجري » الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢١ـ : سياسة الفاطميين الخارجية ـ طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٧ هـ .

٢٢ـ : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

٢٣ــ : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٩ .

٢٤ــ مصطفى محمد الشكعة : « الشعر في ظل بني حمدان » رسالة دكتوراه في الآداب سنة ١٩٥٤ ، لم تطبع .

٢٥ــ الطباخ « محمد راغب » : « أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ٧ أجزاء، المطبعة العلمية في مدينة حلب ، الطبعة الاولى ١٩٤٢ .

٢٦ــ نبيه عاقل : « تاريخ بني أمية » محاضرات غير مطبوعة سنة ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ .

٢٧ــ ابراهيم احمد العدوي : « الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية » مطبعة لجنة البيان العربي .

٢٨ــ احمد محمد محمد عدوان : « علاقات الدولة الحمدانية بالدول الاسلامية » رسالة ماجستير لم تطبع .

٢٩ــ عباس عزاوي : « عشائر العراق البدوية القديمة والحاضرة » والحاضرة » مطبعة بغداد ١٩٣٧ .

٣٠ــ محمد عبد الفتاح عليان : « قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين » رسالة ماجستير لم تطبع .

٣١ــ سيد امير علي : « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » تعريب رياض رأفت ، طبعة ١٩٣٨ .

٣٢ــ محمد عبد الله عنان : « مصر الاسلامية وتاريخ الخطط » ، طبعة دار الكتب سنة ١٣٥٠ هـ .

٣٣ــ كامل الغزي : « نهر الذهب في تاريخ حلب » ، ٣ اجزاء ، طبعة المطبعة الماسونية .

٣٤ــ عطية القوصي : « بنو الكنز » دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير لم تطبع .

٣٥ــ سيدة كاشف : « مصر في عهد الاخشيديين » مطبعة جامعة فؤاد الاول ، طبعة اولى مصر ١٩٥٠ .

٣٦- عمر رضا كحالة : « معجم قبائل العرب القديمة والحديثة » المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٤٩ ، ٣ أجزاء .

٣٧- محمد كرد علي : « خطط الشام » طبعة دمشق ١٩٢٥ .

٣٨- عمر كمال توفيق : « مقدمات العدوان الصليبي » الامبراطور يوحنا تزيمكس وسياسته الشرقية ، طبعة ١٩٦٦ .

٣٩- سامي الكيالي : « سيف الدولة وعصر الحمدانيين » طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ م .

٤٠- لسترنج : « بلدان الخلافة الشرقية » نقله الى العربية واضاف عليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية، ووضع فهارسه بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد ١٩٥٤ .

٤١- عبد المنعم ماجد : « التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الامويين » طبعة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٧ .

٤٢- : « ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر » دار المعارف بمصر ١٩٦٨ .

٤٣- حسن احمد محمود واحمد ابراهيم الشريف : « العالم الاسلامي في العصر العباسي » الطبعة الاولى ١٩٦٦ .

٤٤- خاشع المعاضيدي : « دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠/ ٤٨٩ هـ مطبعة شفيق - بغداد ١٩٦٨ .

٤٥- رزق‌الله منقريوس الصدفي : « تاريخ دول الاسلام » طبعة ١٩٠٧ ، ٣ أجزاء .

٤٦- جورج افندي يني : تاريخ سورية .

المراجـــع الاجنبيـــة

REFERENCES

1 — **CANARD (M)** .... : Histoire de la Dynastie de Jazira et de Syrie, 1951.

2 — **COMBRIDGE MEDIAEVAL HISTORY**

3 — **ENCYCLOPEDIA OF ISLAM**

4 — **LE STRANGE (G)** ...: Palestine under the Moslems, London, 1890 .

5 — **LANE POOLE (S)** ... : Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the Khedivial Library at Cairo, London, 1897 .

6 — : The History of Egypt in the Middle Ages. Lodon 1901 .

7 — : The Mohammadan Dynasties, Paris, 1924 .

8 — : The Story of Cairo , London, 1924

9 — **MARMARJI, O. P.** ... : Textes Geographique sur Palestine Paris, 1951 .

10 — **MUIR (W)** .... : The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, Beirut , 1963 .

11 — **SAUVAGET (J)** ...... : Alep. Essai sur le développement d'une grande Ville Syrienne des Origines an Milieu du XIX , Paris, 1941

12 — : Inventaire des Monuments Musulmans de la Ville d'Alep, Paris , 1931 .

13 — : Deux Sanctuaires d'Alep, dans Syria, 1928 .

14 — : Les Perles Choisies D'Ebn Ach-Chihna., Beyrouth, 1933 .

15 — **SAUVAGET, COMBE: ET WIET** .... : Répertoire Chronologique d'epigraphie Arabe, Vol. V, VI, VII, Le Caire, 1934 — 1936 .

16 — **VAN BERCHEM (M)** : C. I. A., Syrie du Sud, 2eme Partie I. II, Jerusalem « HARAM », Le Caire, 1922 .

17 — : C. I. A., Egypte, Iere Partie, Le Caire, 1894 — 1903 .

18 — **WIET (G)** .... : L'Egypte , Arabe, Paris,

19 — : C. I. A., Egypte, 2eme Partie, Le Caire, 1929 — 1930 .

الفهرست

الصفحة

الصفحة

الصفحة	السطر	خطـأ	الصـواب
٧	٣ــ٤ــ٥	قبضة الفاطميين ، فانهم وجدوا في الامبراطورية التي الوقت الذي وجد فيه أمراء الشمال متنفسا لهم بضعف العباسيين وبعد قبضة الفاطميين .	قبضة الفاطميين على جنوب بلاد الشام كانت أقوى منها في شمالها، في الوقت الذي وجد فيه أمراء الشمال متنفسـا لهم بضعف العباسيين وبعد قبضة الفاطميين.
٧	٥	فانهم وجدوا فيالامبراطورية	فإنهم وجدوا أيضا في الامبراطورية
٢٣	١	طفج	طغج
٢٤	حاشية٦ سطر٣	ـ سامي الكيالي	٧ ــ سامي الكيالي
٢٨	فقرة ٢ سطر ٣	فسارو	فساروا
٣٣	فقرة ٢ سطر ٦	وأطعمته	وأطمعته
٣٨	فقرة ٣ سطر ٢	وبعدهم	ويعدهم
٤١	سطر ١	والبشينة	والبثنية
٤٩	حاشية ٥١	Medil	Medievel
٥٨	١٤	نفش	نقش
٧٢	٣	لو أتوسطكم وأتولى	لم أتوسطكم وأتول
٧٥	٩	وأعد	وأعدا
٧٦	٩	اللفاطميين	الفاطميين
٨٥	حاشية ٣ سطر ٥	استلمتم	أسلمتم
٩١	حاشية ٦	تفري	تغري
٩٢	٢	أمر	أمرا
	حاشية ١٤	الروزاراوري	الروذ راوري
٩٨	فقرة ٣ سطر ٤	بفنسه	بنفسه
١٤٨	فقرة ٣ سطر ٤	بقدر	يقدر
١٥٠	حاشية٥ سطر١٢	يكون منهم ، وأنله لقب	وأنه لقب
١٧٩	سطر ٦	ويمهنا	ويهمنا
١٨١	سطر ١	للمحسن بن علي بن الحسين	للمحسن بن الحسين بن علي

الصفحة	السطر	خطـأ	الصـواب
١٩١	٦	منــه	معــه
٢١٦	١٢	نفوسهم	أنفسـهم
٢٤٢	٩	وأطعمه	واطمعــه
٢٤٣	٩	منظمة	منطقة
٢٤٤	٣ ــ ٤	المتحضرة ، حبا للحرب،واستبدادا بالرعية وكرما ومروءة وشهامة ونجدة . هذا وقد كانت حياةبني حمدان مظهرا من مظاهر الحياة البدوية .	هذا وقد كانت حياة بني حمدان مظهرا من مظاهر الحياة البدوية المتحضرة ، حبا للحرب،واستبدادا بالرعية وكرما ومروءة وشهامة ونجدة .
٢٤٨	٦	طفح	طفح
٢٦٩	فقرة ٢ سطر ٥	ماقام بن من	ما قام به من
٢٨٦	العنوان	موقف أمراء العرب بالعراق من الفاطميين ودعاتهم	ــ في عهد عطية بن صالح ومحمود بن نصر
٢٨٦	فقرة ٢ سطر ٧	السجلوقي	السلجوقي
٢٩٣	ب	البهويهيين	البويهيين
٣٠٥	فقرة ٢ سطر ٥	سنية	سنة
	فقره ٣ سطر ٢	نسبب	نسب
٣٠٩	فقرة ٣ سطر ٤	سنجا	سنجار
٣١٤	فقرة ٢ سطر ٥	السببين الآتيين	الأسباب الآتية :
٣٢٠	فقرة ٣ سطر ٦	عبد الله ابن طاهر	عبد الله بن طاهر
٣٢١	فقرة ١ سطر ٥	وجدو	وجدوا
	فقرة ٢ سطر ٢	العقلي	العقيلي
	فقرة ٢ سطر ٣	وممـا	وما
٣٣١	سطر ٨	واسنصره	واستنصراه
٣٣٢	٨	كان انتشار	كان الانتشار
٣٤٠	فقرة ٣ سطر ١	الخيلفة	الخليفة

الصفحة	السطر	خطأ	الصواب
٣٤١	فقرة ٢ سطر ٢	دارة	داره
	فقرة ٣ سطر ٥	يعزي	يعزى
٣٤٤	فقرة ٢ سطر ٤	ما	وما
٣٤٥	فقرة ٢ سطر ٥	ببالاته	مبالاته
٣٤٦	فقرة ٣ سطر ٨	طريقة	طريقه
٣٥١	فقرة ٢ سطر ٣	لم يعدو	لم يعد
٣٥٧	٤	وسلى	وسلمى
٣٦٦	فقرة ٣ سطر ٣	هبة الله	هبة الله
٣٧٠	فقرة ٢ سطر ٢	السجلوقي	السلجوقي
	فقرة ٣ سطر ٣	مراشلات	مراسلات
٣٧٤	فقرة ٤ سطر ٢	بها من تنفيذ	بها عن تنفيذ
٣٧٥	فقرة ٢ سطر ٤	قيما	فيما
٣٧٩	فقرة ٢ سطر ٧	والمرداسيون	والمرداسيين
	فقرة ٣ سطر ٥	الصقيلي	الصقلي
٣٨٠	فقرة ٣ سطر ٨	مرتضى الدولة من لؤلؤ	مرتضى الدولة بن لؤلؤ
	فقرة ٤ سطر ١	حلب	حلبة
٣٨١	فقرة ٤ سطر ٨	لا يمكن	ولا يمكن
٣٨٥	رقم ٣	سبطبن	سبط بن
٣٩١	سطر ٢	هف	هـ . ف

إن الأبحاث العلمية المعمقة عن تاريخ بلاد الشام في العصور الاسلامية، ناقصة . ويعتبر هذا البحث التفاتة طيبة لدراسة تاريخ بـلاد الشام في فترة غامضة ، تعد من أعقد الفترات التي مرت على هذه البلاد .

كما ان دراسة علاقة القبائل العربية بالدول المعاصرة لها ،تعتبر من الدراسات الهامة ، والتي لم يكن المؤرخون يعيرونها اهتماما ، على الرغم من تأثيرها الكبير على الاوضاع في المنطقة سلبا أو ايجابا .

وعلاقة القبائل العربية في الشام والعراق بالفاطميـين ذات اهميـة خاصة ، لأهمية الفترة التي تبدت فيها هذه العلاقة ، وقد بدا من خـلال الدراسة ، ان هذه القبائل كانت تقودها مصلحتها الشخصية ، وفائدتها الخاصة الى التعامل مع الدول المعاصرة لها ، دون ما نظر الى مصلحة البلاد العليا ، وهي نظرة قاصرة ، كان لها نتائج مباشرة وغـير مباشرة ، عانت منها بلاد الشام في الفترات اللاحقة .

وقد استطاعت المؤلفة بما بذلته من جهد مركز ، وبما استقصته من مصادر اصيلة ، نبشت من خلالها الحقائق التاريخية ، ان تصل الى نتائج مرضية ، نقلتها للقارىء العربي منقحة ، معللة تعليلا علميا . مستخدمة في عرضها المنهج العلمي السليم ، فأنارت لنا حقبة مظلمة من تاريخنا .

الناشر



السعر ٣٠ ل.ل